168 د.ن

قررت الرئاسة العامة لتعليم البنات تدريس هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

الحديث والثقافة الإسلامية

للصف الأول الثانوي

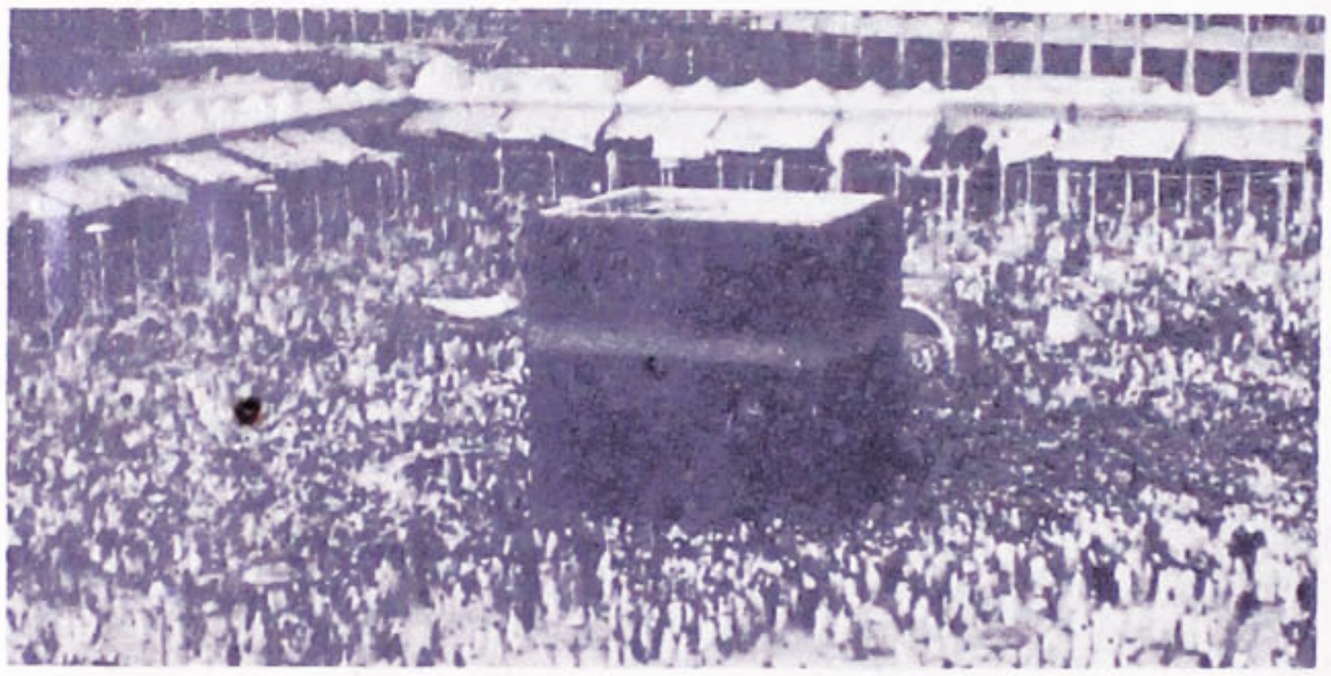

الطبعة الأولى

١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ
١٩٧٥ - ١٩٧٦ م

يوزع مجانا ولا يباع

ة العربية السعو
لرئاسة العامة
تعليم البنات

المملكة العربية السعودية

الرئاسة العامة
لتعليم البنات

قررت الرئاسة العامة لتعليم البنات تدريس هذا الكتاب وطبعه على نفقتها .

306

الحديث والثقافة الإسلامية

للصف الأول الثانوي

تأليف
مناع خليل القطان

الطبعة الأولى ١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ
١٩٧٥ - ١٩٧٦ م

يوزع مجانا ولا يباع

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بهديه.

تشهد المملكة العربية السعودية نهضة شاملة في مرافق الحياة كلها، وتعيش أزهى عصورها في النهضة الإسلامية المرتقبة، التي يتطلع العالـم الإسلامي إلى انبثاقها من هذه الديار، حيث انبثق نور الإسلام ببعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلـم، فخلّص الإنسانية من براثن الشرك والجهالة، وهداها الى السبيل السوي.

وتواكب النهضة التعليمية سائر مرافق دولتنا الفتيّة، وتجد عناية فائقة من رائد الأمة ومليكها المفدى، بعون من الله، ثم من حكومة جلالته، ومن القائمين على التعليـم بفروعه المختلفة، وفي مقدمتهـم معالي وزير المعارف.

وإذا كانت الأمم تعنى بتربية ناشئتها بالعقيدة التي تدين بها، فجدير بنا نحن أمة الإسلام أن نولي هذا الجانب عنايتنا، حتى تكون مسيرتنا الخيرّة في نهضتنا التعليمية مرتكزة على أسس راسخة من عقيدتنا الإسلامية.

والمرحلة الثانوية ـ بما تحمله من خصائص نفسية لدى طلابها ـ هي المرحلة الخصبة لتنمية مشاعر الإيمان، وتربية العواطف الإسلامية النبيلة، وغرس القيـم الأخلاقية السامية، وتأكيد الثقة في صلاحية الإسلام لقيادة البشرية وهدايتها في كل عصر، وبعث الروح الإسلامية التي تذكي في النفس طموحها إلى المثل العليا، كي

Marfat.com

نستأنف الحياة الإسلامية الصحيحة، ونحقق الانتماء الحي إلى أمة الإسلام. فنكون كما وصفنا الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1].

ومادة الحديث والثقافة الإسلامية إحدى المواد الدراسية التي تتسق مع مواد المنهج الأخرى في تحقيق تلك الأهداف. فإن أي نمط من أنماط الدراسة في بلدنا المسلم ـ مهما كانت مادته العلمية ـ يحمل في طياته بناء الفكر الإسلامي السليم. انطلاقاً من المادة الثانية عشرة من سياسة التعليم التي جاء فيها:

«توجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادها منهجا وتأليفا وتدريسا وجهةً إسلامية في معالجة قضاياها، والحكم على نظرياتها، وطرق استثمارها، حتى تكون منبثقة من الإسلام، متناسقة مع التفكير الإسلامي السديد».

ولم يكن هناك بأس في أن تكون مادة «**الحديث والثقافة الإسلامية**» مادة واحدة، لأن مناهجنا الدراسية بموادها المختلفة تحقق وحدة متكاملة لإيجاد التصور الكامل للكون والإنسان والحياة، يستوي في هذا العلوم الإنسانية والعلوم الكونية. وقد نصت المادة الرابعة عشرة من السياسة التعليمية على هذا، حيث جاء فيها:

«التناسق المنسجم مع العلم والمنهجية التطبيقية (التقنية) باعتبارهما من أهم وسائل التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والصحية، لرفع مستوى أمتنا وبلادنا، والقيام بدورنا في التقدم الثقافي العالمي».

وعماد الثقافة الإسلامية القرآن والحديث، والحديث يشمل أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العملية. وهذا هو بيان القرآن:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[2] وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الواقع القرآني. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: «**إن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن**»[3] وجعل الله لنا في رسولنا الأسوة

---

١ ـ الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

٢ ـ الآية (٤٤) من سورة النحل.

٣ ـ من حديث رواه الإمام أحمد.

Marfat.com

الحسنة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1] فلا بدع أن يكون الحديث النبوي والثقافة الإسلامية مادة علمية واحدة.

وموضوعات هذه المادة تتناول دراسات في السيرة النبوية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبه، وطرفًا من هديه عليه الصلاة والسلام في شئون حياته. وتتناول دراسة تحليلية لنفر من أعلام الإسلام الذين سرى فيهم قبس النبوة فكانوا هداة مهتدين. كما تتناول بحثا لعدد من الموضوعات التي يقوم عليها بناء الشخصية الإسلامية عقيدة وفكرا وسلوكا.

وثقافة أي قبيل من الناس هي مجموعة العلوم والمعارف التي تحدث تأثيراً في الحضارة البشرية، ومادة هذه الكلمة في اللغة تدل على الحذْق في إدراك الشيء وفعله، يقال: ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفاً وثَقَافَةً: أي حَذِقه، ورجل ثَقْفٌ، وثَقِفٌ، وثَقُفٌ: إذا صار حاذقا فطنا.

والثقافة بمعناها العام، تشمل جميع المعارف التي تتطلبها الحضارة، في الدين، والآداب، والعلوم السياسية، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والجغرافيا، والتاريخ، والرياضيات، والطبيعة، والكيمياء، وعلوم الهندسة، والطب، وسائر ألوان المعرفة.

والثقافة الإسلامية في المرحلة الثانوية تتناول الجوانب العامة للفكر الإسلامي في مختلف شعب الحياة، في العقيدة، والعبادة، والتشريع، والأخلاق، وتكشف عن أصالة هذا الدين وما تتضمنه شريعته من أسس وقواعد تفي بمتطلبات الحياة الفاضلة في كل عصر. وتعطي الطالب مناعة تجنبه حبائل المبادئ الغازية الدخيلة، وتسلحه بالقدر الملائم الذي يرد به شبه المبطلين، ويمكنه من دحض مفتريات المغرضين.

ونستطيع أن نعرف الثقافة الإسلامية في ضوء ما ذكرناه آنفاً بأنها:

إدراك المفاهيم الإسلامية الصحيحة لجوانب الحياة المختلفة وإننا من خلال دراسة هذه المادة وارتباطها الوثيق بمواد الدراسة الأخرى نستهدف تحقيق المادة

---

١ ـ الآية (٢١) من سورة الأحزاب.

Marfat.com

الثالثة والعشرين من سياسة التعليـم التي تنص على ما يأتي:

«شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها الله به من حراسة مقدسات الإسلام، وحفاظها على مهبط الوحي، واتخاذها الإسلامَ عقيدةً وعبادةً وشريعة ودستور حياة. واستشعار مسؤوليتها العظيمة في قيادة البشرية بالإسلام وهدايتها إلى الخير»

وقد توخيت في عرض موضوعات هذه المادة ما استطعت سهولة العبارة، واختيار الألفاظ، وجودة السبك، وروعة المعنى، وجلاء الهدف، ورجعت إلى النصوص في مصادرها الأصلية، وتناولتها بالتحليل لاستنباط ما تحمله من أفكار ومبادئ ومثل.

والتزمت في ترتيب المادة العلمية ما جاء في المنهج، حتى تكون الموضوعات على نسق معه، مختصراً بعض العناوين في عبارة موجزة، ممهداً لبعضها بتمهيد مناسب، وبذلت جهدي في أن تنخرط جميع الموضوعات في سلك واحد ليكون عقدها منسجما رتيبا.

وآمل أن يجد الطلاب في هذه المادة غذاء فكريا، يحيي في نفوسهـم معاني الإسلام، حتى يعيشوا بمشاعرهم مع هذا الدين العظيـم، ليصنعوا به لأمتهـم في حاضرها ومستقبلها ما صنعه أسلافهم لها في ماضيها، وبهذا ننتقل من رواية التاريخ إلى صناعة التاريخ.

وآمل كذلك أن يجد هؤلاء الطلاب من مدرس هذه المادة طاقة إيمانيّة متّقدة، تثير الحوافز النفسية لاستنفار شبابنا المسلـم، وحفز همته، للإسهام في النهضة الإسلامية الواعية، وبناء حضارتنا على أسس وطيدة من عقيدة الإسلام وهدي شريعته، والله من وراء القصد.

المـؤلـف
منـاع خليل القطان

Marfat.com

أولاً : دراسات في السيرة

أمة ورسول :

نحن أمة مجيدة ، وإذا كانت أمم الدنيا تسجل مجدها لتتخذ منه نبراسا تهتدي به ، وحافزاً يشحذ عزائم أبنائها للحفاظ عليه ، فكثيرا ما يكون هذا تاريخا مصطنعا ليس له من واقع الحياة سوى النزر اليسير ، ولذا تغلو كل أمة في تسطير ما أحرزته من تقدم ، وما وصلت إليه من مجد ، وتحيطه بهالة من الإكبار يشوبها التضليل والتهويل .

ومجدنا نحن ـ أمة الإسلام ـ لم يسطره يراع إنسان تسيّره الأهواء ، وتحمله العصبية على كتابة تاريخ زائف لأمته ، يرفعها به إلى ذروة العلا ، وإنما سطر تاريخنا وحي الله فيما تنزل على رسله ، وحمله موكب النبوات المتتابع عبر القرون والأجيال .

إنه مجد أصيل عريق ، يمتد في أغوار التاريخ إلى أب الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما أرسى دعائم أول منارة لعبادة الله في الأرض :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[1]

حيث أوحى الله إليه أن يبني هذا البيت ، وأرشده إلى معالمه ، فأخذ في بنائه ، وإسماعيل يناوله ، وكان من دعائهما ما حكاه القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2]

---

١ ـ الآيتان (٩٦ . ٩٧) من سورة آل عمران .

٢ ـ الآيات (١٢٧ ـ ١٢٩) من سورة البقره .

Marfat.com

فكانت هذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول الذي بعث فيها هو نبينا محمد «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[1].

وتتابع الأنبياء يحملون هذه البشرى بميلاد أمة وميلاد رسول، تكون تلك الأمة خير أمة أخرجت للناس، ويكون هذا الرسول خاتم النبيين، ورحمة الله المسداة إلى العالمين، وأخذ الله الميثاق على كل نبي وعلى أتباعه أن يؤمنوا به، وأن ينصروه، فأقروا على أنفسهم بذلك، وشهدوا عليه، وشهد الله معهم تأكيدا للعهد، وتوثيقا لعراه، فلا يحيد عنه إلا فاسق:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾[2].

وبشرت التوراة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما بشر به الإنجيل:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾[3]

وجرى حديث هذا على ألسنة أحبار اليهود ورهبان النصارى جيلا بعد جيل، يخبرون عما وجدوا في كتبهم من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

وكان يتحدث بمبعثه كذلك كهان العرب، يخبرون عما يأتيهم به الجن فيما يسترقون من السمع على توهم واختلاف، إذ كانوا لا يحجبون عن ذلك بالقذف بالنجوم قبل

---

١ ـ رواه مسلم وغيره.

٢ ـ الآيتان (٨١، ٨٢) من سورة آل عمران.

٣ ـ الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

Marfat.com

البعثة، فيصيبون ويخطئون. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيل بينهم وبين ذلك، فلئت السماء حرسا شديدا، وحفظت أرجاؤها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك، لئلا يسترقوا شيئا من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق؟ ورُمُوا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد.

وكانت بشائر النبوة سابقة على ذلك كله، فقد ذكر أهل السير أن أمه عليه الصلاة والسلام كانت تحُدّث، أنها أُتيت، حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أُعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام[1].

وخرج أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافله من ركب إلى الشام، فاستعظم رسول الله فراقه، فرق له، واصطحبه معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ابن تسع سنين، وقيل ابن اثنتي عشرة سنة[2]. فلما نزل الركب بُصْرى استضافهم راهب يقال له بحَيرى[3] في صومعة له، وكان لديه علم أهل النصرانية، فجعل بحَيرى يلحظ رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته،ثم انفرد به وسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحَيرى من صفته، ثم قال لعمه: «ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذرْ عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم».

وتجاوزت دلائل النبوة البشرى الناطقة إلى بشرى الجماد، فالكائنات كلها لله، وهي شاهدة بلسان الحال ولسان المقال على توحيد الله:

---

١ - انظر ابن هشام ص ١١٦ ج ١. ٢ - راجع الطبري، وابن هشام، والروض الأنف.

٣ - بُصرى بالضم: مدينة حوران بالشام. وبحَيرى: بفتح الموحده وكسر الحاء المهمله بعدها راء مقصوره

Marfat.com

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1] ويجعل الله في كل شيء تمييزا بحسبه، فشاء الله أن تشارك الجمادات الحياة الإنسانية في بشرى النبوة، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسلم عَلَيَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[2]

وعن أبي أمامة قال: «قلت يا رسول الله: ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»[3]

هذا هو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك هو مجد أمته، فأي شرف لدى أمة من الأمم كهذا الشرف؟

---

١ ـ الآيه (٤٤) من سورة الإسراء.

٢ ـ رواه مسلم وغيره.

٣ ـ رواه أحمد

Marfat.com

آ ـ صور من حرصه صلى الله عليه وسلـم على الدعوة

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلـم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد، حتى جاءه الملك ونزل عليه الوحي.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلـم حي المشاعر، يقدر مسئولية الأمانة التي يحملها، وعظمة الرسالة التي أكرمه الله بها، ويعلـم ما تنطوي عليه هذه الرسالة من خير للبشرية كلها، ينقذها من براثن الشرك، ويخلصها من أدران الجاهلية، ويأخذ بيدها إلى المحجة الواضحة، ويقودها الى السبيل السوي، إنه يعيش بمشاعره وأحاسيسه لهذا الدين، يدعو إليه قوما في طباعهم جفوة، وفي نفوسهم خشونة، توارثوا تقاليد الجاهلية عن الآباء والأجداد، ولهم من الأنفة ما يجعل انقيادهم مستعصيا، فما كادوا يسمعون بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلـم حتى واجهوه بالتكذيب والنكير ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾[1]

فلـم يدع القوم سهما من سهام أباطيلهم حتى رموه به، وتلك سنة الله في دعوات الرسل جميعا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝١٨٤﴾[2] ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[3]

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلـم كان شديد الحرص على تبليغ دعوته، وتحمل في سبيل ذلك ألوانا من الأذى ليس لها نظير.

---

١ ـ الآيات (٤ ـ ٨) من سورة ص.

٢ ـ الآية (١٨٤) من سوره آل عمران.

٣ ـ الآية (٥٣) من سورة الذاريات.

Marfat.com

صور من حرصه:

١ ـ إذا عميت البصائر عن الحقيقة كانت فجيعة الحياة الإنسانية التي لا يدركها إلا أهل البصيرة النيرّة، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلـم على يقين من الهدى الذي بعثه الله به، وما فيه من خير للبشرية. والقوم تعميهم جاهليتهم عن سماع دعوته. أو تأخذهم العزة بالإثم فلا يستمعون إليها، فيحز ذلك في نفس رسول الله، ويتجرع مرارته حسرة وألما، وهما وغما، لا على نفسه، ولكن على ما بهؤلاء المعرضين من جهالة وصلف، وما يترتب على ذلك من خسارة وحرمان، ويوشك هذا الأمر أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلـم أسىً وحزنا، أرأيت مُحِباً صَبًّا أرّقه الشوق، وأضناه الفِراق، وأرمضه البعد، وأهمه الجوى؟! إنه يعاني متاعب كثيرة، ويتجشم مشاق جمة، تودي بنفسه صبابة!! كذلك كان شأن رسول الله صلى الله عليه وسلـم في حرصه على إيمان قومه. وقد أصبح بالإسلام الصبَّ المعنىّ، حتى قال الله تعالى في وصف حاله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[1]

٢ ـ وفتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فشق ذلك عليه وأحزنه، حيث يجد فيه أنس نفسه. وربيع قلبه، وغاية أمله، وطلبته التي ينشدها لخير الانسانية. فبهذا الوحي يولد الإنسان ميلادا جديدا، يتذوق فيه الحياة الحقة. حياة الروح والقلب. هذه الحياة التي يتميز بها عن سائر الأحياء، فليست الحياة الإنسانية في مفهوم الإسلام بالقوة النامية، لأنها توجد في النبات والحيوان، ولا بالقوة الحساسة، لأنها توجد في الحيوانات كلها، ولا بالقوة العاقلة الضالة، لأن مثل هذه الحياة كحياة الأنعام أو أضل، وإنما تكون الحياة في مفهوم الإسلام بالقوة العاقلة المهتدية، التي تهدي الإنسان إلى جادة الحق، وتقوده الى المحجة البيضاء، وتنير بصيرته إلى النهج الأقوم. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[2]

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ

---

١ ـ الآية (٦) من سورة الكهف.

٢ ـ الآية (٢٤) من سورة الأنفال.

Marfat.com

لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1] وتصل هذه الحياة ذروتها في الإسلام عندما يفنى المسلم في عقيدة هذا الدين، ويبذل الحياة نفسها من أجله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2]

وحرصا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقديم هذه الحياة للإنسانية فقد أصابه الغم عندما فتر الوحي عليه، وظهر أثر ذلك فتشمَّت فيه الشامتون. وتقوّل المغرضون، وأشاعوا قالة السوء، عسى أن يصيب الوهن من نفسه عليه الصلاة والسلام موضعا، ولكن خاب ظنهم. وأسقط في يدهم، وعندما تأخر عنه أيام مرضه تنزل بآياته المعجزة، يحنو عليه ويسليه، ويعده عطاءً يرضيه، ويعرّفه الله ما ابتدأه به في عاجل أمره من كرامته. ومَنّه عليه في يُتمه وعيلته وضلالته، « اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد. إني لأرجو أن يكون شيطانُك قد تركك، لم أره قَربكَ منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[3]

٣ - استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يدعو الناس إلى الإسلام سرا. فامن به نفر، وفشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث الناس به، ثم أمره الله أن يصدع بالأمر، وأن ينذر الأقربين من عشيرته، فبادر إلى البلاغ، وأخذ أسبابه الجهرية التي تجعل لندائه روعة، ولصوته صدى، وكأنه ينشد ضالة يستصرخ الناس من أجلها، ويستنفرهم إليها، فيصعد على الصفا حتى تتجاوب أصداء ندائه في جنبات الأودية. ووجه النداء إلى كل بطن من بطون قومه باسمه، فسارعوا إليه، ملبين هذه الصرخة المدوية، ما شأنها؟ وما خبرها؟ وماذا وراءها من أمر له خطره؟ واستوثق لنفسه أولا، واستنطقهم بما يعرفون من صدقه، استيثاقا لتصديقه فيما يخبر به. فأقروا له بذلك. فلما أخذ تقريرهم على أنهم يعلمون من سيرته فيهم صدق

---

١ - الآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

٢ - الآية (١٦٩) من سورة آل عمران.

٣ - أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

Marfat.com

حديثه، ويقين خبره، أبلغهم بأمر دعوته، وأنذرهم نذير المنقذ لهم، الذي يبتغي خلاصهم، وهم عشيرته الأقربون، فإذا لزمتهم الحجة، ولم تأخذه في إنذارهم رأفة، كان ذلك تأكيدا لإلزام غيرهم.

وقد تضمن هذا النداء استجاشة النفس، واستثارة قواها، واستجماع مشاعرها، لتعطي الأمر عنايته، وتحذر مغبة الإعراض عنه.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلنهم في موقف لا خيار لهم فيه، وكأن الخطر قد أحدق بهم من كل جانب، ليلتهمهم التهام النار للهشيم، فليس لهم إلا أن يشتروا أنفسهم، ويجعلوا الإيمان به وطاعة رسالته ثمنا للنجاة والخلاص. انظر إلى موقفه صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه الآية الكريمة ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وتدبّر كلماته عليه الصلاة والسلام، تر تلك الصورة الهائلة من وراء كل حرف، حرصا على إبلاغ الدعوة. وتقديرا لمسئوليتها: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صَعِدَ النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يَدَيَّ عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾» وجاء في رواية أبي هريرة: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قال: يا معشر قريش، أو كلمة نحوها: اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمةَ رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمد صلى الله عليه

---

١ ـ الآيه (٢١٤) من سوره الشعراء.

Marfat.com

وسلـم، سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[1].

٤ ـ ويصور رسول الله صلى الله عليه وسلـم حاله معهم، وقد حمل رسالة الإنقاذ إليهم، ليخلصهم من المهالك، ويأخذ بيدهم إلى شاطىء السلامة، وكأنهم يتهافتون على النار، يرمون أنفسهم فيها بشدة، بلا روّية ولا تمييز، وهو يمسك بخناقهم، ومعاقد أزرهم، ليحول بينهم وبين التردي فيها، إنهم كالفراش، يرون في الشرك والمعاصي بريق الهوى الزائف. وضوء الغِواية الخداع. فيسقطون في شركها متهافتين سقوط الفراش في النار على غير هدى، يظنه الضوء الذي يطلبه، والنهار الذي يرجوه، فإذا به النار المحرقة، واللهيب المستعر. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلـم في دعوته لقومه، يدعوهم إلى رسالة الإسلام، سفينة الخلاص، ومركب النجاة، ويأخذ بحُجزهم عما هم فيه من جحيـم الشر، ولكنهم لضعف تمييزهم، ومخاطرتهم بهلاك أنفسهم، يلجون في الباطل الذي يجرهم إلى النار، اتباعا لشهواتهم. وغلواً في مكابرتهم، كما يقتحم الفراش النار يظنها ضوء النهار من ضعف بصره، ونحن نشاهد هذا الفراش حول السُّرج ومصادر الضوء.

نرى هذا المثل المعبر في قوله صلى الله عليه وسلـم: (**إنما مثلي ومثل الناس، كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش ـ وهذه الدواب التي تقع في النار ـ يقعن فيها، فجعل ينزعهُنَّ ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحُجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها**)[2] ألا ما أكثر فراش أمتنا اليوم في اقتحام المهالك!! وما أقل دعاة الحق المخلصين!!

٥ ـ وضرب الأمثال يبرز المعاني في صورة حسية، فيستجمع الذهن قواه، ويكون ذلك أدعى للإصغاء إلى الحق، وتهيئة النفس لقبول الخير، ومن أمثلة العرب «**أنا النذير العريان**» وأصله أن رجلاً لقي جيشا فجردوه وعروه، فجاء إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير فكم، ثم صار الرجل إذا رأى الغارة قد

---

١ ـ متفق عليه

٢ ـ متفق عليه من حديث أبي هريرة

Marfat.com

فجأتهم، وأراد إنذار قومه، تجرد من ثيابه، وأشار بها ليعلم أنه قد فجأهم أمر، ثم صار مثلا لكل أمر يخاف الناس مفاجأته، ولكل أمر لا شبهة فيه.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المثل لأمته، لأنه تجرد لإنذارهم، حيث كان العالم يرسف في أغلال الجهل، ويتخبط في دياجير الضلال، ويغط في سبات الغَيّ، ويعيش في دنيا الأوهام والخرافة، والقوم قد أورثهم طول الأمد بالرسل جدبا في القلوب، جفت منه جداول الخير، ولم تكن بقايا الأديان السابقة ـ بما فيها من تحريف ـ صالحة لأن تجلو صدأ النفوس. وتحيا على هديها أمة، وتقوم على شريعتها دولة، وفي كل شبر على ظهر المعمورة خطر يكشر عن أنيابه ويفغر فاه ليلتهم القيم الإنسانية إلى غير رجعة، ويسحق مقومات الحياة في غير أناة، ولصدى أحداث انتكاس الإنسانية دوي يشعل الرأس شيبا.

وفي دجنة هذا الليل الحالك والأسى المرير، استيقظت الدنيا على فجر رسالة الإنقاذ، فصدع محمد صلى الله عليه وسلم بما أمر به بين بطحاء أم القرى ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا

وطرق الرسول الجديد مسامع الحياة بالدعوة الإسلامية، دعوة التوحيد، التي تجلجل بقوارع الحق. وتقوض بمعولها معاقل الشرك، صدع بها الداعية المنقذ صلوات الله وسلامه عليه، واضحة كفلق الصبح، صافية كقطر الندى، قوية في صولة الحق، مجردة من الهوى، لا يريد بها سوى نجاة الناس ابتغاء مرضاة الله.

وعندما تلوح في الأفق البوارق المفاجئة، تشخص الأبصار، ويُرتج على الألسنة، ويقع الناس في حيرة من أمرهم، ولا يكاد يسكن هذا الدوار حتى تتايز طائفة من طائفة.

فالقلوب التي صفا معدنها، يضرب صوت الحق بنغمه الشجي على أوتارها، فتهتز لروعته. وتمتزج روحها بروحه، وتخلله منها في السويداء، وتسلمه زمامها طائعة،

---

١ ـ الآية (٨٩) من سورة الحجر.

Marfat.com

وتسير في موكبه سير المدلج على بصيرة، يطلب الخلاص. ويتطلع إلى النهار المشمس الذى لا ليل بعده في دار النعيم، إنها حزب الله تحت لواء دينه، وجنده الذي يحمي حوزته ويصون عرينه، بدمائها الزكية ترتوي شجرة الإسلام، ومن حياتها الجادة يبني مجده. وهي في كل عصر الطائفة الظاهرة على الحق، التي تمثل أعلام الهدى.

والقلوب التي باض فيها اللؤم وأفرخ، وراق عليها العمى وجمدت على ما فيها من خبث، أصبحت حجرا صلدا، يصل إليها صوت الداعي فيرتد صداه. وكأنها ترد الحق إلى مصدره. ثم لا تفتأ ترمي أهله بما في كنانتها من باطل، حتى تقع بها الواقعة، وينزل البأس، وتحق الحاقة، وعندئذ تأتيها الجائحة المهلكة، بل تجتثها من جذورها، وتنبذها نبذ النواة حطبا لنار جهنم.

ذلك هو ما ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا في قوله: «**مثلي ومثل ما بعثني الله، كمثل رجل أتى قوما فقال: رأيت الجيش بعيني، وأنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة فأولجوا على مهلهم فنجَوْا، وكذبته طائفة، فصبحهم الجيش فاجتاحهم**»[1]

٦ ـ دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله، مظهراً له. لا يرده عنه شيء، وذكر آلهة القوم، وعاب أحوالهم، فهالهم منه ذلك وأعظموه، وأجمعوا على خلافه وعداوته، وعزموا على النيل منه. لكنهم رأوْا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه[2]، وقام دونه، فمشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، وقالوا له: يا أبا طالب: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلِّيَ بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقا، وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.

ولم يفتّ ذلك في عضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل مضى قدُما في سبيل

---

١ ـ متفق عليه.

٢ ـ حَدِب عليه: عطف عليه.

Marfat.com

دعوته. يظهر دين الله ويدعو إليه. حتى اشتد الأمر على قريش، وحض بعضهم بعضا عليه، ومشوْا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب: إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا. أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فِراقُ قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله لهم ولا خذلانه.

في هذا الموقف الحرج عرض أبو طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة القوم، مشفقا عليه وعلى نفسه، فظن أن عمه قد بدا له رأي فيه، وأنه سيخذله ويسلمه للقوم، أترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا يستسلم للواقع المر، وهو يعلم ما يدعو إليه من الحق؟ لا. إنه أشد حرصا على هذه الدعوة، يفديها بكل عزيز لديه، ويهب لها روحه، ويجعل حياته وقفا عليها. فيجيب عمه بهذا القول، الذي يعبر عن قوة الحق في ضعف أهله، وصلابة عود الإيمان به في ساعة العسرة، لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته «قال ابن اسحاق: ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى، ثم قام. فلما ولى، ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُك لشيء أبداً»

٧ ـ وما أكثر مفاتن الحياة! في الجاه والمال والزينة، وأمام أهواء هذه المفاتن تضعف العزائم، وتخور الهمم، ويتضاءل الطموح الشامخ فلا تشاهد منه إلا ذرات متناثرة. ولو كان رسل الله كزعماء الأرض الطامحين، لاستهوتهم هذه المفاتن، وتطاحن أمامها طموحهم، ورضيت بها أنفسهم، فقنعوا بالسيادة والمال والمتعة مأرَبا، ولكنهم سفراء الله إلى خلقه لهدايتهم إلى دينه، واستقامة سلوكهم على شرعه، لا

Marfat.com

يسألون الناس من وراء ذلك جزاء ولا شكورا، ولسان حالهم كما حكى القرآن عنهم: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]،

وكما قال الله تعالى في رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[2] وقال:

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾[3]

لقد تجرد صلى الله عليه وسلم لدعوته ابتغاء مرضاة الله، وكان هدفه الأسمى أن يؤمن به الناس، وكان حرصه على ذلك لا يعدله شيء من أعراض الحياة الدنيا، فلم يقبل في ذلك أي مساومة.

٨ ـ وما فتىء رسول الله صلى الله عليه وسلم يبحث عن مسالك شتى لدعوته، يلتمس لها نصيرا، وينشد لها قلبا. فأخذ يعرض نفسه على القبائل في المواسم، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه، قال ابن اسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد بن عباس، قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال: إني لغلام شاب مع أبي بمِنى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان: إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبينّ عن الله ما بعثني به»[4].

أتى كل قبيلة في منازلها بموسم الحج، يعرض عليها دعوته، وإنما يعرض صاحب الحاجة، وليست حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا حاجة مسألة، ولكنها حاجة دعوة. يهدي بها الناس إلى الحق، ويرشدهم الى السبيل السوي، ويخرجهم

---

١ ـ الآيات (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠) من سورة الشعراء.

٢ ـ الآية (٤٦، ٤٧) سبا.

٣ ـ الآيات (٨٦ـ٨٨) ص.

٤ ـ ابن هشام ص ٦٤ ج ٢.

Marfat.com

من الظلمات إلى النور.

وظل يمد يده إليهم، فيقابل تارة بالإساءة، ويرد أخرى ردا جميلا، حتى فتح له الله له القلوب، وبدأ إسلام الأنصار، فآمن به رهط من الخزرج، وحملوا الدعوة إلى قومهم، قال ابن اسحاق: «فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لهم: من انتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غَزَوْهُمْ ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوثٌ الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقْدَم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا[1].

فلما كان العام المقبل، وافوه صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعهم على بيعة النساء[2]، وذلك قبل أن يفرض القتال. ثم كانت بيعة العقبة الثانية حمايةً ونصرة، أخذها عليهم، وتم اختيار نقبائهم، وهي بيعة الحرب، حين أذن الله لرسوله في القتال، بايعهم على حرب الأحمر والأسود، وأخذ لنفسه، واشترط عليهم لربه،

---

١ ـ ابن هشام ص ٧٠، ٧١ ج ٢.

٢ ـ أي التي لا قتال فيها، وهي مذكورة في سورة الممتحنة.

Marfat.com

وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة. وحضر العباس بن عبد المطلب هذه البيعة، وهو يومئذ على دين قومه. إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فقال لهم العباس: يا معشر الخزرج ـ وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها ـ إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، فقالوا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيا، لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرنا[1]، فبايعنا يا رسول الله. فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة[2]، ورثناها كابرا عن كابر، فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان[3] فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها ـ يعنى اليهود ـ فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم[4]، أنا منكم وأنتم مني. أحارب من حاربتم، واسالم من سالمتم. قال ابن اسحاق: فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد، عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء، قال:

---

١ ـ أزرنا: أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار.

٢ ـ أي السلاح.

٣ ـ هو مالك بن التيهان، وانظر: الروض الأنف، ص ٢٦٨.

٤ ـ قال ابن قتيبة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك، وهدمي هدمك، أي ما هدمت من الدماء هدمة أنا. وقال ابن هشام أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم. وهذه البيعة كانت للأوس مع الخزرج.

Marfat.com

«بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلـم بيعة الحرب، على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم[1].

٩ ـ شرُع القتال، وقام الصراع الدموي بين الإيمان والكفر، وصال الإسلام بخيله ورجله في سرايا وغزوات عدة، واشتد الشوق بالجماعة المؤمنة لزيارة بيت الله الحرام، بعد حرمانهم منه قرابة ست سنوات، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلـم في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فاستبشر الصحابة خيرا، وطابت نفوسهـم بذلك. حتى يطفئوا ظمأهم من حرم الله، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلـم من المدينة في ذي القعدة سنة ست، يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا، وساق معه الهدى، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: يا رسول الله: هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجت معها العوذ المطافيل[2]، قد لبست جلود النمور، يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهـم عنوة أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهـم قد قدّموها إلى كُرَاع الغميـم[3]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: يا ويح قريش، قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهـم لو خلوا بيني وبين سائر الناس. فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به، حتى يظهره الله عز وجل. أو تنفرد هذه السالفة[4]، ثـم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين جهة الحُدَيْبِيَة من أسفل مكة[5]، فلما رأت خيل قريش قَتَرَة الجيش[6] قد خالفوا

---

١ ـ والحديث صحيح في كتب السنة.

٢ ـ العوذ: جمع عائذ، وهي من الإبل الحديثة النتاج، والمطافيل: التي معها أولادها، والمراد النساء والصبيان.

٣ ـ كراع الغميـم: موضع بالحجاز بين مكة والمدينة، وهو واد أمام عُسْفَان، وعسفان: بين الجحفة ومكة.

٤ ـ السالفة: صفحة العنق، وكني بانفرادها عن الموت.

٥ ـ الحديبية: قرية سميت باسـم بئر هناك، بينها وبين مكة مرحلة، عند الشجرة التي كانت تحتها البيعة.

٦ ـ قترة الجيش: غباره.

86183

Marfat.com

عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلـم، حتى إذا سلك في ثنيّة المُرَار بركت ناقته، فقال الناس: خلأت[1] الناقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحـم إلا أعطيتهـم إياها.

ثـم كانت السفارة بينه وبين قريش، فأخبرهـم أنه لم يأت يريد حربا، إنما جاء زائرا للبيت، ومعظما لحرمته، ولكنهم اتهموا سفراءهم، وقالوا: لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا تتحدث بذلك عنا العرب، عندئذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلـم عمر رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة، ليبلغ أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها. ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها ـ عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه. فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلـم فبعثه يخبرهـم أنه لم يأت لحرب أحد، وإنما جاء زائرا لهذا البيت، معظما لحرمته. فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردفه خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ما أرسله به، فقالوا لعثمان رضي الله عنه، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فاحتبسته قريش عندها.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلـم أن عثمان قد قتل، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، بايعوه صلى الله عليه وسلـم على أن لا يفروا أبدا[2]، فأرعب ذلك المشركين، وأرسلوا سهيل بن عمرو يريدون الموادعة والصلح،

---

١ ـ الخلاء في الإبل بمنزلة الحران في الدواب. ٢ ـ كان عددهم في أصح الروايات أربع عشرة مائة

Marfat.com

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر، ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وقال ما قال، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله، أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني، قال الزهري: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا.

ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال: سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض. على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة[1]، وأنه لا إسلال ولا إغلال[2]، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه»[3].

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح قام إلى هديه فنحره.

---

١ ـ عيبة الرجل: موضع سره، والمراد صدور منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة.

٢ ـ الإسلال: السرقة الخفية، والإغلال: الخيانة.

٣ ـ انظر ابن هشام ص ٣٣١ ج ٣، ومسند أحمد وسائر كتب السنة، والبداية والنهاية لابن كثير ص ١٦٤ ج ٤ ط مكتبة المعارف بيروت.

Marfat.com

. إن ظاهر هذا الصلح قد لا يكون كريما. ولكن القيادة الملهمة الرشيدة، لها نظرتها الثاقبة البعيدة. فكيف بقيادة النبوة في رسولنا محمد صلى الله عليه وسلـم؟ إنه الداعية الذي آثر مصلحة دعوته، حرصا منه على إبلاغ رسالته. وهيأ هذا الصلح للدعوة مناخا آمنا، ونزلت فيه سورة الفتح، حيث كان توطئة للفتح الأكبر، فتح مكة بعد سنتين.

قال ابن القيـم في فوائد صلح الحديبية:

ومنها: أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمرا يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى، أجيبوا إليه، وأُعطوه، وأعينوا عليه، وإن مُنعوا غيره، فيعاونون على تعظيـم ما فيه من حرمات الله تعالى. لا على كفرهم وبغيهـم، ويمنعون مما سوى ذلك. فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مُرْضٍ له أجيب إلى ذلك، كائنا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظـم منه...

ومنها: جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهـم. ...

ومنها: أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيـم على المسلمين جائز للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال ادناهمـا. ...

ومنها: أنها كانت مقدمة بين يدي الفتح الأعظـم، الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجا. فكانت هذه الهدنة بابا له، ومفتاحا ومؤذنا بين يديه. ...

ومنها: أن هذه الهدنة كانت من أعظـم الفتوح. فإن الناس أمن بعضهـم بعضا. واختلط المسلمون بالكفار، ونادوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان مختفيا بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله فتحا مبينا، ... وصد رسول الله صلى الله عليه

Marfat.com

وسلـم وأصحابه عن البيت كان في الصورة الظاهرة ضيما وهضما للمسلمين، وفي الباطن عزا وفتحا ونصرا.[1]

١٠ ـ والكتابة من وسائل البلاغ، فإنها تحمل الدعوة إلى مسامع الناس على البعد. ولم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلـم يرجع من الحديبية حتى كتب إلى ملوك الأرض، وأرسل إليهم رسله. فبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع، وكتب الى ملوك الروم والفرس والحبشة، فنهم من عظّـم كتابه وأحسن القول، ومنهـم من مزقه وأساء. عن أنس رضي الله عنه: «**أن نبي الله صلى الله عليه وسلـم، كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهـم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلـم**»[2].

وعن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره من فيه الى فيه[3]، قال: انطلقت[4] في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلـم، قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلـم إلى هرقل، يعني عظيـم الروم، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيـم بُصرى، فدفعه عظيـم بُصْرى إلى هرقل. فقال هرقل: هل ههنا أحدٌ من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكـم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعـم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثـم دعا بترجمانه، فقال له: قل لهـم: إنى سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذّبوه، قال: فقال أبو سفيان: وايـمُ الله لولا مخافة أن يؤْثر عليّ الكذبُ لكذبت، ثـم قال لترجمانه:

---

١ ـ انظر زاد المعاد ص ٣١٣ وما بعدها ج ٢ مطبعة السنة المحمدية.

٢ ـ رواه مسلـم، وكسرى: لقب لكل من ملك الفرس، وقيصر: لكل من ملك الروم. والنجاشي: لكل من ملك الحبشة، والنجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلـم أسلـم، وهذا الثاني المراد في الحديث لا يعرف إسلامه.

٣ ـ من فيه إلى فيه: يعني مشافهة.

٤ ـ أي ذهب إلى جهة الشام للتجارة مدة صلح الحديبية.

Marfat.com

سله كيف حسبه فيكـم؟ قال: فقلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه مَلِك؟ قلت: لا، قال: فهل كنتـم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطَةً[1] له؟ قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعـم، قال: فكيف كان قتالكـم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أُدخل فيها شيئا غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحدٌ قبله؟ قال: قلت: لا، قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فذكرت أنه فيكـم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه مَلِكٌ: فزعمتَ[2] أن لا، فقلتُ لو كان من آبائه مَلِكٌ قلت رجل يطلب مُلْك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت: بل ضعفاؤهم، وهـم أتباع الرسل. وسألتك هل كنتـم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفتُ أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثـم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتـم. وسألتك: هل قاتلتموه، فزعمت أنكـم قاتلتموه فتكون الحرب بينكـم وبينه سجالا ينال منكـم وتنالون منه، وكذلك الرسل تُبْتَلى ثـم تكون لهم العاقبة. وسألتك: هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله، فزعمت أن لا. فقلتُ: لو قال هذا القول أحدٌ قبله قلتُ رجلٌ أتـمّ بقول قيل قبله. قال: ثـم قال

---

١ - سَخْطَةً: بفتح السين من السخط، وهو كراهة الشيء وعدم الرضا به.

٢ - رواية البخاري فذكرت.

Marfat.com

بـم يأمركـم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، قال: إن يكن ما تقول فيه حقا فإنه نبي، وقد كنتُ أعلـم أنه خارج ولـم أكن أظنه منكـم، ولو أني أعلـم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه[1]، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ولَيَبْلُغَنَّ مُلكُه ما تحت قَدَمَيَّ، قال: ثـم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم فقرأه، فإذا فيه: **بسـم الله الرحمن الرحيـم. من محمد رسول الله إلى هرقلَ عظيـم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك برعاية الإسلام، أَسْلِـمْ تَسْلَـمْ. وأسلـم يؤتك الله أجرك مرتين[2]، وإن تولَّيت فإن عليك إثـمَ الارِّيسين[3].**

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[4]:

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمَر بِنا فأُخرجنا، قال: فقلت لأصحابي: لقد أَمِرَ[5] أمرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه مَلِكُ بني الأصفر[6]، قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلـم أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام[7].

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلـم عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أنوشروان، فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلـم، فقال النبي صلى الله عليه وسلـم «اللهـم مزق ملكه» فمزق الله ملكه وملك قومه.

وبعث حاطب بن أبي بَلْتَعَة إلى المقوقس عظيـم القبط بالاسكندرية، فقال خيرا، وقارب الأمر، ولم يسلـم، وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلـم مارية، وأختيها.

وتوالت بعوثه صلى الله عليه وسلـم بكتبه إلى عمان، والبحرين، واليمن.

---

١ ـ وقع في البخارى: لتجشمت لقاءه.
٢ ـ لأن إسلامه يكون سببا لإسلام أتباعه.
٣ ـ الاريسون: الفلاحون والزراعون الذين يتبعونك لأنهم رعاياك.
٤ ـ الآية (٦٤) من سورة آل عمران.
٥ ـ أمِرَ: عظـم، بفتح الهمزة وكسر الميـم.
٦ ـ بنو الأصفر: هم الروم. نسبة الى جد لهم اسمه الأصفر.
٧ ـ متفق عليه.

Marfat.com

ب ـ صور من تحمل الأذى في سبيل الدعوة

١ ـ تميل النفس إلى مألوفها، وتعيش أسيرة له، وتتنكر لكل جديد عليها، وما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدع بدعوته، ويعلن وحدانية الله تعالى والاعتراف برسالته. فيما يعبر عنه بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» حتى أدركت قريش مغزى هذه العقيدة. وأن الإيمان يعني التجرد لإله واحد، والبراءة من الأنداد جميعا، فارتجف فؤادها، وهزتها الدعوة هزا عنيفا، وأخذت تكيل التهم لرسول الله، فكذبوه وآذوه. ورموه بالشعر والسحر والكهانة، وناصبوه العداء، وتحيروا فيما يبيتونه له، وما يصفون به قرآنه.

جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام[1]، فأتاه فقال: أي عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: يعطونكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قِبلَه. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنك كاره له، قال: فماذا أقول فيه، والله إن لقوله لحلاوة. وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإن أصله لعَذْق[2]، وإن فرعه لجناه، وإنه ليَعْلُو وما يُعْلَىَ، وقال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، فنزلت:

﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا ممدودا، وبنين شهودا، ومهدت له تمهيدا، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعودا، إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، سأصليه سقر، وما

---

١ ـ اسمه: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فيكون الوليد عمه.

٢ ـ العَذْق: النخلة، يشبه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعها إذا جنى.

Marfat.com

أدراك ما سقر، لا تبقى ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر﴾ .

٢ ـ واشتد حنق القوم على رسول الله صلى الله عليه وسلـم، واحتدموا غيظا، وتفاقـم شرهـم، فأخذت جموعهـم تحيط به، وترمي بسهام بهتانها في وجهه، وتنال منه. حدث عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلت له: ما أكثرُ ما رأيتَ قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلـم فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهـم وقد اجتمع أشرافهـم يوما في الحِجْر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أحلامنا وشتـم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيـم، أو كما قالوا. فبينا هـم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلـم فأقبل يمشي حتى استلـم الركن، ثـم مر بهـم طائفا بالبيت، فلما مر بهـم غمزوه[1] ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلـم، قال: ثـم مضى. فلما مر بهـم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلـم، ثـم مر بهـم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثـم قال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكـم بالذبح[2] قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما منهـم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهـم فيه وصاة[3] قبل ذلك لَيَرْفَؤُه[4] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسـم، فوالله ما كنت جهولا. قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلـم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهـم، فقال بعضهـم لبعض، ذكرتـم ما بلغ منكـم، وما بلغكـم عنه. حتى إذا باداكـم بما تكرهون تركتموه، فبينما هـم في ذلك طلع عليهـم رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فوثبوا إليه وثبة رجل

---

١ ـ غمزوه: طعنوا فيه.

٢ ـ الذبح هنا: مجاز عن الهلاك.

٣ ـ الوصاة: الوصية.

٤ ـ يرفؤه: يهدئه ويسكنه ويرفق به.

Marfat.com

واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لِمَا كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أنا الذي أقول ذلك. قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله! ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط.

قال ابن اسحاق: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر، أنها قالت: لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فَرْق رأسه[1]، مما جبذوه بلحيته، وكان رجلا كثير الشعر[2].

٣ ـ وكثيرا ما يلجم الحق ألسنة المتطاولين، وماذا عسى يجد المبطل من فرية يلصقها بالحق؟ وهو يعلم أنه كذاب أشر، قالوا في القرآن الكريم إنه أساطير الأولين، وقالوا: إنهم أحسن حديثا منه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[3]. ونفثوا سموم حقدهم كلما سمعوا آية من كتاب الله، حتى سبوا من أنزله، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[4] قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾.

وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستَخْفَوْا بصلاتهم من قومهم. فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب

---

١ ـ صدعوا: شقوا. والفَرْق: حيث يتفرق الشعر في مقدمة الجبهة.

٢ ـ ابن هشام ص ٣٠٩، ٣١٠ ج ١. ٣ ـ الآية (٥) من سورة الفرقان.

٤ ـ الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلـم في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهـم نفر من المشركين وهـم يصلون فنازعوهـم وعابوا عليهـم ما يصنعون حتى قاتلوهم، قال ابن اسحاق: فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه، فكان أول دم أُهريق في الإسلام.

٤ ـ والتهكـم سلاح لاذع، يستخدمه المستهزئون، ويتسلى به الساخرون. وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلـم صنوفاً من ذلك في مجالس أشراف قريش كلما مر عليهـم، أو اجتاز طرقاتهـم، يعيرونه بأبيه من الرضاعة فيقولون: هذا ابن أبي كبشة، ويسخرون مما يدعوا إليه، ويغرون به سفهاءهم للنيل منه في صلاته استهزاء وضحكا. عن ابن مسعود قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلـم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وقد نُحرت جزوُر بالأمس، فقال أبو جهل: أيكـم يقوم إلى سلا[1] جزور بني فلان فيأخذُه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه[2]، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلـم وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهـم يميل على بعض وأنا قائـم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلـم. والنبي صلى الله عليه وسلـم ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جُوَيرية، فطرحته عنه، ثـم أقبلت عليهـم تشتمهـم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلـم صلاته رفع صوته، ثـم دعا عليهـم. وكان إذا دعا دعا ثلاثا. وإذا سأل سأل ثلاثا. ثـم قال: اللهـم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهـم الضحك. وخافوا دعوته، ثـم قال: اللهـم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، «وذكر السابع ولم أحفظه»[3] فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلـم بالحق لقد رأيت الذين سمي

---

١ ـ السَّلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: المشيمة.

٢ ـ أشقى القوم: هو عقبة بن أبي محيط، كما صرح به في الروايات الأخرى.

٣ ـ وقع في رواية البخاري تسمية السابع، وأنه عمارة بن الوليد.

Marfat.com

صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[1]، قليب بدر»[2].

وهكذا يجد المؤمنون من المارقين في كل عصر:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

٥ ـ والعبادة زاد الدعاة، وعدة المصلحين، يصلون بها من الله ما قطعه الناس، ويجدون فيها راحة نفوسهم، وبصيرة قلوبهم، ويقين ثباتهم وصبرهم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى بالبيت الحرام منيبا إلى ربه، معتصما بحبله، ملتمسا مرضاته، متطلعا إلى وعده، تعرض له عتاة قريش، ووقفوا له بالمرصاد، يصدونه عن غايته. ويحولون بينه وبين مأربه، فهم لا ينقمون عليه وعلى دعوته إلا خوفا من ظهور أمره، وعلو شأنه، وَذَهاب سلطانهم، فكيف يسمحون له أن يصلي أمامهم؟ لقد صار الأمر قذىً في أعينهم، قال ابن عباس: «**قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة»**»[4].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام، فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده. فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره. فقال يا محمد: بأي شيْ تهددني؟ أما والله إني لأكثر أهل الوادي ناديا»[5]. وفي هذا نزل قوله تعالى:

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ[6] ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

---

١ ـ القليب: هي البئر التي لم تطو.
٢ ـ متفق عليه واللفظ لمسلم.
٣ ـ الآيات (٢٩ ـ ٣٦) من سورة المطففين.
٤ ـ متفق عليه.
٥ ـ رواه أحمد والترمذي والنسائي، والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم.
٦ ـ لنسفعا بالناصية: لنجذبن ولنأخذ بناصية.

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ[1] ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾[2].

٦ ـ وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من ظلم غيرهم، لما يشعر المرء به نحو أقربائه من عطف. وما تربطه بهم من صلات الرحم. وهذا من شأنه أن يجعل أمل الإنسان وطيدا في مؤازرة عشيرته. ونصرة قرابته، وإن ضعف هذا الأمل بتخليهم عن عونه، فإنه لا يتوقع أذاهم، وقد افتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمل الضعيف، واستبدل به أحد أعمامه بغضا وازدراء له، وتَنَقُّصًا واستهزاء بدينه. ذلك هو أبو لهب[3]. قال ابن اسحاق: «حدثني حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: «إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول، وضيء الوجه ذو جمة[4]. يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به» وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقمش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمحوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي من هذا؟ قال: عمه أبو لهب»[5].

وكانت زوجه أم جميل[6] ـ وهي من سادات نساء قريش ـ تخوض مع زوجها هذه الحملة الجائرة والحرب الشعواء في عداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، تسعى

---

١ ـ الزبانية: ملائكة العذاب. من الزبن وهو الدفع.

٢ ـ الآيات (٩ـ١٩) من سورة العلق. وانظر تفسير ابن كثير.

٣ ـ اسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة. وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه.

٤ ـ الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

٥ ـ ورواه الإمام أحمد والطبراني بهذا اللفظ.

٦ ـ اسمها أروى بنت حرب بن أمية. فهي أخت أبي سفيان.

Marfat.com

بالنميمة والأذى والفتنة والوقيعة. وروي أنها كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلـم.

وقد اتخذ ابو لهب موقفه هذا من رسول الله منذ فجر الدعوة. عندما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلـم القبائل وأنذرها. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تَبًّا لك.

ولما أجمع بنو هاشـم بقيادة أبي طالب على حماية النبي صلى الله عليه وسلـم ـ ولو لم يكونوا على دينه ـ تلبية لدافع العصبية القبلية خرج أبو لهب على إخوته، وحالف عليهم قريشا، وكان معهم في الصحيفة التي كتبوها بمقاطعة بني هاشـم وتجويعهم كي يُسْلِموا لهم محمدا صلى الله عليه وسلـم.

وفي أبي لهب وأم جميل نزلت السورة:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ④ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴾[2].

٧ ـ وللقرآن إعجازه الذي يهز مشاعر أهل العربية. واللغة في قمة مجدها لدى قريش، حيث انتهت جداول الفصحى في لهجات العرب إلى لغتهـم. فهم الذين يتذوقون بلاغة القرآن، وروعة بيانه، ولكن كبرياء الجاهلية يعمي بصيرتهـم عن الاعتراف بجلال هذا الكتاب المنزل، ويجعل على قلوبهـم أكنة أن يفقهوه، فلا يسعهـم إلا أن يرموا رسول الله صلى الله عليه وسلـم بالسحر أو الجنون أو الشعر أو الكهانة، ويتعاظـم الأمر في نفوسهـم إذا تلا القرآن عليهم:

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا[3].

---

١ ـ التباب: الهلاك والبوار والقطع.

٢ ـ من مسد: من ليف، وهو الذي تشد به الشوك على المعنى الحقيقي. وهو كناية عن النميمة وحمل الشر والفتنة على المعنى المجازي.

٣ ـ الآيات (٤٥ ـ ٤٨) من سورة الإسراء.

Marfat.com

وخشية أن تتملك فصاحة القرآن أفئدتهم تواصوا فيما بينهم أن لا يستمعوا إليه، لأنه ـ كما يدعون ـ يسحرهم، ويغلب عقولهم، ويفسد حياتهم، ويفرق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه. وينتهي عجزهم عن المواجهة بالحجة، والمقارعة بالبرهان إلى المهاترة، فيلغون أثناء تلاوة القرآن بالصياح والهرج، والمكاء والصفير، والسجع والرجز ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]. وهذا شأن أولئك الذين يصدون عن سبيل الحق، فإنهم حين يسقط في أيديهم عجزا عن مواجهةُ الحق، يلجأون إلى صرف الناس عنه بغوغائية التضليل، وصخب الأباطيل، ودوي الدعاية الجوفاء، ولكن هذا كله يذهب أدراج الرياح أمام قوة الحق التي تقهرهم، وترغمهم على الاعتراف به، قال ابن اسحاق: «وحدثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهري، أنه حُدّث: أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا. يستمع فيه، وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق. فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق. فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شَريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة،

---

١ ـ الآية (٢٦) من سورة فصلت.

Marfat.com

والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها. وسمعت أشياء ما عرفتُ معناها، ولا ما يُراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به كذلك.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعتَ من محمد؟ فقال: ماذا سمعتُ؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرفَ، أطْعَموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطَوْا فأعطينا، حتى إذا تجاذَيْنا[1] على الركب، وكنا كفرسَيْ رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه[2].

وكان عتبة بن ربيعة سيدا في قومه، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السّطة[3] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد، أَسْمَع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيًا[4] تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه

---

١ ـ تجاذى: أقعى، وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء.

٢ ـ ابن هشام ص ٣٣٧، ٣٣٨ ج ١.

٣ ـ السُّطة: الشرف.

٤ ـ الرِّئي: ما يتراءى للإنسان من الجن.

Marfat.com

ربما غلب التابعُ[1] على الرجل حتى يُداوى منه، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعَلُ: فقال: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ① تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾[2].

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعتُ قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم. فإن يُصبْه العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإن يَظْهَرْ على العرب فملكُه مُلككُمْ، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[3].

٨ ـ استشاط القوم غضبا وحقدا، وهم يرون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تجذب إليها القلوب. ويفشو أمرها يوما بعد آخر، فآلى كل شريف منهم على نفسه أن يناصب رسول الله العداء حيثما حل. يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، والأذى الفردي المتتابع يتراكم دخانه الكثيف في أفق الداعية فيبعث على اليأس. ولكن

---

١ ـ التابع: من يتبع من الجن.

٢ ـ الآيات (من ١ ـ ٥) من سورة فصلت.

٣ ـ انظر ابن هشام ص ٣٣٣، ٣١٤ ج ١. وتفسير ابن كثير.

Marfat.com

ذلك لم يفت في عضد رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فواجهه بأيمان راسخ، وعزم ثابت، ومنعه الله من قريش. وجعل القرآن ينزل فيهم بأحداثهم. وفيمن نَصَبَ له منهم، فمنهم من سمي لنا، كأبي لهب وزوجه، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّة من ذكر الله من الكفار.

كان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح، إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلـم همزه ولمزه. فأنزل الله تعالى فيه:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾.

والعاص بن وائل السهمي، كان خبَّاب بن الأرت، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلـم، قَيْناً بمكة يعمل السيوف. وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له، حتى كان له عليه مال. فجاءه يتقاضاه. فقال له: يا خباب، أليس يزعـم محمدٌ صاحبكـم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب، أو خدم. قال خباب: بلى، قال: فأنظرني[3] إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثرَ عند الله مني، ولا أعظـم حظا في ذلك. فأنزل الله تعالى فيه:

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ ﴾ إلى قوله تعالى:

﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠ ﴾[4]. وعن خباب بن الأرت قال: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده. فقال: لا أعطينك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا، حتى تموت وحتى تبعث، قال: فإني لميت ثـم لمبعوث، فقلت: نعـم. فقال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيك. فنزلت: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ ﴾[5].

---

١ ـ همزة لمزة: كثير الهمز واللمز. قيل: معناهما واحد، أي عياب، وقيل: اللمز: الغمز في الوجه. والهمز في القفا.

٢ ـ سميت النار بذلك لأنها تحطـم كل شيء تكسره وتأتي عليه.

٣ ـ أنظرني: أمهلني وأخرني.

٤ ـ الآيات (٧٧ـ٨٠) من سورة مريـم.

٥ ـ أخرجه الشيخان وغيرهما.

Marfat.com

٩ ـ وحرب القطيعة من ألوان الحرب المعروفة التي لا يشهر فيها سلاح القتل العاجل، إنما يشهر فيها سلاح القتل البطيء، تجويعا وتخويفا وتضييقا، وقد استخدمت قريش هذه الحرب حين رأت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم قد هاجروا إلى الحبشة، فأحسن النجاشي وفادتهم، وأصابوا لديه أمنا وقرارا. وأن إسلام عمر وحمزة كان شجا في حلوقهم، ومنعةً للإسلام وأهله، وأن أبا طالب يتولى حماية رسول الله فلا يسلمه إليهم أبدا. فاجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشـم وبني المطلب على أن لا يُنكِحُوا إليهم ولا يُنكِحُوهم. ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا ذلك في صحيفة. وتعاهدوا وتواثقوا على هذا الأمر، ثـم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة، توكيدا على أنفسهم، فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم وانضـم معهم في صحيفة المقاطعة.

اشتد أمر المقاطعة، واستمر سنتين أو أكثر، حتى أكل الناس ورق الشجر، وعز هذا على نفر من القوم، أخذتهم النخوة، واستثارتهـم الشهامة والنجدة، وكان أحسنهـم بلاء في ذلك: هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعـم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأبو البختَرِي بن هشام، وزمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد، اتَّعد هؤلاء ليلاً بأعلى مكة عند خطـم الحَجون[1]، فاجتمعوا هنالك، فأجمعوا أمرهـم على نقض الصحيفة، وقال زهير: أنا أبدؤكـم، فأكون أول من يتكلـم، فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة، فطاف بالبيت سبعا، ثـم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة: أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشـم هَلْكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

---

١ ـ الحَجون: موضع بأعلى مكة، وخصمه: مقدمه.

Marfat.com

قال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد: كذبتَ والله لا تُشق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت. قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقر به. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، وما كتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، تُشُوِرَ فيه بغير هذا المكان. وأبو طالب جالس في ناحية المسجد. فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم»[1].

١٠ ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد من عمه أبي طالب عضدا له في أمره، ومنعة على قومه، كما يجد من زوجه خديجة حسن المواساة، وجميل الوفاء، ولكنه أصيب بموتهما في عام واحد. فتجرأت قريش عليه، ونالت منه ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب. وأغرى ذلك سفهاءها في الأذى والسخرية، حتى اعترضه سفيه منهم فنثر على رأسه صلى الله عليه وسلم ترابا، ودخل بيته والتراب على راسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تمسح عنه التراب، وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب[2].

ولما اشتد أذى قريش خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس تربة خصبة لدعوته. فيمم وجهه شطر الطائف. وعمد إلى نفر من سادة ثقيف وأشرافهم[3]، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، واستنصرهم للإسلام، فردوا عليه ردا قبيحا، واستكتمهم الأمر كراهة أن يبلغ قومه عنه، فيكون هذا شماتة لهم، ويجرّئهم عليه، فأبوا ذلك، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه

---

١ ـ أنظر البداية والنهاية ص ٩٥ ج ٣. وابن هشام ص ١٥ ج ٢.

٢ ـ أنظر ابن هشام ص ٥٨ ج ٢.

٣ ـ هم إخوة ثلاثة. عبد يا ليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير.

Marfat.com

الناس، فعمد إلى ظل حَبَلَةٍ من عنب[1]، فجلس فيه. وكان من حائط[2] العتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وكانا يريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف. ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى ربه بالشكوى: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟[3] أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزْل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك**»

فلما رآه ابنا ربيعة، عتبة وشيبة، وما لقي. تحركت له رحمتهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس، فقالا له: خذ قِطْفًا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له أن يأكل منه، ففعل عداس. ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونُس بن متّى؟ فقال له عداس: وما يدريك ما يونُس بن متّى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي. فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه»[4].

---

١ ـ الحبلة: شجرة العنب، أو قضبانها.
٢ ـ الحائط: البستان.
٣ ـ تجهمه: استقبله بوجه كريه.
٤ ـ انظر ابن هشام ص ٦٢ ج ٢، والبداية والنهاية ص ١٣٦ ج ٣.

Marfat.com

وعن عروة بن الزبير: «أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلـم حدثته، أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلـم: يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيل بن عبد كُلال، فلـم يجبني إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلـم استفق إلا بقرن التعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل. فناداني. فقال: إن الله عز وجل، قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني مَلَكُ الجبال وسلـم علي ثـم قال: يا محمدَ إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك، لتأمرني بأمرك، فما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلـم، بل أرجو أن يُخْرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1].

١١ ـ استحكـم العداء بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلـم، وبلغت القلوب منهم الحناجر. ونزل البلاء بالصحابة، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

ومعادن الناس متفاوتة، والمؤمن غيث حيثما حل أحيا موات القلوب بدعوته، ولا بأس مع الإيمان. فعلى الداعية إذا أدلهم الأمر، وأجدبت النفوس في موطن من المواطن، أو فترة من الزمن، أن يتطلع إلى مستقبل مشرق في موطن آخر، بفترة أخرى، وهكذا كانت سيرته صلى الله عليه وسلـم في دعوته.

لقد عرض نفسه على القبائل، وكانت بيعة العقبة الأولى. ثـم الثانية، وهي بيعة الحرب، وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلـم في القتال. عن عبادة بن الصامت ـ وكان أحد النقباء ـ قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلـم بيعة الحرب. على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا. ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا. لا نخاف في الله لومة لائـم» فهيأ

---

١ ـ متفق عليه. والأخشبان: جبلا مكة. أبو قبيس والذي يقابله.

Marfat.com

الله للمسلمين بالمدينة دارا يأمنون بها، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلـم من معه من أصحابه بمكة بالخروج إليهم، واللحوق بإخوانهم، فخرجوا أرسالا[1].

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلـم قد صارت له شيعة من غيرهم في المدينة، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم. عرفوا أنهم قد نزلوا دارا. وأصابوا منهم منعة. فَحَذِروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلـم إليهم. وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم. فاجتمع الملأ منهم في دار الندوة[2]، يتشاورون في أمر رسول الله حين خافوه. وحضر معهم إبليس، وتمثل لهم في صورة شيخ نجدي، لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد. فقال قائل منهم: إحبسوه في الحديد. وأغلقوا عليه بابا، ثـم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهير، والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمرهُ من وراء الباب الذي أغلقتـم دونه إلى أصحابه، فَلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينتزعوه من أيديكم، ثـم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثـم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنا، فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا، وفرغنا منه. فأصلحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت. فقال الشيخ النجدي: لا والله. ما هذا لكم برأي. ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتـم ذلك ما أمنتـم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثـم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكـم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثـم يفعل بكم ما أراد، فأروا فيه رأياً غير هذا، فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأياً، ما أراكم

---

١ ـ أرسالا: جماعة في إثر جماعة.

٢ ـ هي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها.

Marfat.com

وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا[1] فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه. فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك نفرق دمه بين القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم. فرضوا منا بالعقل[2]، فعقلناه لهم. فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره. فتفرق القوم على ذلك، وهم مجمعون له. وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[3].

فلما كانت عتمة الليل اجتمع الفتية على بابه صلى الله عليه وسلم. يرصدونه حتى ينام، فيثبون عليه. وأخبر جبريل رسول الله أن لا يبيت هذه الليلة على فراشه، فأمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه. وأن يتسجى ببرده. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ حَفنةَ من التراب، ورمى به على رؤوس القوم، وهو يتلو صدر سورة «يس» فأغشاهم الله، وخرج دون أن يروه، ولم يدركوا ذلك حتى الصباح[4].

١٢ ـ لم يكن حادث الهجرة حاسما للعداء والأذى، بل تعددت مصادر هذا العداء وتعاونت على الشر.

ظل المشركون على عهدهم منذ فجر الدعوة أَلِدّاء في الخصومة والعناد. ونصب اليهود بعد الهجرة العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وضغنا.

وانضم إلى هؤلاء وأولئك رجال من الأوس والخزرج، كانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، ولكن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه. فأظهروا الإسلام، واتخذوه جُنّة من القتل، وأبطنوا الكفر.

---

١ ـ الوسيط: الشريف في قومه.

٢ ـ العقل: الدية. وعقله: أدى ديته.

٣ ـ الآية (٣٠) الأنفال: وقوله: ليثبتوك: أي ليحبسوك. يقال: رماه فأثبته: إذا حبسه. ومريض مثبت: أي لا حركة به.

٤ ـ انظر ابن هشام ص ١٢٥ ج ٢.

Marfat.com

وأخذت هذه القوى الثلاث تحيك المؤامرات لرسول الله صلى الله عليه وسلـم، وتتربص به الدوائر.

فأحبار اليهود يسألون رسول الله، ويتعنتونه، ويأتونه باللبس، ليلبسوا الحق بالباطل، ويؤلبون عليه.

والمنافقون يخذلون ويثبطون، ويؤججون نار الفتنة، وينفثون سموم البغي والعدوان.

والمشركون هم قاعدة الظلـم، وسند الباطل، وملتقى جحافل الطغيان.

ولهؤلاء جميعا مواقف شتى.

عن ابن مسعود قال: «كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلـم بالمدينة، وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثـم قال: الروح من أمر ربي وما أوتيتـم من العلـم إلا قليلا[1].

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلـم لما هاجر الى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود. فاستقبلها بضعة عشر شهرا، وكان يحب قبلة إبراهيـم. وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿ فَولُّوا وجُوهَكُمْ شَطْره ﴾ فارتاب في ذلك اليهود، قالوا: ﴿ مَا ولاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ فأنزل الله ﴿ قُلْ لله الْـمَشْرَق والْـمَغْرِبُ ﴾ وقال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾[2].

واجتمع نفر من اليهود، وقالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لمَ تَلْبِسُوَن الحَقَّ بِالْبَاطِل ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

١ ـ أخرجه البخاري.

٢ ـ أخرجه بن جرير وابن أبي حاتـم.

٣ ـ رواه ابن اسحاق عن ابن عباس.

Marfat.com

وكان بين رسول الله صلى الله عليه وسلـم وبني عامر جوار وعهد. لم يعلـم به عمرو بن أمية الضمري. فقتل عمرو بن أمية رجلين من بني عامر، يظن أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم في حادث بئر معونة. فكتب عامر بن الطفيل سيد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلـم: إنك قد قتلت رجلين لهما منك جوارٌ وعهد، فابعث بديتهما. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلـم إلى قباء، ثـم مال إلى بني النضير يستعينهم في دية ذَيْنِكَ القتيلين من بني عامر، فقالوا: نعـم يا أبا القاسـم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثـم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله صلى الله عليه وسلـم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد. فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله بها، فيريحنا منه. فانتدب لذلك عمرو بن جحاشن بن كعب أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه الصخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلـم في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلـم الخَبرُ من السماء، بما أراد القوم. فقام. وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث رسول الله صلى الله عليه وسلـم أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم حتى انتَهَوْا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود قد أرادت من الغدر به. وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلـم بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم[1].

وعن عروة أن أسامة بن زيد أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلـم ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فدَكيّة[2]، وأردف وراءه أسامة، وهويعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدر. حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين

---

١ - انظر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ص ٣٦ ج ٣ ط دار القاموس الحديث بيروت.

٢ - فدكية: نسبة إلى فدك: بلدة معروفة على بعد مرحلتين أو ثلاث من المدينة.

Marfat.com

والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أُبيَ[1]، وفي المجلس عبد الله بن رَواحة، فلما غشيتْ المجلسَ عجاجةُ الدابّة، خمّر عبد الله بن أبي أنفة بردائه، ثم قال: لا تُغَبرّوا علينا، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم وقف. فنزل، فدعاهم إلى الله. وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبيّ: أيها المرء. لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: اغْشَنَا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهم، ثم ركب دابته، حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ «يريد عبد الله بن أُبيّ» قال: كذا وكذا. قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيرة[2] أن يتوّجوه، فَيُعَصِّبوه بالعصابة[3]، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك، فذلك فَعَلَ به ما رأيت، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم»[4].

وعن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسّم قسما، إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال: اعدل، فقال: ويلك، من يعدل إذا لم أعدل، فنزلت ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية[5].

وعن ابن مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراء. وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: ان الله لغني عن صدقة هذا، فنزل:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية[6].

---

١ ـ عبد الله بن أبي: هو رأس المنافقين.

٢ ـ البُحَيْرَة: القرية: والمراد بها هنا مدينة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ أي اتفقوا على أن يجعلوه ملكهم، وكان من عادتهم إذا ملّكوا إنسان أن يتوجوه ويعصبوه.

٤ ـ متفق عليه. ٥ ـ رواه البخاري. وذو الخويصرة من المنافقين. ٦ ـ رواه الشيخان.

Marfat.com

ونال المنافقون من عرض رسول الله صلى الله عليه وسلـم، في أحب زوجاته إليه، في حديث الإفك، وكان الذي تولى كِبرْ الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، قال عروة: أخبرت أنه كان يُشاع وَيتحدّث به عنده. فيقره ويستمعه ويستَوْشِيه، حتى أنزل الله براءتها في القرآن:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ آمْرِيءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيم ﴾[1].

وفي غزوة أُحد أصاب المسلمون ما أصابهم، ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلـم سوى نفر قليل. وقد أصيبت رباعيته، وشج رأسه. وقال أبوسفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ ثلاثا. فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلـم أن يجيبوه. ثـم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثـم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، وقد كُفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عدَدْتَ لأحياء كلهم. وقد أبقى الله لك ما يسوؤك. فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني. ثـم أخذ يرتجز ويقول: اعل هبل، اعل هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلى وأجل**» قال: لنا العزى ولا عزى لكم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «ألا تجيبوه؟». قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**» وثبت سعد بن أبي وقاص لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلـم، وانكفأ عليه يستره. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلـم ينثر له كنانته ويناوله النبل ويقول: «ارْمِ فداك أبي وأمي[2]».

---

١ - حديث الإفك مخرج في الصحيحين وغيرهما.

٢ - انظر ابن جرير ص ١٧ وانظر الصحيحين وكتب السنة.

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كُسِرت رباعيته يوم أُحد، وشج في وجهه، حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» فأنزل الله:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ﴾ الآية[1].

وفي غزوة الأحزاب تآمرت قوى الشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن نفرا من اليهود، ونفرا من بني وائل هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. وما زالوا بهم حتى أجمعوا لذلك، واتّعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان، من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا تابعوهم على ذلك، وأجمعوا فيه. فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة. حيث أشار بذلك سلمان، وقال: إنا كنا بفارس، إذا حوصِرْنا خَنْدَقْنَا علينا. وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق، وعمل معه المسلمون. وأبطأ عن ذلك رجال من المنافقين. وأخذوا يتسللون إلى أهلهم بغير علم ولا إذن، إو بإذن باطل، وبهذا ائتمرت القوى الثلاث واجتمعت على حرب رسول الله: اليهود، والمشركون، والمنافقون. وأحاط هؤلاء بالمسلمين، وأدلهم الخطب، حتى زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر. وابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا، ثم كانت نفحة النصر نعمة من الله، فأرسل الله عليهم ريحا وجنودا لم يرها المؤمنون.

عن حذيفة قال: «لقد رأيتنا ليلة الأحزاب، ونحن صافون قعودا، وأبوسفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها. فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله

---

١ ـ رواه أحمد ومسلم.

Marfat.com

عليه وسلـم يقولون : إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له ، فيتسللون »[1] ، وفيهم نزل القرآن :

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[2] .

وفي غزوة بني المصطلق عندما تزاحم أنصاري مع مهاجري على الماء . وقال الأنصاري يا للأنصار ، وقال المهاجري يا للمهاجرين . فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وعنده رهط من قومه ، وقال : أقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا وجلابيب قريش ما قال القائل : « سَمِّنْ كلبك يأكلك » أما والله لئن رجعنا ليخرجن الأعز منها الأذل « لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى تنفضوا »[3] .

وتهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلـم في غزوة تبوك لغزو الـروم ، في زمن عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم . فما لهم وحرب الروم ، مع بعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو . فتعلل بعض المنافقين بأنه يخشى إن رأى نساء بني الأصفر[4] أن لا يصبر ، فتخلف ، وفيه نزلت الآية : ﴿ ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾

وقال بعضهم : لا تنفروا في الحرّ ، زهادة في الجهاد ، وشطا في الحق ، وارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلـم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم :

﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾

وجاء الـمُعَذِّرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلـم . فلـم

---

١ - أخرجه البيهقي في الدلائل .

٢ - الآيتان ١٢ ، ١٣ ، من سورة الأحزاب . وانظر : الكامل في التاريخ ص ١٧٨ ج ٢ لابن الأثير ط دار بيروت للطباعة والنشر .

٣ - راجع تفسير سورة « المنافقون » .

٤ - بني الأصفر : يريد الروم .

Marfat.com

يعذرهم الله عز وجل، إنما تاب الله على الثلاثة الذين خلِّفوا من غير شك ولا ارتياب[1].

١٣ ـ والبلاء في العقيدة سنة الله في حياة المرسلين والمصلحين، وفي حياة أتباعهم. تمحيصا للإيمان. وتمييزا للخبيث من الطيب، وصهرا لمعادن الرجال ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[2].

ولقد استعدت قريش قبائلها على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه، ولا سيما من استضعفوا منهم. فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين. فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش. وبرمضاء مكة[3] إذا اشتد الحر، يفتنونهم عن دينهم.

وكان أبو جهل ـ الذي يغري بهم في رجال من قريش ـ إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة، أنبه وأخزاه. وقال: تركت دين أبيك، وهو خير منك، لَنُسَفِّهَنَّ حلمك، ولَنُفَيِّلَنَّ[4] رأيك. ولنضعن شرفك. وإن كان تاجرا قال: والله لَنُكَسِّرَنَّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك. وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به.

وقيل لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله. إنْ كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: آللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. حتى إنَّ الجُعَلَ[5] ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. افتداء منهم مما يبلغون من جهده[6].

---

١ ـ الثلاثة هم: كعب بن مالك، ومروان بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي.

٢ ـ الآيتان (٢ ـ ٣) من سورة العنكبوت.

٣ ـ الرمضاء: الرمل الحارة من شده حرارة الشمس.

٤ ـ لَنُفَيِّلَنَّ رأيك: أى لنقبّحنه ونخطئه.

٥ ـ الجُعَل: دويبة معروفة.

٦ ـ انظر ابن هشام ص ٣٤٢ ج ١.

Marfat.com

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلـم سبعين رجلاً من القراء، سفراء له في دعوته. فعرض لهم حيان بن سُلَيـم: رعْل وذَكْوان، عند بئر يقال لها بئر معونة، فقالوا لهم: ما إياكم أردنا، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلـم، فقتلوهم، وغدروا بهـم، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلـم شهرا في صلاة الصبح، وكان ذلك بدء القنوت. قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنا، ثـم إن ذلك رفع: بلّغوا عنا قومنا، أنا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا[1].

وكان بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلـم ومولى أبي بكر رضي الله عنه لبعض بني جمح. مولّداً من مولّديهم. وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثـم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثـم يقول له: لا والله، لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول: وهو في ذلك البلاء: أحَدٌ أحد، حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح. فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى! قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفْعَلُ، عندي غلام أسود أجلَدُ منه وأقوى على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلتُ. فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك. وأخذه فأعتقه[2].

وامتد عدوان المشركين إلى أسر كاملة لإبادتها والقضاء عليها. كأسرة آل ياسر. فقد كان عمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وكانت أمه سمية مولاة لهم. وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه، إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلـم فيقول: «**صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة**[3]».

---

١ - انظر حادث بئر معونة في صحيح البخاري.

٢ - انظر ابن هشام ص ٣٣٩ ج ١ وقد اعتق أبو بكر قبل الهجرة ست رقاب. بلال سابعهم.

٣ - انظر الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر ص ٥٠٥ ج ٢ ط مصطفى محمد.

Marfat.com

وكان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. قال ابن اسحاق: اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجُلٌ يُسمعُهُوه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال: دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى اتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» رافعا بها صوته، ﴿الرحمن علم القرآن﴾ فتأملوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد. فقاموا إليه، فجعلوا يضربونه في وجهه. وجعل يقرأ في سورة «الرحمن» حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وعلى وجهه أثر الضرب. فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك. فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غدا. قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون[1].

وقدم أبو ذر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إرجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه. وأتى العباس فأكبَّ عليه. قال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غِفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكبَّ العباس عليه[2].

وكان خُبَيْب بن عدي أحد العشرة في سرية عاصم بن ثابت بغزوة الرجيع، حيث تَبِعهم بنو لَحْيان بين عسفان ومكة بقريب من مائة رام. فاقْتصُّوا آثارهم وقاتلوهم. ووقع خُبيْب بن عدى أسيرا، فانطلقوا به، وباعوه بمكة لبني الحارث بن

---

١ ـ ابن هشام ص ٢٣٦ ج ١.

٢ ـ قصة إسلام أبي ذر في صحيح البخاري.

Marfat.com

عامر بن نوفل. وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر. فخرجوا به ليقتلوه، فلما هموا قال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف اليهم. فقال: لولا أن تَرَوا أن ما بي جَزَع من الموت لزدتُ، فكان أول من سنَّ الركعَتَيْنْ عند القتل. ثم قال: اللهم أحْصِهم عددا، وقال عند قتله:

فلست أبالي حين أُقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممُزَّعِ[1]

١٤ ـ وشاركت المرأة المسلمة الرجل المسلم في البلاء بالدعوة، فأبلت بلاء حسنا، يضرب أروع الأمثلة لما ينبغي أن تكون عليه المرأة في المجتمع المسلم، إيمانا بعقيدة الإسلام، وثباتا عليها، وتضحية في سبيلها، وتربية لناشئتها. وأسهمت بنصيبها في كل مرحلة من مراحل الدعوة.

أسلمت فاطمة بنت الخطاب قديما قبل أخيها عمر بن الخطاب وكانت تخفي إسلامها من أخيها عمر، وكان خباب بن ألأرتّ يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن. فخرج عمر بن الخطاب ذات يوم متقلدا بسيفه يريد أن يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم، فلقيه رجل من بني زهرة. فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدا. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا؟ قال: ما أراك إلا قد صبأت[2]. قال: قد فعل ذلك من هو أعظم عليك حقا مني. قال: ومن هو؟ قال: أختُك فاطمة، وختنك[3] سعيد بن زيد، فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب بن ألأرتّ. فلما سمع خباب صوت عمر توارى في البيت. فدخل عمر فقال: ما هذه الهمهمة التي سمعت؟ وكانت فاطمة قد أخذت صحيفة من القرآن فجعلتها تحت فخذها، فقالا له: ما سمعتَ شيئا. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا في دينه، وبطش بختنه سعيد، فقامت إليه فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها،

---

١ ـ راجع كتب السيرة وكتب السنة، ولا سيما صحيح البخاري.

٢ ـ صبأ: خرج من دين إلى دين. ٣ ـ الختن بالتحريك: الصهر. والمراد هنا زوج أخته.

Marfat.com

فلما فعل ذلك. قالا له: نعـم. قد أسلمنا وآمنا بالله فاصنع ما بدالك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا، لأنْظُرَ ما هذا الذي جاء به محمد، فقالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، ثـم أعطته الصحيفة بعد أن استوثقت منه وتطهر. وفيها:

﴿ طَهَ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرآنَ لِتَشْقَى، إلاَّ تَذْكِرَةً لِـمَنْ يخشى ﴾

فَلَـمَّا قرأ منها صدرا أثنى على هذا الكلام، فاستبشر خباب وخرج. ورجا إسلامه. فدله على رسول الله صلى الله عليه وسلـم، وكانت قصة إسلامه[1].

وسمية مولاة أبي حذيفة بن المغيرة والدة عمار بن ياسر، كانت سابعة سبعة في الإسلام، وكان ياسر حليفا لأبي حذيفة. فزوجه سمية، فولدت له عمارا، فأعتقه، وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبق إلى الإسلام. قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلـم وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية. فأما رسول الله صلى الله عليه وسلـم وأبو بكر فمنعهما قومهما. وأما الآخرون فألبسوا دروع الحديد، ثـم صهروا في الشمس. وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها. فكانت أول شهيدة في الإسلام[2].

وأسماء بنت أبي بكر الصديق والدة عبد الله بن الزبير، استأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلـم على خبر الهجرة. وهي أول حدث كان له خطره في صدر الإسلام. وأحدث تحولا كبيرا في تاريخ الدعوة. فصنعت سفرة[3] لرسول الله صلى الله عليه وسلـم في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، فلـم تجد لسفرته ولا لسقائه ما تربطهما به، فشقت نطاقها[4] باثنين، فربطت بواحد منهما السقاء، وبالآخر

---

١ ـ انظر أعلام النساء لعمر كحالة. المطبعة الهاشمية بدمشق ص ٥٠ ج ٤ والإصابة لابن حجر، والاستيعاب لابن عبد البر.

٢ ـ الإصابة ص ٣٢٧ ج ٤.

٣ ـ السفرة: طعام المسافر.

٤ ـ النطاق: ما يشد به الوسط.

Marfat.com

السفرة، فكانت تسمى ذات النطاقين، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبْدَلَكِ الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة» قال ابن اسحاق: فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا، فلطم خدي لطمة طرح منها قُرطي[1].

ونسيبة بنت كعب الأنصارية أم عمارة، مشهورة بكنيتها واسمها معا، شهدت بيعة العقبة الثانية مع زوجها زيد بن عاصم، وأصابها ما أصابها من البلاء. ذكر سعيد ابن أبي زيد الأنصاري، أن أم سعيد بنت سعد بن الربيع قالت: دخلتُ على أم عُمارة فقلت لها: يا خالة: أخبريني خبرك. فقالت: خرجتُ ـ يعني يوم أحد ـ أول النهار، وأنا أنظر ما يصنع الناس، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أصحابه، والدولة والريح[2] للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خَلَصَتْ الجراح إليّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة، أقماه الله. لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا. فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فضربني هذه الضربة، فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

ولأم عُمارة مواقف شتى من هذا القبيل، تدل على رسوخ قدمها في الإسلام. وحسن بلائها في سبيله، فقد شهدت بيعة الرضوان. ثم شهدت اليمامة، فقاتلت

---

١ - انظر الإصابة ص ٢٢٤ ج ٤. والقُرط: ما يعلق في شحمة الأذن من الحلى.

٢ - الريح: الغلبة.

Marfat.com

حتى قطعت يدها، وجرحت إثني عشر جرحا[1].

وشهد عدد من نساء الصحابة المعارك. وقمن بتجهيز الطعام، ومداواة الجرحى، ونقل القتلى، وسقي المجاهدين. وقاتلن عند الحاجة، وإن لم يفرض الإسلام عليهن الجهاد رعاية لخصائص الأنوثة. عن أم عطية الأنصارية قالت: «غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات. أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى[2]». وعن أنس «أن أم سليم رضي الله عنهما اتخذت يوم حنين خنجرا، فكان معها. فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك»[3].

---

١ ـ انظر الإصابة ص ٤٠٣ ج ٤. وأعلام النساء ص ١٧١.

٢ ـ رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.

٣ ـ رواه مسلم، وأم سليم هي أم أنس بن مالك. تزوجها أبو طلحة بعد أن مات زوجها مالك.

Marfat.com

ثانيا: من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلـم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وماهن ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس، التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيـم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (متفق عليه)

١ ـ الترجمة لراوي الحديث:[1]

أبو هريرة بن عامر الدوسي: اختلفوا في اسمه، فقال أهل النسب: اسمه عمير بن عامر، وقال ابن اسحاق: قال لي بعض أصحابنا عن أبي هريرة، كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلـم عبد الرحمن، وكنيت أبا هريرة، لاني وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أبو هريرة، وأخرج الترمذي بسند حسن عن أبي رافع قال: قلت لابي هريرة: لم كنيت بأبي هريرة ؟ قال: كنت أرعى غنـم أهلي، وكانت لي هرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في حجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنوني: أبا هريرة. واختلفوا كذلك في اسم أبيه: أهو صخر أم عامر ؟

وقد أجمع أهل الحديث على أن أبا هريرة أكثر الصحابة حديثاً. روي عنه خمسة آلاف وثلثمائة حديث، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره. وفي صحيح البخاري من طريق وهب بن منبه عن أخيه همام عن أبي هريرةقال: «لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم أكثر حديثا مني إلا عبد الله بن عمر، فإنه كان

---

١ ـ راجع الاصابة ص ٢٠٠ ج ٤.

Marfat.com

يكتب ولا أكتب» وفي الصحيح كذلك عن أبي هريرة: «قلت يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث».

وكان إسلام أبي هريرة بين الحديبية وخيبر، وقدم المدينة مهاجراً، وسكن الصُّفَّة[1]، روي عنه أنه قال: «والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد على الأرض بكبدي من الجوع، وأشد الحجر على بطني». وفي الصحيح عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: «إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله الموعد، إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فحضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال: «من يبسط رداءه حتى أُفضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني»، فبسطت بردة عليَّ حتى قضى حديثه، ثمّ قبضتها إليَّ، فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد».

وهذه الرواية تكشف عن سبب إكثاره في رواية الحديث، وقد وردت من طرق متعددة ـ والأخبار في ذلك كثيرة.

وتوفي أبو هريرة سنة سبع وخمسين على الراجح، وعمره ثمان وسبعون سنة.

٣ ـ المباحث اللغوّية:[2]

«**اجتنبوا السبع الموبقات**»، **الاجتناب**: الابتعاد، وأصله جعل الشيء على جنب، واجتنبوا، أبلغ من: اتركوا ـ **الموبقات**: المهلكات، يقال: وبق يبقُ، موبق يَوبَق فهو وَبِق: إذا هلك، وأوبقه غيره: أهلكه، فهو موبَق.

---

١ ـ أهل الصُّفَّة: كانوا أضياف الاسلام، وكانوا يبيتون في مسجده صلى الله عليه وسلم، والصُّفَّة: موضع مظلل من المسجد.

٢ ـ راجع المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، والنهاية لابن الأثير.

Marfat.com

«الشرك بالله» ، **شرك الانسان في الدين على ضربين: أحدهما:** الشرك العظيـم، وهو اثبات شريك لله تعالى وإشراكه في العبادة، وهو أعظم المحرمات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1].

الشرك الصغير: وهو مراعاة غير لله معه في بعض الأمور، ومنه الرياء والنفاق.

«السحر» السِّحْر بالكسر: يطلق على كل ما لطف مأخذه ودقَّ وخفى، وأصله من السَّحَر ـ بالفتح والتحريك ـ بمعنى طرف الحلقوم، أو الرئة، لأنهما باطنان خفيان، ويطلق على معانٍ: منها: التخييل الذي لا حقيقة له كالذي يفعله المشعوذ بخفة يده. فيخدع به العيون حتى ترى ما ليس واقعاً واقعاً ـ ومنها: ما يحصل بمعونة الشيطان، بالتقرب إليه بالمعاصي، فيؤثر في القلوب بنحو الحب والبغض، وفي الأجسام بنحو الألم والسقم. ومنها: استخدام ما يغير الصور والطبائع على وجه التخويف، كاستخدام خواص الأشياء وطبائعها التي لا يعرفها العامَّة، كخاصية جذب المغناطيس للحديد، وبعض الخواص «الكيماوية» للمواد ـ ثم استعمل في كل شيٍ حسن دقيق يأخذ الألباب، ومنه الحديث «إن من البيان لسحرا».

«أكل الربا»، الربا **في اللغة**: الزيادة، مصدر ربا الشيٍ يربو إذا زاد، ومنه الربوة، **وفي اصطلاح الفقهاء**: الزيادة على رأس المال من وجه خاص. بينته السنة النبوية، والمراد بأكل الربا: أخذه. والتعبير عنه بالأكل لأنه معظم ما يقصد له المال.

«اليتيـم» اليتيـم من ا لانسان: الذي فقد أباه، ومن الحيوان، ما فقد أُمه.

«التولي يوم الزحف»، **التولي: الفرار والزحف**: الانبعاث مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل أن يمشي. وزحف الجيش مشيه إلى عدوه في ثقل لكثرته.

«وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»، **القذف**: الرمي بقوة، والقذف هنا: الرمي بالزنى أو ما كان في معناه، وأصله الرمي، ثم استعمل في هذا المعنى حتى

---

١ ـ الآية ٤٨ النساء.

Marfat.com

غلب عليه ـ **المحصنات**: العفيفات اللاتي أحصنَّ نفوسهنَّ من الخنا، مأخوذ من الحصن، وهو المكان المنيع، كأن نفوسهن في حصن من العفاف ـ **الغافلات**: اللاتي لم تخطر الفاحشة على بالهن لسلامة صدورهنَّ، وطهارة قلوبهن، فهن ساهيات عن المنكر، والوصف به أبلغ في الدلالة على الطهر من الوصف بالمحصنات.

٣ ـ المعاني والأحكام[1]

آ ـ من فضل الله على هذه الأمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هداها إلى سبيل الخير، وصراط الله المستقيم، ودعاها إلى فعل الطاعات التي تقربها إلى الجنة. كما حذرها من سبل الشر ومسالك الغواية، ونهاها عن ارتكاب المعاصي والسيئات.

وليست المعاصي على درجة سواء، فإنها تتفاوت بتفاوت أضرارها، فتعظم إذا اشتد ضررها وكثر خطرها، وعاقت الحياة الأنسانية عن الخيرات، وتصغر إذا خفَّ ضررها وهان شأنها، ولم يكن لها التأثير البالغ على التقوى والعمل الصالح. فإن هذه يكفرها اجتناب الكبائر.

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث باجتناب السبع الموبقات، لأنها من أُمهات الكبائر. وتخصيصها بالذكر لا يعني حصر الموبقات فيها، حيث ورد في الأحاديث المتعددة ذكر غيرها، كالزنى، والسرقة، والغلول، والالحاد في الحرم، وشرب الخمر، والعقوق، واليمين الغموس، وشهادة الزور، والنميمة، ونكث البيعة، وفراق الجماعة، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمته، والجمع بين الصلاتين من غير عذر، فما ورد زائداً عن هذه السبع المذكورة في حديثنا يجب الأخذ به، وربما كان الاقتصار على السبع بالنسبة إلى السائل، أو من وقعت له واقعة بعينها.

---

١ ـ راجع فتح الباري، شرح البخاري، لابن حجر.

Marfat.com

وقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة، ومن أحسن التعاريف التي اختارها ابن حجر قول القرطبي: كل ذنب أُطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علّق عليه الحد، أو شدّد النكير عليه فهو كبيرة. وقد تكون الصغيرة كبيرة بالاصرار عليها.

ب ـ وأولى الموبقات السبع الشرك بالله. فإنه أعظم الذنوب، حيث يتنافى مع عقيدة التوحيد التي بعث الله بها الرسل، ويناقض الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وهو اعتداء صارخ على خصائص الألوهية التي تقتضي عبادة الله وحده، والتوجه إليه في السراء والضراء. فإليه يرجع الأمر كله، بيده الخير، وهو على كل شيٍ قدير. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يملك الضر والنفع، إذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها، وإذا أمسك فلا مرسل لها من بعده، له وحده الكمال المطلق، والتعظيم والاجلال، والخشية والدهاء، والرجاء والانابة، والتوكل والتوبة، والاستعانة والحب. ولا حكم إلا ما شرع أو شرع بنبيه صلى الله عليه وسلم بالنص أو الفحوى، والشرك بالله اعتداء على هذا كله، ولذا أخبر الله أنه لا يغفره لمن لم يتب، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت مشيئة الله

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1].

والعقيدة الاسلامية هي التي انتهى إليها أمر الرسالات السماوية كلها في توحيد الله عز وجل، وتجرد النفس إليه تجرداً كاملاً، لتحقيق عبوديتها لله وحده دون سواه

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

ويقتضي هذا أن تتخلّص النفوس من ضروب الشرك التي تحجبها عن الله، أو تشتت شملها، وتمزّق وحدتها.

فالقلب الذي يؤمن بوحدانية الله تعالى يتجه بمشاعره إلى اللهً، في السراء

---

١ ـ الآية ٤٨ النساء.

٢ ـ الآية ٢٥ الأنبياء.

Marfat.com

والضراء، يشكره في الأُولى، ويسأله دفع الضرّ في الثانية، ويخلص النية له سبحانه، لأنه وحده علام الغيوب، ويستعلي على الأهواء والشهوات، فلا تستذلُّه شهوة، ولا يستعبده هوى، ويجعل الحياة كلها لله، وفي سبيل الله.

ج ـ وثاني هذه الموبقات السبع السحر، والسحر بضروبه المختلفة، سواء ما يقع منه بخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ في حركات سريعة، أو ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، أو ما يستعان فيه بخواص المادة، أو ما يكون من الطلاسم ومخاطبة الكواكب، هذا السحر بضروبه مفسدة كبيرة، وإثم عظيم، يشغل الناس بأباطيله، ويزلزل عقيدتهم بآثاره، ويفرّق بين الزوج وزوجه، ويمزق النفوس، ويشتت القلوب، ويوهن العزائم، ويصيب الأجسام بالأمراض والعلل.

وجمهور العلماء على إثبات السحر، وأن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود، لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق، أو تركيب أجسام، أو مزج بين قوًى على ترتيب مخصوص. ونظير ذلك ما يحصل من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً.

والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة، أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك، بل إنما تقع غالباً اتفاقاً، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة التحدي. ونقل إمام الحرمين[1] الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخيلات بغير حقيقة، وإيهامات بغير

---

١ ـ هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني

Marfat.com

ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون ﴿ وجاؤوا بسحرٍ عظيم ﴾ مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصياً، ثم قال، والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب، كالحب والبغض، وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكور أن الجماد ينقلب حيواناً أو عكسه بسحر الساحر، ونحو ذلك.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن السحر كفر، وأن متعلمه كافر، وأن عقوبته القتل، وفي الحديث «حد الساحر ضربة بالسيف»[1] وهذا واضح في بعض أنواعه، التي يستعان فيها بالشياطين أو الكواكب، أما ما يكون من باب الشعوذة فلا يكفر صاحبه. قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا، ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر، واستتيب منه وإلا يقتل، فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزّر.

وعن مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب، بل يتحتم قتله كالزنديق. وبقول مالك قال أحمد وأبو حنيفة وجماعة من الصحابة والتابعين. وهذا ما يدل عليه ظاهر الآية: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[2] فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر. وكذا قوله في الآية على لسان الملكين: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر، فيكون العمل به كفراً.

د ـ وثالثة السبع الموبقات، قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، فإن الاسلام يعصم دم صاحبه، ويجعل للنفس حرمتها، صيانة لها، حتى يسود الأمن أُمة الإسلام،

---

١ ـ رواه الترمذي

٢ ـ الآية ١٠٢ البقرة.

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

ويتذوق الناس طعم الحياة الآمنة المطمئنَّة، فيغدون ويروحون، ويكدون ويكدحون، وينعمون برزق الله، فمن الجرائم الكبرى أن يعتدى على حرمة هذه النفس، وأن يستباح حماها، فتزهق روحها البريئة، ويراق دمها الزكي، فيتيتم الأطفال وترمل النساء، وتفقد الأسرة عائلها، وينتشر الذعر بين الناس، وتتأجج نار العداوة والبغضاء، ويروَّع الآمنون، ويتوالى الانتقام والثأر. فلا غرَو أن يقول الله تعالى في عذاب القاتل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[1] ولذا شرع الإسلام القصاص، وجعل فيه الحياة ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

وإنما تزول عصمة النفس المؤمنة بحق الله عليها، إذا قتلت عدواناً وظلماً، فإنها تقتل قصاصاً، أو إذا أعفَّها الله بالزواج ثم انتهكت عرضاً، أو خرجت عن الدين، وفارقت جماعة المسلمين، أو حاربت الله ورسوله. فإن تلك الجرائم التي تهدد كيان المجتمع، وتنذره بالدمار، لا علاج لها إلا بقتل ذويها، سلامة للأمة، وصيانة لحرماتها:

هـ ـ ورابعة الموبقات أكل الربا. فإن الإسلام يقيم نظامه الاقتصادي، بل نظام الحياة كلها، على أساس أن الله تعالى هو خالق هذا الكون بما فيه، ومالكه. وقد استخلف الانسان في أرضه، ومكنه مما ادخر له فيها من أرزاق وأقوات، ومن قوى وطاقات. شريطة أن يقوم بهذه الخلافة وفق شريعة الله... فما وقع منه من عقود وأعمال ومعاملات وفق ما شرع الله فهو صحيح نافذ، وما وقع منه مخالفا فهو باطل.

وقد شرع الله لعباده الانتفاع برزقه الذي أعطاهم على أساس من التكافل في المعاوضة وتبادل المنفعة ـ لا على قاعدة الشيوع المطلق كما تقول الماركسية، ولا على قاعدة الملكية المطلقة المستغلَّة كما تقول الرأسمالية ـ ولكن على أساس الملكية

---

١ ـ الآية ٩٣ النساء.

٢ ـ الآية ١٧٩ البقرة

Marfat.com

الفرديَّة المقيَّدة في الكسب من الوجوه المشروعة، مع التزام جانب القصد والاعتدال في الاستمتاع بالطيبات التي أحلَّها الله، والتزام تنمية المال بوسائله الحلال التي لا ينشأ عنها أذى للآخرين.

ومن ثمَّ فإن الربا يصطدم مع هذا التصوُّر الإيماني، لأنه نظام يقوم على تصور آخر. لا رعاية فيه للمبادئ والغايات للمبادئ التي يريد الله للبشر أن تقوم حياتهم عليها. إنـه يقوم على أساس ان الإنسان سيد نفسه، وسيد هـذه الأرض. فهـو غير باتباع أوامر الله، ويقوم على أساس أن غاية الوجود الإنساني هي أن يحصل الإنسان على المال بأي وسيلة، ويستمتع به على النحو الذي يهوى، ثم يؤدي هذا في النهاية إلى نظام يسحق البشرية لمصلحة حفنة من المرابين.

وقد توعد الله من اقترف الربا بالمحق، وآذنه بالحرب، إلا من تاب واكتفى بأخذ رأس ماله فإن الله يتوب عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[1].

و ـ وخامسة السبع الموبقات أكل مال اليتيم. حين يحتضر المرء ويلقي نظرته الأخيرة على الحياة الدنيا مودعاً لها، يجد قلبه معلقاً بفلذات كبده الصغار، الذين يتركهم على ضعف، فيخشى عليهم الضياع، والإسلام يرعى هذه الفراخ الزغب في يتمها، حتى تشب عن الطوق، وتبلغ رشدها، وتقوى على تحمل أعباء الحياة، واقتحام مصاعبها، وخوض غمارها، فعلام الخشية؟

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾[2].

إن التكافل بين أبناء الإسلام هو حجر الزاوية في بناء مجتمعه، والإسلام يفرض لكل يتيـم كافلاً، يقوم على تربيته، وإصلاح شأنه، وتقويم سلوكه، ويقوم كذلك على تنمية ماله، ومخالطته مخالطة أُخوة ترعى مصالحه في ظلِّ العقيدة الإسلامية

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[1].

---

١٠ ـ الآية ٢٧٩ البقرة

٢ ـ الآية ٩ النساء.

١ ـ الآية ٢٢٠ البقرة

Marfat.com

والمال قوام حياة المجتمع والحفاظ على مال اليتيم حفاظ على مال الأمة، ومن هذا المنطلق يتولّى كافل اليتيم إثراء ماله حتى يعيش منه، وتكون نفقته من ربحه، فلا ينقص رأس ماله ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾[1]. وللكافل إذا احتاج أن يأخذ عوضاً عن جهده في تنمية مال يتيمه بالمعروف. وإذا استغنى أن يستعف بماله ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2].

ويتولى وصيُّ اليتيم تدريب يتيمه على تصريف شؤونه، ويختبره بما يناسبه، ولا يكاد يبلغ الحلم ويأنس فيه القدرة على حسن التصرف حتى يرد إليه ماله ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ۖ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ﴾[3].

وإلى الذين تسول لهم نفوسهم أن التهاون في مال اليتيم هذه الصورة المنفرة التي يتطاير شررها ويمتد لهيبها إلى حوايا الظالمين الآثمين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾[4].

ز ـ وسادسة السبع الموبقات التولي يوم الزحف. فإن المسلم يعيش لعقيدته، يذود عن حماها، ويحمل لواءها، ويجاهد في سبيلها، فيقاتل أعداء الله انتصارا للحق، وعلواً للدين، ويقدم على الموت في ساحة الوغى إقدامه على الحياة، وكيف؟ وهو يعلم أن الشهادة في سبيل الله هي الحياة الأبدية في دار النعيم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[5].

والمؤمن لا يعرف الجبن، ولا يجد الوهن إلى نفسه سبيلا، لأنه يوقن أن الآجال محدودة، وأن الأرزاق مقدرة ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، ولأن يموت شهيداً في ميدان القتال خير له من أن يموت على فراشه كما يموت البعير ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾[6].

---

١ ـ الآية ٥ النساء
٢ و ٣ ـ الآية ٦ النساء
٤ ـ الآية ١٠ النساء
٥ ـ الآية ١٦٩ آل عمران
٦ ـ الآية ٧٨ النساء

Marfat.com

ولقد عقد الله البيعة مع المؤمنين أن يبذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمته، وأن يعطيهم على ذلك الجنة، وتوعَّد الفارِّين الهاربين عند الزحف أشد الوعيد، مالم يكن الفرار خدعة من خدع الحرب، يحاول بها الفارُّ أن يكتسب للمسلمين نصراً أو يوقع بالكفار هزيمة، كأن يميل إلى مكان من أمكنة القتال يكون أحوج إليه من مكانه، أو يوهم العدو أنه منهزم فإذا تبعه كرَّ عليه فقتله، أو ينحاز إلى جماعة أخرى من المؤمنين غير الفئة التي كان فيها والكتيبة التي كان معها لينصرهم على عدو تكاثر جمعه وهجم عليهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

حـ ـ وخاتمة السبع قذف المحصنات المؤمنات الغافلات، فإن العرض هو مناط شرف الإنسانية، وقد توارثت حرمته الملل جميعاً، صيانة للنسب، وحفاظاً على طهارته، حتى يكون تناسل البشرية نقيا نظيفاً، تتربى في كنفه الأجيال التي تربطها مع آصرة الدين أواصر الرحم والمصاهرة والطهر والعفاف. فالمرأة المؤمنة التي تحصَّنت بالعفَّة، وائتزرت بالطهر وطابت سريرتها، فلا يخطر على بالها الخنا، ولا يتطرَّق إلى قلبها الفحش، امرأة نقية الخافية، طاهرة الذيل، لا يلِغ في عرضها إلا أفَّاك أثيم، ينتهك الحرمات ويتطاول على العفيفات، ويهدم كيان الأسر، ويمزِّق شمل الجماعة، ويشيع الفاحشة بين الناس، ويدنِّس عرض الأمة، وينال من شرفها، ويزرع الأحقاد والضغائن بين أبنائها، قد جاء شيئاً إدّاً[2] وارتكب جرماً عظيماً، فاستحقَّ العقوبة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

تلك هي السبع الموبقات، التي لا يقربها إلا العتاة الفاسقون، فليأخذ المسلم حذره منها، وينأى عن أوزارها، ويخشى وعيد الله فيها، حفاظاً على دينه، وسلامة لأمته.

---

١ ـ الآيتان ١٥و١٦ الأنفال ٢ ـ أي أتى أمراً منكراً ٣ ـ الآية ٢٣ النور

Marfat.com

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سَمع رسول الله صلى الله عليه وسلـم يقول : «إنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَني إسرائِيلَ : أَبْرصَ ، وأقْرَع ، وأعْمَى . فَأرادَ الله أنْ يَبْتلِيَهم ، فَبَعَثَ إلَيهِم مَلَكاً . فَأتى الأبْرصَ ، فَقَال : أيُّ شَيءٍ أحَبُّ إلَيْكَ ؟ قال : لَوْن حَسَنٌ ، وجِلْدٌ حَسَن ، وَيذْهَبُ عَنيِّ الذِي قَذَرني النَّاسُ بِهِ ، قال : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنه قَذَرُهُ ، فَأُعْطِيَ لَوناً حَسَنَا . قال : فَأيُّ المَالِ أَحَبُّ إليك ؟ قال : الإبِلُ ، أو البقر . شك اسحاق . فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَراء ، وقال : بارِكَ الله لَكَ فيها . قال : فأتى الأقرَع ، فَقَال : أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ قال : شَعْرٌ حَسَن ، ويذهب عني الذي قد قَذَرني الناسُ به . فَمسحه ، فَذهب عنه ، وأُعْطِي شَعْراً حسنا ، فقال : أيُّ المالِ أحبّ إليك ؟ قال : البقرُ ، أو الإبل ، فَأُعْطِيَ بَقرةً حَامِلاً ، قال : بارِكَ الله لك فيها ، فأتى الأعْمى . فقال : أيُّ شيءٍ أَحَبُّ إلَيْكَ ؟ قال : أنْ يَردَّ الله إلي بَصَري فأُبصِرَ به الناس . فَمَسَحَه ، فردَّ الله إليه بَصَرَه . قال : فَأيُّ المالِ أَحَبُّ إليك ؟ قال : الغَنَـمُ . فَأُعْطِيَ شَاةً والِداً . فَأُنْتِجَ هَذَانِ ، وَوَلَّدَ هَذَا ، فكان لِهَذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر . ولهذا وادٍ من الغنـم . قال : ثـم إنَّهُ أتَى الأَبْرصَ في صورته وهيئتِه ، فقال : رجلٌ مسكينٌ قد انْقَطَعَتْ بي الحِبَالُ في سَفَري ، فلا بُلوَغ لي اليومَ إلاَّ بِاللهِ ثـم بِكَ ، أسألُكَ بالذي أعطاكَ اللوَن الحسنَ والجلدَ الحسنَ والمالَ ، بَعِيراً أتَبَلَّغُ به في سَفَري . فقال : الحقُوق كَثِيرةٌ . فقال : كَأنِّي أعْرفُكَ ، أَلَـمْ تَكُنْ أبرصَ يَقْذَركَ الناسُ ؟ فقيراً فأعطاك الله عز وجل المالَ ؟ فقال : إنما ورثتُ هذا المالَ كَابِراً عَنْ كَابِر ، فقال : إنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فصيّرك الله إلى ما كنتَ ، وأتَى الأَقْرَع في صُورتِهِ ، فقالَ له مثلَ ما قَالَ لهذا ، وَردَّ عليه مثل ما رَدَّ عَليه هذا . فقال : إن كُنْتَ كَاذِباً فصيّرك الله إلى ما كنتَ . قال : وأتَى الأعْمى في صُورته ، فقال : رجلٌ مِسكِينٌ وابنُ سَبِيلٍ ، قد انقَطَعَتْ بيِ الحِبَالُ في سفري فلا بَلاغَ ليِ اليَومَ إلا بالله ثـم بِكَ ، أسألُكَ بالذِي رَدَّ عليك بصرك شاةً أتَبَلَّغُ بها في سفري . فقالَ : قَدْ كُنْتُ أعْمَى فردَّ الله عَلَيَّ بصَري . وفقيراً فقد أَغْنَانِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ . ودَعْ مَا شِئْتَ . فوالله لاَ أجْهَدُكَ اليومَ بِشَيءٍ أخَذْتَه لله ، فقال : أمْسِك

Marfat.com

مالَكَ، فَإنَّما آبْتُلِيتُـمْ، فَقَدْ رضِيَ الله عَنْكَ. وسَخِطَ عَلى صَاحِبَيْك»[1].

---

١ ـ **الترجمة**: سبقت ترجمة أبي هريرة.

٢ ـ **المباحث اللغوية**:[2]

«**إسْرَائِيلَ**» هو يعقوب عليه السلام. و«إسرا» في لغتهم: صفوة، أو عبد، و «إئيل» اسـم الله تتعالى، ومعنى «إسرائيل» في لسانهم: صفوة الله، أو عبد الله. وبنو إسرائيل: أي ذرية يعقوب بن اسحاق بن إبراهيـم، وإسرائيل: لقب يعقوب. ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

«**أَبْرَص**» البرص: بياض يظهر في ظاهر البدن. يقال: برِص كفرح، فهو أبرص.

«**أَقْرع**» قرِع: كفرح: ذهب شعر رأسه، فهو أقرع «يبتليهم» أي يختبرهم. وبلْوَتُه: اختبرته.

«قذرني الناس به» اشمأزوا من رؤيتي بسببه.

«**فَمَسَحه**» أي مسح على جسمه.

«الإبل، أو البقر ـ شك إسحاق ـ» أي أن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة راوي الحديث قد شك في أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل، وقال الآخر البقر.

فَأُعْطِيَ نَاقة عُشَراء» أي أُعطي الذي تمنى الإبل، **والناقة العشراء**: بضـم العين المهملة، وفتح الشين المعجمة مع المد: هي الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل، وقيل يقال لها ذلك إلى أن تلد، وبعد أن تضع، وهي من أنفس المال.

---

١ ـ أخرجه ومسلـم.

٢ ـ راجع المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، والقاموس المحيط، والنهاية لابن الأثير.

Marfat.com

بارك الله لك فيها: نـمّاها وجعل فيها الخير، والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

«**فمسحه**» أي مسح على عينيه. بالنسبة إلى الأعمى، وعلى رأسه بالنسبة إلى الأقرع.

«**شاة والدا**» أي ذات ولد، ويقال هذا كذلك للحامل باعتبار أنها ستكون ذات ولد.

«**فَأُنتج هذان**» أي صاحب الإبل والبقر. والمعنى: تولى نتاجها. والمشهور في اللغة: نُتجت الناقة: بضم النون. ونَتَج الرجل الناقة: أي حمل عليها الفحل. وقد سمع: أُنْتِجَتْ الفرس: إذا ولدت. وفي بعض الروايات «فنتج هذان» والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

«**و ولّد هذا**» أي صاحب الشاة. و ولّد: بتشديد اللام: أي تولى ولادتها، فهو بمعنى نتج وأُنتج في الناقة، فالمولِّد، والناتج، والقابلة، بمعنى واحد. ولكن خصت القابلة بالإنسان.

«**واد**» أصل الوادي: الموضع الذي يسيل فيه الماء.

«**ثـم إنه أتى الأبرص في صورته**» أي في الصورة التي كان عليها لمّا اجتمع به وهو أبرص. ليكون في ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليه.

«**انقطعت بي الحبال في سفري**» الحبال: جمع حَبْل. والحبل: معروف، واستعير للوصول، وكل ما يتوصل به الى شيء ويكون سببا فيه. والمراد هنا: الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق، فانعدمت وسائل كسبه في حال سفره. وقد أراد الملك بهذا أن يعرض له بما كان عليه. أي أنك كنت هكذا، فهو من المعاريض. والمراد به: ضرب المثل ليتيقظ المخاطب.

«**فلا بلوغ إلى اليوم**» البلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى المقصد، أي لا أصل إلى مقصدي اليوم إلا بالله ثم بك.

Marfat.com

«أتبلّغ به» من البلغة، وهي الكفاية. والمعنى: أتوصل به إلى مرادي.

«ورثت هذا المال كابراً عن كابر» الكبير، والكابر: الرفيع الشأن، أو ورثته من كبير عن كبير في العز والشرف.

«لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله» أي لا أشق عليك في رد شيء تطلبه مني أو تأخذه.

«رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» الرضا: يقتضي الرحمة. والسخط: الغضب الشديد، وهو يقتضي العقوبة. وبهذا كان مزاج الأعمى أصح من مزاج رفيقيه. لأن البرص مرض يحصل من فساد المزاج وخلل الطبيعة. وكذلك القَرَع، بخلاف العمى، فإنه لا يستلزم ذلك. بل قد يكون من أمر خارج. فلهذا حسنت طباع الأعمى، وساءت طباع الآخَرَيْن فيما روي بالحديث. فكان الوصف مناسبا.

٣ ـ المعاني والأحكام: [1]

ا ـ تشتمل أخبار بني إسرائيل على كثير من العظات البالغة، والعبر النادرة، ولهذا تأثيره في هداية النفس والاعتبار بأحوال الماضين. وقد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحدث عن بني إسرائيل بما لا نعلم كذبه، فقال: «بلغوا عني ولو آية. وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[2]. ولا ضير علينا في أن نحكي أخبارهم الصحيحة. وإن كانت تشتمل على ما لا يليق، لأن القصد من ذلك العبرة. فإذا جاء الإخبار عنهم بما صح من حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم، فهذا أدعى للأخذ به، والاتعاظ بما فيه، ومن ذلك ما جاء في هذا الحديث، فإنه ثابت في الصحيحين.

وما لم يثبت لدينا صحته ولا كذبه من أخبارهم فإننا نتوقف عنه لقول رسول الله

---

١ ـ انظر شرح الحديث في فتح الباري لابن حجر، وشرح مسلم للنووي.

٢ ـ رواه البخاري.

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»[1]. لأنه قد يكون صدقا، وقد يكون كذبا.

وجواز ذكر ما صح من أخبارهم التي تتضمن الحديث عن الأحوال السيئة لأفراد منهم لا يكون غيبة فيهم، لأن ذكره يكون للاتعاظ به. وهذا هو السر في ترك تسميتهم بأسمائهم.

ب ـ من مقتضيات التوحيد الاعتراف بنعمة الله تعالى، ونسبتها إلى المنعم المتفضل، وأداء حق الله فيها وبذلها فيما يجب. وهذه هي أركان الشكر الواجب لله تعالى، تحرزا من كفران النعمة، وقد ورد الأمر بشكر الله على نعمه في كثير من آيات القرآن الكريم بما يدل على اختصاصه تعالى بذلك، لأن الشكر ضرب من العبادة ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2]. ويقابل هذا كفران النعمة الذي جاء النهي عنه ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[3]. ووعد الله الشاكرين لنعمه أن يزيدهم من فضله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[4]. وتوعد الجاحدين بأشد العذاب ﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[5]. وهذا النوع من الشكر هو الشكر على أصل النعم، وهو مختص بالله تعالى. أما ما يجريه الله تعالى على يد الناس من فعل المعروف الذي يسدى إليك، فإن شكر صاحبه بهذا الاعتبار أمر مرغوب فيه، لإشاعة روح الود، وتوثيق صلات الحب، وهو من باب الاعتراف بالجميل.

جـ ـ يسعى الإنسان في أسباب المعيشة، ويبذل جهده في وسائل الكسب الحلال. ولكن الأرزاق بيد الله، يرزق من يشاء. وكثير من الناس يكد ويكدح فيجني ثمرة ذلك في كسب محدود، وقد يوفقه الله إلى ربح وفير، ويفتح عليها أبواب رزقه، ويغدق عليه من نعمه، بما لا يكون في حسبانه. فيرفل في بحبوحة النعيم، وبلهنية

---

١ ـ رواه البخاري.

٢ ـ الآية (١٧٢) من سورة البقرة.

٣ ـ الآية (١٥٢) من سورة البقرة.

٤و٥ ـ الآية (٧) من سورة إبراهيم.

Marfat.com

العيش، ومن الناس من يعمل ثم لا يواتيه الحظ في الكسب، فيخيب أمله، ولا يتحقق رجاؤه، وذلك من الله بلاء ومحنة.

وقد أفاء الله على أمتنا من نعمه، وفجر لنا ينابيع الثراء في أرضه، ورزقنا من حيث لا نحتسب. فأطعمنا من جوع، وآمننا من خوف. وهذا امتحان منه تعالى، ليبلونا أنشكر أم نكفر؟ أنطيع أم نعصي؟ فمن حق الله علينا أن نعترف بآلائه، وأن نضيفها إليه وأن نبذلها في مرضاته. حتى يديمها الله ولا يسلبها منا، فإن الدنيا حلوة خضرة، والافتتان بها من أعظم البلاء، الذي يسبب الهلاك والدمار، ويقضي على حياة الأمم. ولم يخش علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفقر، وإنما خشي علينا هذه الفتنة «**لا الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**»[1].

د ـ إن ما يحصل عليه الإنسان من مال أو جاه أو منصب، لا يناله إلا بتوفيق الله. فلا يجوز له أن ينسبه إلى مهارة في كسبه، أو جدارة في شخصه، أو استحقاق له عند ربه، أو شرف أوتيه. فإن هذا كله يتنافى مع عقيدة المؤمن، وقد كان الكفار يدعونه لأنفسهم، ويرون أنهم جديرون بأحسن منه في الآخرة إن كان هناك بعث وحساب وجزاء. فذكر الله في شأنهم ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾[2].

ويقول الله تعالى مخبرا عن قارون: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾[3].

---

١ ـ رواه البخاري. ٢ ـ الآية (٥٠) من سورة فصلت. ٣ ـ الآيات (٧٦ ـ ٧٨) من سورة القصص.

Marfat.com

هـ ـ الصدقة على الفقراء والمعوزين من وجوه البر التي أكدها الإسلام. شكرا للنعمة، وآداء للبر، وطهارة للنفس، ومواساة لذوي الحاجة. فهي بلسم يتحسس جراح البائسين، فيداويها برفق، ويعالجها في حكمة. ولها آثارها الاجتماعية في توثيق أواصر أبناء الأمة، والقضاء على الأحقاد والضغائن، واستئصال شأفة الحرب الطبقية. وهي منهج إنساني في بناء الحياة الاقتصادية في الإسلام، يحول دون تسرب النظم المتطرفة الأخرى، شرقية كانت أو غربية. فالإسلام يحث على الرفق بالضعفاء، ويدعو إلى إكرامهم، ويعينهم على بلوغ مآربهم. ونفس المؤمن نفس سخية، تنفق في جود وعطاء، ولا تخشى من ذي العرش إقلالا. وترجو ان تؤجر على ما تنفق أضعافا مضاعفة ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1].

أما البخل فإنه داء وبيل، يورث جحود النعمة، ويبعث على الكذب، ويمزق شمل الأمة، ويزرع العداوة فيما بينها. وهو دليل على أن صاحبه لا ثقة له فيما عند الله، ولا إيمان لديه بوافر عطائه. فيعيش ملتاع الفؤاد، قلق النفس، يتهالك على دنياه، ويعبد المال من دون الله. «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم»[2]. ويكفي أن البخيل يستحق سخط الله، وسلب نعمة الله منه.

و ـ ولله ملك السموات والأرض، وما من شيء يعرض للإنسان في حياته إلا وقد قدره الله، من خير أو شر. بيده سبحانه مقاليد الأمر، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، وما يمنحه الله للناس من قدرات يعينون بها إخوانهم. إنما يرجع الفضل إلى الله وحده الذي يجري الخير على يد من يشاء من عباده. ولذا لا يجوز العطف بالواو على الله تعالى فيما يكون من الإنسان تابعا لمشيئة الله وأفضاله على عباده. حتى يكون التوحيد خالصا لله. فإن الواو تقتضي التشريك. وإنما يجوز العطف بثم. وقد

---

١ ـ الآية (٢٦١) البقرة.

٢ ـ من حديث في الصحيحين.

Marfat.com

جاء في هذا الحديث «فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك» ونظير هذا الحلف بغير الله، وقد جاء الأمران فيما روي «أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت»[1].

٣ ـ عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كَبِرتُ فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه. فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه، وسمع كلامه، فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب، وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذا أتى على دابّةٍ عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليومَ أعلم الساحِرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجرا. فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أَيْ بُنَيَّ، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبْتَلَى، فإن ابتُليتَ فلا تدل عَلَيَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس لِلْـمَلِك كان قد عَمِي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنالك أجمعُ إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله. فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌّ غيري، قال: ربي وربك الله. فأخذه، فلم يزل يعذبه حتى دَلَّ على

---

١ ـ رواه النسائي وصححه.

Marfat.com

الغلام. فجيءَ بالغلام، فقال له الملك: أيْ بُنَيَّ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتَفْعَلُ وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله. فأخذه، فلم يزل يعذبه حتى دَلَّ على الراهب، فجيءَ بالراهب. فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى. فدعا بالمئشارِ، فَوضَعَ المئشارَ في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيءَ بالغلام، فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه. فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعَدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطْرحوه. فذهبوا به، فصعِدوا به الجبل. فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي إلى المَلِك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقُور. فتوسّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به. فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صُدْغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فَأُتيَ الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نَزَل بك حَذَرُكَ، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فَخدَّت، وأضْرَم النيران. وقال: من لم يرجع عن دينه فَأَحْمُوه فيها. أو قيل له: اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام، يا أُمَّه، اصبري، فإنّك على الحق» رواه مسلم.

Marfat.com

١ ـ الترجمة لراوي الحديث:ـ[١]

صهيب بن سنان بن مالك المعروف بالرومي، لأنه نشأ بالروم، أو سَبوْه صغيرا فصار ألكن، ثـم اشتراه رجلٌ من كَلْب، فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه.

أسلـم ورسول الله صلى الله عليه وسلـم في دار الأرقـم، وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله، وهاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب في آخر من هاجر، وشهد بدرا والمشاهد بعدها.

روي أنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين، فسئل، فقال: يا معشر قريش، إني منْ أرماكـم. ولا تصلون إليَّ حتى أرميكـم بكل سهم معي، ثـم أضربكـم بسيفي، فإن كنتـم تريدون مالي دللتكم عليه، فرضوا، فعاهدهم ودلهم، فرجعوا، فأخذوا ماله. فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلـم قال له: ربح البيع. فأنزل الله عز وجل ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[٢]. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلـم قال: «السُّبَّاقُ أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق الفرس»[٣].

ولما مات عمر رضي الله عنه أوصى أن يصلي عليه صهيب. وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام.

وعن صهيب قال: لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلـم مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يَسْرِ سرّية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله. وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم. وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلـم بيني وبين العدو قط حتى توفي.

---

١ ـ راجع الإصابة. وتهذيب التهذيب. وكلاهما لابن حجر.
٢ ـ رواه ابن عدي.
٣ ـ رواه ابن عدي والطبراني.

Marfat.com

ومات صهيب سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين.

٢ ـ المباحث اللغوية:[١]

«فابعث إلي غلاما» الغلام: الطارّ الشارب. ويطلق على العبد والأجير، والجمع غِلْمة وغلمان.

«فكان في طريقه إذا سلك راهب» السلوك: النفاذ في الطريق، والراهب: العابد. من الترهّب: بمعنى التعبد، وأصله من استعمال الرهبة. أي الخوف من الله.

«حبسني أهلي»: منعني أهلي، والحبس: المنع من الانبعاث.

«ستبتلى»: ستختبر وتمتحن.

«الأكمه»: الذي يولد أعمى.

«سائر الأدواء»: بقيتها.

«المئشار»: مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروي «المنشار» بالنون، وهما لغتان صحيحتان: الآلة التي ينشر بها الخشب. سمي كذلك اعتبارا بما ينشر منه عن النحت، أى يتطاير وينتشر.

«مفرق رأسه» وسطها، حيث يكون موضع افتراق الشعر.

«بلغتم ذروته» ذروة الجبل: أعلاه. بضم الذال وكسرها.

«رجف بهم الجبل» أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

«كفانيهم الله» أغناني الله عن التخلص منهم بهلاكهم وبلوغ مرادي فيهم.

«قُرْقُور» القرقور: بضم القافين: السفينة الصغيرة، وقيل: الكبيرة، والجمع قراقير.

«انكفأت بهم السفينة» أي انقلبت.

«صعيد واحد» الصعيد هنا: الأرض البارزة. ويطلق على وجه الأرض باعتبار الغبار الذي يصعد منها، من الصعود؛ وهو الذهاب إلى الأمكنة المرتفعة.

---

١ ـ راجع النهاية لابن الأثير، ومفردات الراغب والقاموس.

Marfat.com

«كنانتي» الكنانة: جُعبة السهام. من الكِن، وهو ما يحفظ فيه الشيء.

«كبد القوس» ما بين طَرْفي عُلاَّقتها، حيث يكون مقبضها عند الرمي. والقوس: آلة على شكل نصف دائرة تُرمى بها السهام، وهي مؤنثة، وقد تذكر.

«نزل بك حَذَرُك»: أي ما كنت تحذر وتخاف.

«الأخدود»: الشَق العظيم المستطيل الغائص في الأرض. وجمعه: أخاديد، وأصل ذلك من خَدّي الإنسان. وهما ما اكتنفا الأنف عن اليمين والشمال.

«أفواه السكك» السكك: الطرق، وأفواهها: أبوابها.

«أضرم النيران» أشعلها.

«فأحموه فيها» بهمزة قطع: أي ارموه فيها، من قولهم: حميت الحديدة ونحوها: إذا أدخلتها النار لتسخن وتحمى وتشتد حرارتها.

«اقتحِمْ» يقال اقتحم الأمر: إذا رمى نفسه فيه بشدة ومشقة.

«فتقاعست»: أي توقفت ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار.

٣ ـ المعاني والأحكام:ـ

أ ـ يحكي هذا الحديث قصة أصحاب الأخدود التي جاء ذكرها في سورة «البروج» وهي قصة تصور نموذجا من نماذج الجبروت في الأرض. وتعبر عن روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة.

إن الطغاة هم الطغاة على أي أرض، وفي أي زمن، يسري حب التسلط في دمائهم. ويستولي على أحاسيسهم ومشاعرهم. لا تطيب لهم الحياة إلا إذا أذلوا أعناق الرجال. وسحقوا مقومات الفضيلة، واستعبدوا الأحرار الشرفاء، وتشفوا من الأكارم الفضلاء. وضربوا بيد من حديد على أمتهم، فاستباحوا حرماتها، وسلبوها أدنى حقوق الإنسان. يؤلهون أنفسهم ليتعبدهم الناس خوفا وطمعا، ومن ورائهم العبيد الخانعون. يلهبون ظهور الأحرار بالسياط، وينالون من كل مؤمن بالله،

Marfat.com

يجعلونه غرضا لسهامهم، حتى يرجع عن دينه دين الحق إلى دين سيدهم المتأله على رؤوسهم. والويل كل الويل لأولئك الذين يعبدون الله الخالق، ويخرجون على طاعة المتأله الغاشم.

ولكن الإيمان بالله في كل عصر، يستعلي على بطش الجبارين. فإن قصارى جهد هؤلاء أن ينالوا من المؤمنين في الدنيا. فيمزقوا أجسامهم، أو يزهقوا أرواحهم، ولكن هذا يهون عند أهل الإيمان. بسمو أرواحهم، واتصالها بالملأ الأعلى، وتطلعها إلى نعيم الخلود.

والقرآن الكريم يحكي قصة أصحاب الأخدود في آيات بينات. تصور مدى ما يصل إليه الطغاة في الأرض من التحريق بالنار، وهم قعود حولها، يتلهون بمأساة جريمتهم. كما يتلهى الأطفال بلعبهم، فأولئك يعبثون بأرواح العباد، وهؤلاء يعبثون بالدمى. ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ﴾[1].

وماذا ينقم الطغاة على المؤمنين؟ إنهم ينقمون عليهم ما هو مفخرة لهم. يستحقون لأجله التكريم، في الإيمان بالله، والاعتقاد بوحدانيته، والخضوع لشريعته ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾[2].

وإذا استمرأ الطغاة طغيانهم، ولم ينيبوا إلى ربهم، فإن مصيرهم نار الجحيم، يحرّقون فيها كما حرّقوا المؤمنين في الدنيا، جزاء وفاقا، وشتان بين تحريق بنار يوقدها الخلق لحظات ثم تنتهي، وتحريق بنار الخالق آبادا لا يعلمها إلا الله. وفي مقابل ذلك يجد المؤمنون الصابرون المحتسبون النعيم المقيم، والفوز العظيم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

١، ٢ ـ الآيات (٤ ـ ٩) من سورة البروج.

Marfat.com

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1].

ب ـ تجري سنة الله في الكائنات على نسق محكم. لا يختل نظامه، ولا يختلف ميزانه، ولا تضطرب ضوابطه، ولكن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، لا يسأل عما يفعل، فيجري بعض الخوارق على يد من يشاء من عباده. معجزة له إذا كان نبيا، وكرامة إذا كان وليا. وهذا الحديث فيه إثبات كرامات الأولياء، فيما أجراه الله على يد الغلام.

والكرامة أمر خارق للعادة كالمعجزة، يظهره الله على يد عبد صالح، والفرق بينها وبين المعجزة، أن المعجزة يقع بها التحدي من مدعي النبوة، بخلاف الكرامة.

وإنما تحصل الكرامة بلزوم الاستقامة، في طاعة الله وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والقيام على ما يحبه الله ويرضاه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2].

وإذا حصل بالكرامة فائدة مطلوبة في الدين كانت من الأعمال الصالحة المأمور بها شرعا. وإن حصل بها أمر مباح كانت من نعم الله التي تقتضي الشكر.

وينبغي للمسلم أن يولي اهتمامه طلب الاستقامة لا الكرامة. فإن كثيرا من المجتهدين المتعبدين سمعوا عن الصالحين المتقدمين ما منحهم الله من الكرامات وخوارق العادات، فلا تزال نفوسهم تتطلع إلى شيء من ذلك. وقد يظل أحدهم منكسر القلب، متهما لنفسه في صحة عمله وإخلاص نيته، حيث لم يحصل له خارق. ولو علم سر ذلك لهان عليه الأمر، فإن الله يفتح على بعض من جاهد نفسه صادقا شيئا من ذلك، ليزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار قدرة الله يقينا، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى. والمنهجُ الصادق القويم أن يأخذ المرء نفسه بالاستقامة، فهي سبيل الكرامة.

---

١ ـ الآيتان (١٠، ١١) من سورة البروج. ٢ ـ الآية (٦٢) من سورة يونس.

Marfat.com

وعدم الخوارق لا يضر المسلـم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يُسَخَّر له شيء من الكونيات، لا يُنقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له. إذ إن الخوارق قد تكون مع الدين، وهي الخوارق النافعة، وقد تكون مع عدمه فتؤدي إلى الفساد في الأرض. ولذا كانت التقوى سبيل الكرامة. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1].

وفي الحديث القدسي «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه»[2].

ولا يقال: إن الكرامة لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي هذا الى التباس النبي بالولي، وذلك لا يجوز، فإن هذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدعي النبوة. وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن وليا. بل كان مُتَنَبِّئاً كاذباً[3].

جـ ـ لقد أمر الإسلام بالصدق ونهى عن الكذب. ولكن المصلحة الراجحة تبيح الكذب في حالات خاصة، إذا لم تكن المعاريض كافية. وفي الحديث «إن في معاريض الكلام مندوحةً عن الكذب»[4].

فيجوز الكذب لإنقاذ النفس من الهلاك ظلما، سواء كان هذا في إنقاذ الإنسان لنفسه، أو إنقاذه لنفس غيره ممن له حرمة.

---

١ ـ الآيتان (٢، ٣) من سورة الطلاق.

٢ ـ أخرجه البخاري فيما يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه.

٣ ـ أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٥٨ ط المكتب الإسلامي.

٤ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد. والمعاريض: جمع معراض. من التعريض بالقول. وهو أن يقال كلام له وجهان، يطلق أحدهما والمراد لازمه. ومندوحة: أي فسحة ومتسع.

Marfat.com

ويجوز في حديث الرجل مع امرأته، حتى يرضيها، إصلاحا للعشرة. وإبقاء على الود، وحفاظا على كيان الأسرة. إذا لم يكن في هذا إسقاط حق عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها.

ويجوز الكذب في الحرب، خداعا للعدو، وتضليلا له. وصيانة للأسرار الحربية. وفي قتل كعب بن الأشرف. قال محمد بن مسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم: «أئذن لي أن أقول. قال: قل» فهذا يدخل فيه الإذن في الكذب تصريحا وتلويحا.

ويجوز في الإصلاح بين الناس، حتى تصفو النفوس، ويلتئم الشمل. وتجتمع الكلمة، ويعود الإخاء والحب. وفي الحديث: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فَيُنمّي خيرا[1] أو يقول خيرا» وروي «لا يحل الكذب إلا في ثلاث: تحدّث الرجل وامرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس»[2] قال الطبري: ذهبت طائفة إلى جواز الكذب لقصد الإصلاح. وقالوا: إن الثلاث المذكورة كالمثال. وقالوا: الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة، أو ما ليس فيه مصلحة».

د ـ لا يجد الحق في كثير من الأحيان أذنا صاغية، وإذا عم الجهل وساد الباطل عميت البصائر، واستشرى الفساد في الأرض وأناخ الطغيان بكلكله على هام الناس[3]. وفي مثل هذا تصد النفوس عن سماع الحق، وتفر منه، بل تقف له بالمرصاد تحاربه، وتتصدى لذويه، حتى يموت في المهد قبل أن ينتزع منها سلطانها وجبروتها.

ولذا كانت الاستعانة على حماية الحق وإبلاغ دعوته أمرا لا بد منه. فإن هذا يفوّت على الظالمين هدفهم، ويتيح الفرصة للحق أن ينمو في صمت وهدوء. ولأن ينمو الإيمان بمنأى عن أعين الكفار فترة خير من أن يغشاهم فيثير حفيظتهم، ويستفزهم للقضاء عليه بغيا وعدوانا. وذلك المنهج نجده في موقف الراهب والغلام، وفي مؤمن ال فرعون: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

---

١ - رواه البخاري. وينمي خيرا: أي يُبلّغ. تقول: نميت الحديث أنميه: إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير.

٢ - أخرجه الترمذي.

٣ - جمع هامة: وتطلق على رأس كل شيء، والكلاكل: صدر البعير.

Marfat.com

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته سرا حتى تكونت نواة الإيمان، ثم صدع بالدعوة جهرا.

هـ ـ يعلن الإيمان الصادق بالله عن إخلاص ذويه. وتجردهم له، ورسوخ يقينهم به، وثباتهم عليه. حتى تكون التضحية في سبيله بالنفس والمال مثلا حيا للفداء. وإذا كانت الدعوة إلى الله تجد سبيلها في الكلمة الطيبة الحكيمة لتغزو القلوب، وتأخذ بالألباب، ثم يكون ذيوعها وانتشارها رويدا رويدا، فلا تلبث طويلا حتى تطبق الآفاق، فإن الصمود للحق في قوة وصلابة يكون لسان صدق للإيمان نفسه. يقرع مسامع الناس بروعة بلائه، وبهز مشاعرهم بجلادة ذويه. وانتصار عقيدته في نفوسهم، واستعلائها على أهواء الحياة، وتخلصها من جاذبية الأرض، فلا يسع الناس ـ وهم يرون هذا اللسان المؤمن الصامت ـ إلا أن يذعنوا لجلاله. من حيث يريد الطغاة سوءاً به، ويحوكون الكيد له، ويأخذون على يد المؤمنين تعسفا وبطشا، فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله. وهذا ما نجده في القصة، حيث قال الناس «آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام».

---

١ ـ الآيتان (٢٧، ٢٨) من سورة غافر.

Marfat.com

ثالثا: من روائع الخطب

١ ـ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إرشاد عماله ومحاسبتهم.

عن أبي حُمَيْدٍ السَاعدي رضي الله عنه قال: «استعملَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأسد على صدقات بَني سُلَيْم يُدعى ابن اللُّتْبِيَّةَ. فلما جاء حاسبه. قال: هذا مَالَكُم وهذَا هَدِيَّةً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فهلاَّ جَلَسْتَ في بيتِ أبيكَ وأمّك حتى تأتيكِ هَديتك إن كنتَ صادِقاً؟» ثم خطبَنَا. فَحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد. فإني أَسْتَعْمِلُ الرجلَ منكم على العمل مما ولاَّني الله، فيأتيني فيقولُ: هذا مالَكُم وهذا هديّة أُهديت لي. أَفَلا جلس في بيتِ أبيه أو أمّه حتى تأتِيه هَديّتُه إن كان صادقا؟ والله لا يأخذُ أَحدٌ منكم منها شيئاً بغير حقه، إلا لَقِى الله تعالى يحَملهُ يومَ القيامة. فَلأَعْرِفَنَّ أحداً منكم لَقِيَ اللهَ يحملُ بعيراً له رُغَاء، أو بقرةً لها خُوار، أو شاة تَيْعَر،» ثم رفع يديه حتى رُئي بياضُ إبطيْه يقول: «اللهم هَلْ بلّغت» بَصُرَ عيني، وسَمِعَ أُذُني»[1].

١ ـ الترجمة: ـ

أ ـ أبَو حُمَيْد الساعدي، اسمه عبد الرحمن بن سعد، وورد الاختلاف في اسمه واسم جده، شهد أُحدا وما بعدها، وتوفي في آخر خلافة معاوية، وقيل: أول خلافة يزيد ابن معاوية.

ب ـ «استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأسد» جاء في هذه الرواية «رجلا من الأسد» بالسين الساكنة، وفي نسخة من مسلم «الأزد» بالزاي،

---

١ ـ متفق عليه

Marfat.com

وهـم أزد شنوءة ، ويقال لهـم : «**الأزد والأسد**» وهذا الرجل هو الذي جاء بيانه بعد في قوله : «يقال له : ابن اللتبية»

جـ ـ «**ابن اللتبيّة**» : بضـم اللام وسكون التاء ومنهم من فتحها ، وجاء في بعض الروايات «ابن الأتبيّة» بالهمز بدل اللام ، قال الكرماني : والأصح أنه «اللتبية» بضـم اللام وسكون الفوقية ، نسبة إلى بني لُتب ، قبيلة معروفة ، واسمه : عبد الله بن اللتبية ابن ثعلبة الازدي ، واللتبيّة : أمه ، ولم يقف العلماء على تسميتها .

د ـ «بنو سُلَيـم» قبيلة من قبائل قيس ، نسبة إلى أبيها سليـم .

٢ ـ المباحث اللغوية : ـ

«**استعمل رجلا**» : أي اتخذه عاملا له . وليس هذا قاصرا على العمل اليدوي المهني كما هو شائع اليوم ، ولكنه يتناول اي عمل ، كجباية الزكاة والولاية ونحو ذلك . لأن هذه أعمال يسندها ولي الأمر إلى ذويها ، ويقال فيهـم : إنهـم عماله ، والمراد هنا : جباية الزكاة .

«**صدقات بني سليـم**» أي زكاة أموالهـم . والصدقات : جمع صدقة ، والصدقة : ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القربة ، واجبا كان كالزكاة ، أو مندوبا كالتطوع ، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به ، والزكاة للواجب ، وتسمى الزكاة الواجبة صدقة باعتبار تحري صاحبها الصدق فيها ، قال تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾[1] . وقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[2] .

«**فلما جاء حاسبه**» أي فلما جاء من جمع الصدقات أمر من يحاسبه ويقبض منه .

«**هدية**» الهدية كغنية : ما أتحف به وقدم إليه تلطفاً .

«**فهلاَ جلست**» ألاَ : بالهمز مع الفتح والتشديد . وهلا : بالهاء ، حرف تحضيض ، مختص بالجمل الفعلية الخبرية كسائر أدوات التحضيض .

---

١ ـ الآية (١٠٣) من سورة التوبة ٢ ـ الآية (٦٠) من سورة التوبة

Marfat.com

«مما ولاني الله»: مما جعلني الله واليا عليه. أتولاه وأرعاه واحفظه وأصونه.

لا يأخذ أحد منكم منها شيئا»: أي من الصدقات التي وُلي على جمعها.

«**بغير حقه**»: بغير استحقاق له، واستحقاقه هو ما يعطيه الإمام من نصيبه في الصدقات، وهو نصيب العاملين عليها.

«**لأعرفَنَّ أحدا منكم**»: أي لأعرفنه على هذه الحالة حين يلقى الله يوم القيامة، والجملة واقعة في جواب قسم مقدر، واللام لام القسم. أي فوالله لأعْرِفَنَّ، وفي بعض الروايات «لاأعرفن» بالألف على النفي، قال القاضي: هذا أشهر، قال: والأول هو رواية أكثر رواة صحيح مسلم، والمعنى على رواية النفي: «**لا أعرفن**»: أي: ما ينبغي أن تكونوا على هذه الحالة يوم تلقون الله فأعرفكم بها.

«**بعيرا له رُغاء**»: رغاء: بضم الراء وتخفيف المعجمة مع المد: هو صوت البعير.

«**أو بقرة لها خُوار**»: خوار: بضم المعجمة وتخفيف الواو: صوت البقر.

«**أو شاة تيعر**»: تيعر: بفتح المثناة الفوقانية، وسكون التحتانية. ثم عين مهملة مفتوحة وتكسر: معناه تصيح. واليعار: بفتح أوله ويضم: صوت الشاة، وفي بعض الروايات «**أو شاة لها يعار**»

«**هل بلغت**؟» هل: هنا بمعنى قد. وروي أنه قال: «اللهم هل بلغت» مرتين أو ثلاثا، والمراد بلغت حكم الله اليكم.

«**بصر عيني وسمع اذني**» هذا من كلام أبي حميد. ومعناه: أعلم هذا الكلام يقينا، وابصرت عيني النبي صلى الله عليه وسلم حين تكلم. وسمعته أذني فلا شك في علمي به.

٣ ـ المعاني والأحكام: ـ

آ ـ يدل الحديث على محاسبة الإمام عُمّاله. فمن واجب ولي الأمر أن يقوم على شئون الرعية، فإذا وُلى احدا بعض هذه الشئون كان عليه أن يراقبه، وأن يحاسبه فيما وُلي عليه، إبراء لذمته، وإذا علم الولاة أن الامام يراقب تصرفاتهم، ويحاسبهم

Marfat.com

على أعمالهم، أدوا ما عليهم حق الاداء، وبهذا تنتظم اجهزة الدولة، ويستقيم أمرها، ويشعر الناس بمتعة الأمن في ظل العدالة.

وابن اللتبيّة وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات لما جاء حاسبه على ما قبض وصرف. وهذا اصل في محاسبة الإمام عُمّاله. والحاكم ولاته.

وينبغي أن يكون الأمر كذلك في مسئوليات الحياة كلها، حيث يتولى المسئول العام محاسبة من ولاهم أعمالا تحت يده، كما يتولى هؤلاء محاسبة من تحت يدهم، ومسئوليات الحياة متدرجة، تبدأ في نطاق صغير محدود، ثم لا تزال تتسع حتى تصل إلى مسئولية الإمام عن رعيته، فالأم لها مسئوليتها في بيتها، والرجل قوّام على مسئولية البيت، والمعلم أو المعلمة، ثم المدير أو المديرة. وهكذا دواليك في شعب الحياة المختلفة، ومصالحها المتعددة.

ب ـ من أين لك هذا؟ ادركت بعض الدول في العصر الحديث ضرورة سن قانون يحد من استغلال ذوي النفوذ والجاه من الوزراء وغيرهم في الثراء من مال الدولة بوسائل غير مشروعة. وعرف هذا القانون بقانون «من أين لك هذا؟» وقد جاء الإسلام بهذا المبدأ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، فصادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدايا التي أهديت إلى «ابن اللتبية» وادعاها لنفسه. فما كان للناس ان يقدموا له هذه الهدايا لولا قيامه على الصدقات، ولذا قال له صلى الله عليه وسلم: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا؟»

جـ ـ وجدير بولي الأمر أن يخطب الناس في كل أمر ذي بال، كي يبين لهم وجه الحق، ويتوجه إليهم بالنصيحة. ويحذرهم من زلات الانحراف، ويقوّم معوجهم. وقد يغني عن ذلك البيانات الرسمية التي يذيعها عليهم. وهذا هو الذي حفظه لنا تاريخ الإسلام، في سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم، ثم في سيرة خلفائه من بعده، وفي هذا الحديث لم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصح «ابن

Marfat.com

اللتبية» بل خطب في الناس. وأوضح لهم المبدأ الإسلامي العام، في محاسبة الوزراء والولاة والأمراء والعمال والمسئولين، كي يقف كلٌ منهم عند شرع الله في حقوق الرعية، مبتدئا في خطبته بما سنه من الحمد والثناء على الله بما هو أهله.

د ـ لقد حث الإسلام على التهادي، ودعا إلى قبول الهدية، لما في ذلك من إشاعة المحبة بين الناس، وتوثيق اواصر الود، واستئصال شأفة الأحقاد والضغائن. وذلك من غير إشراف ولا مسألة، قال صلى الله عليه وسلم: «من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف ولا مسألة فليقبله ولا يرده، فإنما هو رزق ساقه الله إليه» وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها. وفي الحديث الأخر «تهادوا تحابّوا»

وللهدية دلالتها على الود مهما كانت قليلة الشأن. يقول صلى الله عليه وسلم: وسلم: «لو أُهدي إليّ ذراع أو كراع لقبلت»

والهدية لا تخلو من ثلاث حالات: ـ

١ ـ ان يكون باعثها التودد والتحاب، فتكون تعبيرا عن صدق المحبة ولا سيما في المناسبات، كالزواج، والولادة، والسلامة من المرض، والقدوم من سفر، ونحو ذلك، وهذه هي الهدية التي حث عليها الإسلام.

٢ ـ أن تكون الهدية لمن أسدى إليك معروفا عن طيب نفس، لتعبر بها عن شكرك له، وتقديرك لمعروفه. فهذه مرغوب فيها، حفاظا على المعروف بين الناس، وردا للجميل.

٣ ـ أن يكون القصد من الهدية التوصّل إلى نفع شخص على حساب مصلحة الآخرين. وهضم حقوقهم. أو للإجحاف بحق عام، فهذا النوع من الهدايا لا يجوز شرعا، كما لا يجوز قبوله، ومن ذلك هدايا الحكام والولاة والامراء. لأنها تكون بمنزلة الرشوة، قال عمر بن عبد العزيز: «كانت الهدية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، واليوم رشوة» وروى ابن سعد من طريق فرات بن مسلم قال:

Marfat.com

«اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح، فلـم يجد في بيته شيئا يشتري به. فركبنا معه، فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها، ثم رد الأطباق، فقلت له في ذلك، فقال: لاحاجة لي فيه، فقلت: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلـم وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية؟ فقال: إنها لأولئك هدية. وهي للعمال بعدهـم رشوة»

والرشوة: هي كل مال دفع ليبتاع به من ذوي جاه عونا على ما لا يحل. وفيما يرويه احمد من حديث أبي حميد مرفوعا: « هدايا العمال غلول»

وقد دل موقف رسول الله صلى الله عليه وسلـم مع «ابن اللتبيّة» على ذلك. حيث لم يقبل منه ما ادعاه فيما أُهدي اليه. ولم ير أنه حلال له، وأرجع ذلك إلى أن الحقوق التي عمل لأجلها هي التي كانت سببا في الاهداء له. ولو أقام في منزله لم يهد إليه شيٌ، فلا ينبغي ان يستحلها لوصولها إليه عن طريق الهدية، «هلا جلس في بيت أبيه وأمه لينظر هل يهدى إليه؟» أي انه لولا الطمع في أن يضع من حق الزكاة ما أُهدي إليه.

ويبدو من هذا أنه يجوز للعامل أن يقبل الهدية إذا كانت لشكر معروفه، أو للتحبب إليه، وأن الممنوع من ذلك هو ما إذا كانت الهدية للطمع في وضعه من الحق. لما في ذلك من إجحاف بالحق العام، أو الحق الخاص.

هـ - ولولي الأمر أن يصادر هدايا الولاة والوزراء والمسئولين التي قدمت إليهـم محاباة لهـم، وطمعا في إجحافهـم حقوق الآخرين لحسابهـم، ونظير هذا ما يأخذونه من أموال الدولة بجاه مناصبهـم من غير وجه حق، ما لـم يأذن لهم ولي الأمر بشيٌ من ذلك. وإذا صودرت وأخذت منهـم فإن الإمام يجعلها في بيت المال، فقد نقل ذلك عن العلماء في شرح هذا الحديث. لأن النبي صلى الله عليه وسلـم لم يأمر «ابن اللتبية» برد الهدية التي أهديت له لمن أهداها.

و - ومن أساليب التأديب التوبيخ، فيجوز توبيخ المخطئ تأديبا له. ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلـم ابن اللتبية بهذا التأديب، حيث وبخه على خطئه،

Marfat.com

وأعلن ذلك للناس تحذيرا من الاغترار به، وإنذاراً لمن تسول له نفسه أن يصنع صنيعه.

ز ـ وفي الحديث دليل على جواز استعمال المفضول في الإمارة والإمامة ونحو ذلك مع وجود من هو أفضل منه، فإن الاختيار لمثل هذه المناصب يكون له اعتبارات كثيرة، وربما نظر الإمام من الاختيار الى اعتبارات يرى أهميتها في الولاية، ومع هذا فإنه لا يقر عُمّاله على خطأ.

ح ـ وقد تضمن الحديث تصويرا مروعا لعذاب اؤلئك الذين يستحلون اموال الناس بغير حق، حيث يؤتى بهم يوم القيامة، وهم يحملون سمات الأموال التي استحلوها، وهي تعلن في صراخها عن الظلم الذي وقع عليها، تشهيرا بالظالمين يوم الدين، وليس أدل على ذلك من رغاء البعير، وخوار البقر، ويعار الشاة.

ط ـ ومن خصائص أمة الإسلام الدقة في الرواية، وتحرّي النقل، وصدق الخبر، ولا سيما خاصية الضبط في تحمل الحديث وأدائه والمسلمون في ذلك لهم قصب السبق في منهجية البحث العلمي وتقعيده وتأصيله، فيما وضعه علماؤنا من أصول الحديث. وهذا هو ما أكده أبو حميد الساعدي راوي هذا الحديث بقوله: «بصر عيني، وسمع أذني»

ألا فما أحوجنا إلى أن نأخذ من خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث تلك الأحكام والمعاني، وان نجعلها نبراسا لنا في حياتنا؟؟

٢ ـ خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما ولي الخلافة

تكلم أبو بكر عندما ولي الخلافة فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، إني قد وُلّيتُ عليكم ولست بخيرِكم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقَوِّمُوني، الصدق أمَانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريحَ عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا

Marfat.com

عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلواتكم يرحمكم الله»[1].

١ ـ المباحث اللغوية:

«ولست بخيركم»: الخير: يقابل الشر، ويطلق على الفاضل المختص بالخير، يقال: رجل خَيْرٌ، وامرأةٌ خيرْة، وهذه خيرْة النساء. قال تعالى ﴿فيهن خيرات حسان﴾

«فقَوَمُوني»: عدلوني، أصله من قام: إذا انتصب معتدلا، واستقام: اعتدل، وقوَّمته: عَدّلته، أما تقويم السلعة فهو بمعنى: بيان قيمتها.

«أُريح عليه حقّه»: أراح فلان على فلان حقه: أي رده عليه، مستعار من أراح الإبل، اذا ردها الى المُراح بضم الميم، أي المأوى.

«تشيع الفاحشة»: تنتشر، يقال: شاع الخبر: أي كثر وانتشر ـ والفاحشة والفحش، والفحشاء: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال.

٢ ـ المعاني والأحكام:

آ ـ يلقب رئيس الدولة الإسلامية الذي يقوم على تصريف شئونها بلقب خليفة، كما يلقب بالامام، وبأمير المؤمنين، فالخلافة، والإمامة الكبرى، وإمارة المؤمنين، كلمات مترادفة بمعنى واحد، وهو رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا[2]. قال الماوردي: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[3]. وقال ابن خلدون: الخلافة هي حمل الكافة على الأحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم»[4].

---

١ ـ رواه ابن اسحاق في السيرة، وقال ابن كثير: اسناده صحيح، وانظر كنز العمال ص ١٢٩ ج ٣ ط حيدر آباد.

٢ ـ انظر الخلافة او الإمامة العظمى ص ١٠ لمحمد رشيد رضا ـ ط. المنار

٣ ـ الأحكام السلطانية ص ٥ ط الحلبي

٤ ـ مقدمة ابن خلدون ص ١٤٣ ط عبد السلام محمد

Marfat.com

ولقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلـم وتمت البيعة لأبي بكر بعد الاجتماع الذي عقد في سقيفة بني ساعدة، ولم يكن هناك لقب ينادى به، فدعاه أحدهم: ياخليفة الله، فقال: لست بخليفة الله، ولكنني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلـم، فكان يخاطب بقولهـم: يا خليفة رسول الله.

أما تسميته إماما فتشبيها له بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به.

ولمـا توفي ابو بكر وبويع عمر بالخلافة بعده كانوا ينادونه: خليفة خليفة رسول الله فكأنهم استثقلوا طول هذا اللقب، فدعاه بعض الصحابة بأمير المؤمنـين، فاستحسن الناس هذا اللقب، ولقب به.

وقد زعـم بعضهم ـ كابن عربي ومن تابعه ـ ان الخليفة هو خليفة عن الله ونائب عنه، وليس كذلك. لأن المراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، فكان ابو بكر خليفة رسول الله لأنه خلفه على أمته بعد موته. والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها، فإنه سبحانه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب ولا يحتاج، وهو غني عن العالمين[1].

ب ـ وإذا كان تحكيـم الشريعة الاسلامية في كل شأن من شئون الحياة واجبا، ولا يستطيع المسلمون ذلك الا بوجود امام يحكـم بينهـم بكتاب الله وسنة رسوله، فإن نصب الخليفة يكون واجبا، وقد اجمع سلف الامة وجمهور الطوائف على ان نصب الامام واجب شرعا لا عقلا وجوبا كفائياً كالجهاد[2].

فإنه ما كاد خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلـم يترامى إلى أسماع الصحابة حتى أدركوا أنهم في حاجة الى من يقوم على أمرهـم. يخلف رسول الله في

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيميه ص ٤٥ ج ٣٥ الطبعة الاولى.

٢ ـ خالف في ذلك بعض المعتزلة وطائفة الخوارج فقالوا: إن الواجب تنفيذ أحكام الشريعه. وذلك ممكن بدون تواطؤ الأمة عليه.

Marfat.com

حفظ الدين وسياسة الدنيا بشريعة الله، ولم يختلفوا على وجوب نصب خليفة للمسلمين، وإنما وقع الاختلاف بادىء ذي بدء على من يتولى هذا المنصب، ثم تمت البيعة لأبي بكر في اجتماع السقيفة، فكان اول خليفة لدولة الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقديرا منهم لخطورة هذا الأمر وأهميته فقد قدموه على الاشتغال بتجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم ودفنه.

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا امرّوا عليهم أحدهم»[1]، فكيف بقيادة الأمة وولايتها.

وكثير من الامور الواجبة شرعا ـ كإقامة الحدود، وسد الثغور، وتعبئة الجيوش، وإقامة العدل، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، وغير ذلك ـ لا يمكن القيام به الا اذا وجد خليفة للمسلمين، وإذا كانت هذه الواجبات يتوقف القيام بها على نصب الخليفة فإنه يجب عليهم أن ينصّبوه، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والحفاظ على وحدة الأمة معتصمة بحبل الله لابد له من قيادة واحدة تسوسهم بسياسة واحدة، وتحكم فيما شجر بينهم بما في كتاب الله وسنة رسوله.

ج ـ وقد عرف الناس ما يسمى «بالبيان الحكومي» الذي يلقيه رئيس الدولة عند توليته، يعرضه على الأمة، ويذيعه في المذياع، ويقدم في «التلفاز»، وينشر في الصحف، يبين فيه الحاكم نهجه في حكمه، وسياسته في تدبير شئون دولته، وأسس الإصلاح التي يعتزم القيام بها، فيكون هذا خطة لحكمه، يتعهد بالوفاء بها، والتزام ما جاء فيها التزام المرء بميثاق يأخذه على نفسه. وربما ظن بعض الناس ان هذا لم يعرف الا في النظم الدستورية الحديثة.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه. أول الخلفاء الراشدين الذين قلدوا مهام الدولة الاسلامية يخطب في غرة خلافته هذه الخطبة الجامعة، التي يرسم فيها منهجه

---

١ ـ رواه احمد

Marfat.com

القويـم في سياسة حكمه، مستندا الى قواعد الدين واصول شريعته ومبادئ عدله، مهتديا بهدي رسول هذه الامة محمد صلى الله عليه وسلـم، وقد أخذ على عاتقه تحمل ما في خطبته، ووفى بذلك اعظـم الوفاء. إيمانا وصدقا، وحزما وقسطا.

وما عرفت الدنيا رئيس دولة تدين بالنظـم الدستورية الحديثة يلقي بيانـه الحكومي على أسس قويمة راسخة ثم يهب نفسه للوفاء بها ما وهب ابو بكر نفسه لأمة الإسلام، إنما عرَفَتْ بيانات تزهو عباراتها، وتُنَمّق كلماتها، وتغري معانيها، وتدغدغ عواطف الشعوب بمشاريع الإصلاح والتعمير والتصنيع المرتقب، والخير المأمول، وتنظر الأمة إلى تلك الآمال بلهفة، فإذا جاءتها وجدت ذلك كسراب بقيعه[1]، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. فيخيب أملها، وتعود صفر اليدين.

د ـ تتكافأ في الإسلام حقوق الإمام وواجباته، فمن حقه إذا أحسن أن تقف الأمة وراءه، تشد أزره، وتمده بالعون، ذودا عن حياض دينها، وحماية لبيضتها[2]، وإعلاء لكلمة الله وتحكيما لشريعته، وإحقاقا للحق، ونصرة للمظلوم، وأداء لواجب الدعوة، وتيسيراً لسبل العيش الكريـم، ونهوضًا بمستوى الدولة، وإعزازا لشأنها.

ومن واجبه أن يتقبل النقد الهادف، والتوجيه الصادق، والرأي السديـد، والنصح الخالص، لأن هذا هو واجب الأمة نحوه، تبصيرا له بما يغفل عنه، وتقويما لسلوك قد يستهيـن به. حتى لا تزل قدمه بالأهواء، ولا يشتط عن جانب الحق، وبهذا ينتفع بالرأي السديد، وذروة ذلك المبدأ فيما قاله ابو بكر الصديق «إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني» وهذه هي «الديمقراطية» الحقة في أسس الحكـم الإسلامي.

هـ ـ والعلاقة بين الحاكـم المسلـم وأمته علاقة صدق وأمانة، فيكون الحاكـم صادق اللهجة، مستقيـم النهج، طاهر السيرة، يطلع أمته على الحقائق دون تزييف،

---

١ ـ القيعة والقاع: المستوى من الأرض.
٢ ـ بيضة كل شيء: حوزته

Marfat.com

ويخبرها عن الواقع دون بريق، كما يكون الناس معه كذلك، صادقين في حبهم، يمحضونه النصيحة، ويخلصون له المشورة، ويحدثونه حديث الصدوق، ويتبادل الصدق بين الراعي ورعيته يكون صدق الولاء.

أما الكذب في الأقوال والافعال فهو خيانة للأمة. يكذب ولي الأمر فيعد وعودا لا يفي بها، ويمني الناس بالأماني ولا يحقق لهم أمنية، ويدعي أنه فعل ولم يفعل.

ويكذب الناس فينقلون له صورة تتنافى مع الواقع، ويزينون له سوء صنيعه، ويظهرونه على غير حقيقته، بالدعاية الجوفاء، والمديح الرخيص، فيعمى عن الحق، ويتمادى في الغي، وفي هذا وذاك خيانة كبرى.

وحيثما أغرق الناس في الثناء، وكالوا المديح، ودقوا طبول النصر، وكبروا تكبير الظفر، ونسجوا قصص البطولة، وبنوا من الامجاد ناطحات السحاب، وصمّوا الآذان بطنين الألفاظ التي يدوي رنينها كدوي النحل - حيثما كان الأمر كذلك، انهارت الأمة، وتردت في الهاوية، وهذا شأن أمم الدنيا اليوم.

أما أمة الإسلام فنهجها في بيان رئيس الدولة «الصدق أمانة، والكذب خيانة» و - والعدل هو قوام نظام الحكم في الاسلام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ۙ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[1].

والإمام العادل احد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[2]، وكم تتطلع البشرية منذ أقدم العصور الى حياة آمنة، يستقر العدل فيها بين أبنائها، حتى تنعم بالطمأنينة والسعادة، فإنه لا شيء ادعى للأحقاد والضغائن وأقوى على إثارة الفتن واضرام نار العداوة والبغضاء كظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

وفي مراحل التاريخ المتطورة ظل العدل هدف الانسانية الذي يداعب احلامها، تنشده وراء كل بارقة من بوارق الأمل في حركات الدعاة والمصلحين، حتى تلقي عن

---

١ - الآيه (٥٨) من سوره النساء.

٢ - من حديث في الصحيحين.

Marfat.com

كاهلها اوزار الظلـم وتحطـم اغلال الاستبداد، وتقضي على بواعث الاضطراب والفوضى وتستظل بلواء الأمن، فتستمر مواهبها وقدراتها في الاستفادة من هذا الكون الذي سخره الله لها، قياما على الحق، واسعادا للبشرية، واستمتاعا بطيبات الحياة.

وتقدم الإنسان في مضمار العلوم والمعارف، واكتشف العديد من النظريات العلمية التي تبهر العقول بعظمتها، وتمتلك القلوب بمنجزاتها. ووصل إلى أوج الحضارة في العصر الحاضر، ولا يزال يكتشف المزيد من ضروب المعرفة، ولكن هذا الازدهار في التقدم الحضاري، وإن آتى أكله في ميدان الإنتاج والرخاء والرفاهة، لم يؤت أكله في تحقيق العدل، بل زاد الإنسانية شقاء حين استُخدم العلـم في أدوات التخريب والدمار، ونشر على ربوع الدنيا سحابة كثيفة من البؤس تثير في نفوس البشر الهول والفزع، أمام المخاوف المرتقبة، والأطماع المرعبة، وهيهات لهذا العالم أن يشعر بالاستقرار وقد أصبح ميزانه قائما على تصارع القوى، يأكل القوي الضعيف دون هوادة او رحمة.

والعدل في الإسلام يضرب أروع الأمثلة في تاريخ أمتنا:

لقد سرقت فاطمة المخزومية قطيفة وحليا، وبنو مخزوم من أشرف البطون القرشية، فعز عليهم أن تقطع يد امرأة منهم وأن يلحقهم عار السرقة، فأتوا إلى أسامة بن زيد حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلـم، وطلبوا منه أن يشفع لدى رسول الله فيها، فوقف رسول الله الموقف العادل المنصف الحازم: عن عائشة: أن قريشا أهمتهم المخزومية التي سرقت، قالوا: من يكلـم رسول الله صلى الله عليه وسلـم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلـم؟ فكلـم رسول الله صلى الله عليه وسلـم فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فخطب فقال: «**يأيها الناس. إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه، وإذا سرق منهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن**

Marfat.com

فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[1] . وبهذا القول الحاسم أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلـم حجر العدل بين الناس كلهـم أمام شريعة الله .

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب[2] . يغدو ، فقال له : يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟ فقال : بعير نَدّ[3] من إبل الصدقه أطلبه ، فقال علي : لقد أذللت الخلفاء بعدك ، فقال : لا تلمني يا أبا الحسن ، فوالذي بعث محمدا بالنبوة لو أن عناقاً[4] ذهبت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة .

وقاعدة العدل في البيان الحكومي لدى أبي بكر الصديق « **الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله** » .

ز ـ ومن واجب الحاكـم المسلـم أن يستأصل شأفة الفساد والشر من أمته ، فالجريمة وباء يسري في المجتمع ، فيهدم كيانه . ويمزق شمله ، وإذا شاعت الجريمة ، أصبحت داءً وبيلا ، يقضي على حرمات الناس ، ويبعث في نفوسهـم الهول والفزع .

ومن واجبه ان يرفع لواء الجهاز ليعلي كلمة الله ، ويعز أمة الإسلام ، ويقوض دعائم الشرك ، ويدك حصون البغي ، ويجعل لأمة الإسلام هيبة .

والأمة معه في ذلك كله ، تسانده ، وتستجيب له اذا استنفرها ، وتسارع تحت قيادته للعمل والبذل والفداء .

ويوم أن كانت أمتنا أمة نظيفة الخلق ، وكان الجهاد سمة لها ، صدق وعد الله فينا ، عزة وإباء (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) أما حين تخلت عن واجبها ، واستكانت لعرض الحياة الدنيا ، فقد ذلت نفوسها ، ثم استذلّها أعداؤها ، وتلك سنة الله ، فإنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهـم « **لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله**

---

١ ـ الحديث مخرج في الصحيحين

٢ ـ القتب : الإكاف على قدر سنام البعير ، والمراد هنا البعير

٣ ـ ند البعر : شرد

٤ ـ العناق : الأنثى من أولاد المعز

Marfat.com

إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء»

ح ـ والإسلام يوجب على الأمة أن تنقاد لولي الأمر في العسر واليسر، والمنشط والمكره. فله عليها حق السمع والطاعة، ولكن ذلك مشروط بشرطين في الانقياد للأمر:

١ ـ أن يكون المأمور قادرا على القيام بما أمر به، أما ما لا يستطيع القيام به فلا تلزمه الطاعة فيه. إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. وعن ابن عمر قال: «كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم»[1]. والله تعالى يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2].

٢ ـ أن يكون ما أمر به معروفا موافقا لأحكام الشريعة، فالسمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[3]. وهذا هو ما بينه أبو بكر الصديق رضي الله عنه «**اطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم**».

وذلك أولا وآخرًا بيان أبي بكر الصديق الخليفة الأول في أول خطبة يوجهها لأمته.

---

١ ـ متفق عليه

٢ ـ الآية (١٦) من سورة التغابن

٣ ـ رواه البخاري.

Marfat.com

رابعا: من الهدي النبوي في بعض شئون الحياة

أ ـ آداب طلب العلـــم

يفرض الإسلام على المسلـم أن يتعلـم، وأن تكون أمته أمة علـم ومنارة هداية للبشرية كافة في مرافق الحياة كلها.

فنهج القرآن الكريـم في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وبما له من صفات الكمال. وتوحيده عز وجل هو منهج الفطرة في النظر والتأمل، حتى يهتدي الإنسان إلى الاعتقاد بوجود خالق مدبّر لهذا الكون يستحق العبادة وحده دون سواه

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2]

وعلى المسلـم أن يتعلـم أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام بما تسلـم به عقيدته، ويصح دينه.

ويفرض الإسلام على الأمة الإسلامية أن تتعلـم من وسائل الحياة والعمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها، ويحفظ لها كيانها، ويصون عزتها. حتى تكون في منعة من أعدائها. وفي الحديث «طلب العلـم فريضة على كل مسلـم»[3] ويقول تعالى:

---

١ ـ الآيات (١٦٣، ١٦٤) من سورة البقرة

٢ ـ الآية (٢٢) من سورة الأنبياء

٣ ـ رواه ابن ماجه

Marfat.com

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

وقد بين الغزالي في الاحياء العلم الذي هو فرض كفاية والذي هو فرض عين فقال[2]. «إعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة، فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِج[3]. أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا يُتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات، كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام لسارع الهلاك إليهم، وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله.

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك، مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه، وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات[4]. وعلم الشعبذة والتلبيسات وأما المباح فالعلم بالأشعار

---

١ - الآيه (١٢٢) من سورة التوبة
٢ - إحياء علوم الدين للغزالي ص ١١٧ ج ١
٣ - حرج: وقعوا في الحرج والإثم.
٤ - الطلسم: كلمة يونانية الأصل، تدخل في علم السحر وشاع على الألسنة: طَلْسَم كجعفر، والجمع طلاسم.

Marfat.com

التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها».

وذكر ابن تيمية في كتاب «الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية»[1] ما يحتاج إليه الناس من صناعات، وبين أن هذه الصناعات فرض على الكفاية، فإنه لا يتم مصلحة الناس إلا بها، كما أن الجهاد فرض على الكفاية، والكفاية ما لم يقم بها أحد يعتبر فرض عين على من لديه استطاعة.

وإذا كان علماؤنا السابقون قد نصوا على علوم وصناعات بعينها فلأنها هي التي كانت لديهم مما تدعو إليه الحاجة. وانطلاقا من قاعدة ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب.. يتبين لنا بالنسبة إلى عصرنا الحاضر أنه يجب على الأمة أن يكون لديها من المتخصصين وأرباب المهن ما يسد حاجتها في مجالات الحياة كلها، بدءا بالخباز ونهاية بعالم الذرة وما يحتمل أن يجدّ من علوم في المستقبل، حفاظا على دينها وحماية لها.

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلب العلم وبين مثوبته «من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله لديه طريقا إلى الجنة»[2].

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم، أن يتفقّه الناس، وأن يحملوا العلم إلى غيرهم «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[3]. «الدال على الخير كفاعله»[4]. «نضرّ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» وكان ابن مسعود يقول: «اغد عالما أو متعلما، ولا تغد فيما بين ذلك، فإن ما بين ذلك جاهل أو جهل. وإن الملائكة تبسط أجنحتها لرجل غدا يطلب العلم من الرضا لما يصنع».

وكتابة العلم أدعى للضبط واعون للحفظ واكثر تناقلاً وذيوعًا، عن عمرو بن

---

١ ـ انظر ص (١٧ ـ ٢٢) ط دمشق، دار الكتب العربية

٢ ـ خرجه مسلم ورواه الأربعه والحاكم

٣ ـ رواه البخارى

٤ ـ رواه مسلم وأبو داود

Marfat.com

شعيب عن أبيه عن جده قال :« قلت يا رسول الله، اكتب كل ما أسمع منك ؟ قال : نعم، قلت : في الرضا والغضب، قال : نعم فاني لا أقول في ذلك كله الا حقا » وقال الخليل بن أحمد : ما سمعت شيئا الا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته الا نفعني .

ومهما كان الانسان دقيقا في الكتابة أو كانت دقة الطباعة فإن الأمر لا يخلو من تصحيف أو سقط. ولذا كانت المعارضة لازمة، عن هشام بن عروة قال :« قال لي أبي : يا بني كتبت ؟ قلت : نعم. قال : عارضت ؟ قلت : لا . قال : لم تكتب» وعن عبد الرزاق قال : « سمعت معمرا يقول : لو عورض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط، أو قال : خطأ» .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم أن يسأل الانسان أهل العلم فيما لا يعلمه، في الحديث «شفاء العي السؤال» وقالت عائشة :« رحم الله نساء الانصار، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن» وقالت ام سليم : « يارسول الله، ان الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل ؟»

واستحى علي رضي الله عنه أن يسأل عن المذي لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنته التي كانت عنده . فامر المقداد بن الأسود فسأل له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

وفي الأحاديث والأثار آداب للعالم والمتعلم نجمل اهمها :

١ ـ **حسن النية وصحة المقصد** ـ فانما الاعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام، وإسرار المعروف لصالح الاسلام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه . والانتفاع بالعلم ثمرة الاخلاص فيه، وفي الأثر عن جابر مرفوعاً« لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتجتازوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار»[1] ومن وصايا لقمان

---

١ ـ وَعيدٌ له بالنار وتحذير من ذلك .

Marfat.com

لابنه« يا بني: لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تدعه لثلاث، لا تتعلمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به، ولا تدعه زهادة فيه، ولا حياء من الناس، ولا رضا بالجهالة».

٢ ـ **حسن الخلق** ـ فالمعلم في موقف المؤدِّب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس الا إذا كان المؤدب مثالا يحتذى في الخلق والفضيلة، والكلمة الطيبة تجذب اليها الدارس، ويأخذ منها القدوة، والكلمة النابية قد تصرف الطالب عن الاستفادة مما يسمع أو يقرأ، وتقطع عليه مجرى تفكيره.

٣ ـ **الامتثال والعمل** ـ فإن العلم يجد قبولا من العاملين به أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه، وحسن السيرة يجعل المعلم قدوة حسنة لطلابه، ومثالا حيا لما يقرره من علم، وكثيرا ما يصد الناس عن تلقي العلم من بحر زاخر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه. وقد قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾

ومن أول الناس الذين يقضى فيهم يوم القيامة، رجل تعلم العلم وعلمه ولم يعمل به. وعن معاذ قال:« اعملوا ما شئتم ان تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا».

٤ ـ **التواضع ولين الجانب** ـ فالصلف العلمي حاجز حصين يحول بين الانسان والانتفاع بعلمه،« وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[1] ومن افضل آداب العالم تواضعه، وترك الاعجاب بعلمه، ونبذ حب الرئاسة عنه، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه، فان اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

٥ ـ **عزة النفس** ـ فينبغي للعالم ان يترفع عن سفساف[2] الأمور ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف، وفي الحديث «ومن أتى السلطان

---

١ ـ رواه مسلم وأحمد والترمذي

٢ ـ السفساف: الرديء من كل شيء أو الأمر الحقير.

Marfat.com

افتتن»[1] ومن وصايا أبي قلابة لأيوب السختياني «يا أيوب احفظ عني ثلاث خصال. إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك، فإن الغنى من العافية».

٦ ـ **حسن السمت والوقار** ـ فان هذا يكسب العالـم هيبة في مظهره العام، وجلوسه ووقوفه ومشيته دون تكلف. وعندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[2] وعن ابن عباس قال: «مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن حديث ما منعني منه إلا هيبته» وعن طاوس قال: «إن من السنة أن توقر العالـم» والهيبة لا تنافي التواضع، وقد قال صلى الله عليه وسلـم: «تعلموا العلـم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء»[3].

٧ ـ **تقديـم من هو أولى منه** ـ فلا يتصدى للعلـم بحضرتهـم وهـم أحياء، ولا يغمطهـم حقهـم بعد الممات، بل يرشد الى الاخذ عنهـم وقراءة كتبهم. وقيل لمعاذ بن جبل: «أللرجل العالـم أن يقول ومعه عداده من الناس في الأمر لا بد منه؟ قال: إن شاء قال، وإن شاء أمسك حتى يكفيه أصحابه، فذلك أحب إلي»[4].

---

١ ـ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد.

٢ ـ رواه مسلـم، وغمط الناس: احتقارهـم

٣ ـ أخرجه البخاري في الادب المفرد.

٤ ـ راجع هذا الموضوع من كتاب «جامع بيان العلـم وفضله» لأبن عبد البر.

Marfat.com

ب ـ آداب الطعام والشراب

الاسلام دين عام شامل يتناول شئون الحياة كلها، حتى تكون حياة المسلم على هدى من الله وبصيرة. يمارس أي عمل من الأعمال فيشعر فيه برابطة الدين التي تجذب إلى استشعار عظمته، وأنه يلتزم الوفاء نحوه، يستوي في هذا شئون الانسان التعبدية، وشئون العادية المباحة، فإن حسن النية في العادة المباحة يجعل المباح قربة وعبادة، ومن ذلك ما هدانا اليه رسولنا صلى الله عليه وسلم في آداب الطعام والشراب.

١ ـ الحلال الطيب ـ أباح الله لعباده الطيبات من الرزق، والطعام الطيب في الاسلام هو ما كان طريق كسبه مشروعا، وكان تناوله مشروعا، حتى يكون طيبا عاجلا وآجلا، وقد امر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1] وقال:

﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[2]

فينبغي للمسلم أن يقصر طعامه وشرابه على الحلال الطيب.

٢ ـ التسمية في أول الطعام ـ والمسلم يصل أمر حياته دائماً بالله، ويستهديه في كل شأن من شئونه، ويلتمس منه البركة والخير. وكان من هديه صلى الله عليه وسلم: أن يسمي الله على أول طعامه، واذا نسي الانسان التسمية أولا فانه يتدارك ذلك عند تذكره أثناء الطعام «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإذا نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره»

٣ ـ الحمد في آخر الطعام ـ وكما يبدأ المسلم طعامه بالتسمية فإنه يختم بالحمد، وقد استمتع بما أحل الله له، اعترافا بنعمته تعالى عليه. وشكراً له على ما أنعم، وثناء عليه بما يستحق «وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع مائدته قال:

١ ـ الآيه (١٧٢) من سوره البقره.
٢ ـ الآية (٥١) من سورة المؤمنون.
٣ ـ رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح

Marfat.com

«الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مَكْفيّ ولا مُسْتغْنىً عنه ربنا»[1] وقال صلى الله عليه وسلم: «من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه»

٤ ـ **أن لا يعيب طعاما حلالا** ـ لكل انسان شهوته الخاصة نحو أطعمة بعينها يحبها وتشتهيها نفسه، وقد تعاف نفسه بعض الاطعمة التي أحلها الله، لعدم إلفه لها، أو ندرة وجودها في بيئته، أو لأن نفسه تقز[2] من طعام بعينه لأي عامل نفسي، فإنه يتركه دون أن يعيبه او يعيب من يأكله. فقد كان هديه صلى الله عليه وسلم في الطعام أنه لا يرد موجودا، ولا يتكلف ما ليس عنده، وما قرب اليه شيء من الطيبات الا أكله، الا ان تعافه نفسه، فيتركه من غير تحريم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط. إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»[4] وأكل الضب على مائدته ولم يأكل منه، إذ عافته نفسه، لأنه ليس بأرض قومه.

٥ ـ **الأكل باليمين** ـ وسنة هذه الأمة التيامن في كل أمر حسن لا يستقذر، كالوضوء والغسل والتيمم، ولبس الثياب، ودخول المسجد، والمصافحة. والمؤمن يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾[5] وأهل الجنة هم أصحاب الميمنة

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ ﴾[6]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في شأنه كله، في طهوره وترجله[7]، وتنعله».

---

١ ـ رواه البخاري
٢ ـ رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن
٣ ـ قزّت نفسه: أبت الطعام
٤ ـ متفق عليه
٥ ـ الآية (١٩) من سورة الحاقة. هاء: اسم فعل أمر بمعنى خذ. وهاؤم: للجمع. أي خذوا
٦ ـ الآيتان (٨، ٩) من سورة الواقعة
٧ ـ الحديث متفق عليه ـ ورجل سعره: سرحه.

Marfat.com

ومن التيامن المسنون الأكل والشرب باليمين، فلا يأكل باليسار التي يستخدمها فيما يستقذر غالبا، وعن سلمة بن الأكوع «أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلـم بشماله فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه»[1].

ولا بأس بأن يستعين الانسان بالشمال في طعامه، ولكنه يجعل التناول بيمينه، وإذا كان الأكل بالسكين «والشوكة» قد جرى فيه العرف عند الناس أن يقطع الانسان الطعام بالسكين في يمينه لأن اليمين أمكن في القطع، ويتناول المقطوع بالشوكة إلى فيه بيساره، فهذا عرف خاطىء، ويستطيع الانسان أن يقطع الطعام أولا مستعينا بكلتا يديه، ثم يتناول بيمينه، أو يعود نفسه أن يمسك السكين باليسار «والشوكة» باليمين.

٦ ـ **الاكل مما يليه** ـ حين يأكل الانسان في «صحن» مستقل يضع فيه القدر المناسب والذي يأكله، ولا يشاركه أحد فيه. أما حين يأكل مع غيره من قصعة كبيرة فإنه ينبغي أن يأكل مما يليه، فلا تطيش يده يمنة ويسرة أمام غيره، أو وسط القصعة، لأن هذا يؤذي الذين يأكلون معه. والنفس بطبيعتها تأنف أكل الطعام الذي انغمست فيه الأيدي المتعددة، إذ لا يدري المرء مدى نظافتها، واليد الطائشة في تناول الطعام تشعر بنهم صاحبها ونزقه. وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: «كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلـم[2] وكانت يدي تطيش في الصحفة[3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «يا غلام، سـم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[4].

---

١ ـ رواه مسلـم.

٢ ـ أي تحت نظره.

٣ ـ تتحرك وتمتد في نواحي الصحفة. والصحفة: قطعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة

٤ ـ متفق عليه

Marfat.com

وإذا تحركت الأيدي بطيش في القصعة انفرط سماطها[1]، وظن الأكلة أنها لا تفي بحاجتهم، وذهبت بركتها، وفي الحديث «البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»[2].

٧ ـ **الإفراد فيما يتأتى فيه القران** ـ من الأطعمة ما يكون حبا صغيرا جدا يصعب على الإنسان ان يأكله حبة حبة، مثل حب السمسم، فلا بأس أن يقرن الانسان بين حبتين او اكثر، أما ما يكون كبيرا كالتمر والعنب ونحوهما فإن تناوله واحدة واحدة ادعى للقناعة، وايسر في المضغ، فلا يقرن بين ثِنْتَيْنْ، وعن جبَلَةَ بن سُحَيْم قال: «اصابنا عام سنة[3]، مع ابن الزبير، فرُزِقنا تمرا، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تُقارنوا فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القِران»[4].

٨ ـ **الجلوس المعتدل** ـ والأكل تناول لطعام انعم الله به على الانسان، وذلك يقتضي ذكر النعمة، وشكر المنعم، وجميل التواضع له، والجلوس المعتدل عند تناول الطعام فيه من الاتزان ما يوحي بذلك. وهذا هو أدب الاسلام في هدي رسولنا صلى الله عليه وسلم، فإنه قال: «لا آكل مُتكئا»[5]، والاتكاء المذموم عام يشمل المائل على جنبيه، والذي يتكئ على إحدى يديه ويأكل بالأخرى، ونحو ذلك.

٩ ـ **عدم البطنة** ـ المعدة بيت الداء، والمسلم عف يأكل قدر حاجته، بما يغذي جسمه، ويسد جوعته، لأنه يأكل في معي واحد، فلا يكون شرها، يأكل بنهم كأنما يأكل في سبعة أمعاء، والصحة البدنية تنص على ذلك في علومها، وللبطنة ادواء وبيلة، تعود على صاحبها بالضرر البالغ، والمرض العضال الفتاك، ولذا كان هدي الاسلام ان لا يفرط الانسان في الطعام والشراب، عفة لنفسه، وحفاظا على صحته

---

١ ـ السماط: الشيء المصف، والسماط: ما يبسط ليوضع عليه الطعام.

٢ ـ رواه أبو داود والترمذي.

٣ ـ أي جدب.

٤ ـ متفق عليه.

٥ ـ رواه البخاري.

Marfat.com

«ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يُقمْن صلبه. فإن كان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1].

١٠ ـ ما يتصل بالأكل بالأصابع ـ قد يأكل الانسان بيده مستخدما اصابعه، وقد يستخدم ادوات الطعام المعروفة اليوم، ولا يعتبر استخدام هذه الادوات امارة على التقدم والرقي، كما لا يعتبر اكل الانسان باصابعه امارة على التأخر والبداوة، فإن الانسان ينظف يده بنفسه، ويطمئن الى نظافتها. ولا تأنف نفسه منها، وهذا كله قد لا يتحقق في ادوات الطعام التي يستخدمها، ومن الأطعمة ما يتعذر استخدام هذه الادوات في تناولها فيكون الانسان مضطرا الى استخدام يده، وهذا لاعيب فيه «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث اصابع، فإذا فرغ لعقها»[2]، والأكل بإصبع واحدة يدل على التكبر، والأكل بالأصابع الخمس يدل على الحرص والجشع.

١١ ـ قلة الطعام وكثرته ـ إن الطعام القليل يجعل الله فيه البركة، إذا دعي اليه أهل التقوى وتكاثرت الأيدي عليه. وكثيرا ما يعرض للانسان ضيف طارئ، فيتوهم ان استضافته مع قلة الطعام الذي في بيته توقعه في الحرج، ولكن النفس السمحة الطيبة تقبل كرم الضيافة على اي حال، ويستقبل المضيف هذا برضا اداء لسنة الاسلام، وليس الكرم في كثرة الطعام بقدر ما يكون في سماحة النفس وجودها وسخائها «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الاربعة»[3].

١٢ ـ التنفس خارج الإناء في الشرب ـ إن عَبّ الشراب مرة واحدة له تأثيره السيء على اللهاة والحنجرة، وقد يشرق به الانسان[4]، ولا سيما اذا شرب بعد عطش، وقد يضيف تنفسه فيتنفس داخل الاناء، وزفير التنفس يخرج ملوثا بالجراثيم الضارة، ويمر على الفم الذي يكون متغير الرائحة غالبا ـ ولذا كانت

---

١ ـ رواه البخاري.

٢ ـ رواه مسلم.

٣ ـ متفق عليه.

٤ ـ شرق بالماء ونحوه: غص

Marfat.com

الأناة في الشرب على جرعات متقطعة يتنفس فيها المرء خارج الاناء ثلاثا من أدب الشراب في الاسلام «وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا»[1]، وقال: «اشربوا مثنى وثلاث. وسموا اذا أنتم شربتم. واحمدوا اذا انتم رفعتم»[2] «ونهى ان يُتَنَفَّس في الاناء»[3].

والنفخ في الشراب كالتنفس في الاناء للأضرار الصحية الآنفة الذكر، بل هو اشد من التنفس، وقد ورد النهى عنهما معا «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتنفس في الاناء أو يُنْفَخَ فيه»[4].

١٣ ـ الأيمن فالأيمن ـ اذا كان الناس في مجلس واحد فان تقديم الشراب يكون الى كبيرهم اولا، ثم يعطى من على يمين الشارب فمن يليه، وهلم جرا، وان كان من على يساره اولى واكبر، لأن سنة الاسلام التيامن، وتقديم من على اليمين ـ وإن كان مفضولا ـ على من على اليسار، وليس هذا ترجيحا لمن على اليمين، ولكنه ترجيح لجهته، اي لمعنى في جهة اليمين، وهو فضلها على جهة اليسار.

ومن الخطأ الشائع ما يظنه بعض الناس من ان البدء باليمين يعني يمين المجلس. او يمين الساقي، وليس كذلك، عن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه اعرابي، وعن يساره ابو بكر رضي الله عنه، فشرب، ثم اعطى الاعرابي وقال: «الأيمن فالأيمن»[5].

١٤ ـ الشرب جالسا ـ شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا، وشرب قائما، وكان اكثر شربه قاعدا، ويتعرض من يشرب قائما لغير عذر الى ان يُغَصّ، ويتعرض الى سقوط الاناء من يده، وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى ان يشرب الرجل قائما»[6]، وثبت انه شرب قائما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم»[7].

---

١ ـ متفق عليه.
٢ ـ رواه الترمذي.
٣ ـ متفق عليه.
٤ ـ رواه الترمذي
٥ ـ متفق عليه ـ وسيب: أي خلط
٦ ـ رواه مسلم.
٧ ـ متفق عليه

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

وعن النَّزَّال بن سَبُـرة رضي الله عنه قال: «أَتَى عليّ رضي الله عنه باب الرَّحَبَة[1]، فشرب قائما وقال: «إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلـم فعل كما رأيتموني فعلت».

وقد ذكر ابن حجر أنه لا خلاف في جواز الأكل قائما، لا ماشيا ـ وانما اختلفوا في جواز الشرب قائما، فذهب الجمهور الى الجواز وكرهه قوم، قال: والذي يظهر لي ان احاديث شربه صلى الله عليه وسلـم قائما تدل على الجواز، واحاديث النهي تحمل على الاستحباب والحث على ماهو اولى واكمل، ولم يخرج البخاري احاديث النهي، وانما خرّجها مسلـم، وقال النووي: إن النهي فيها محمول على التنزيه، وإن شربه قائما لبيان الجواز، وبهذا تجمع احاديث الباب.

هذا وان تكييف وسائل الطعام والشراب واعداد السفرة[2]، وتجهيز المائـدة وتنسيقها وتصفيفها ونحو ذلك لا شيءَ فيه، وللناس ان ينظموا طعامهـم كما يشاءون ماداموا يراعون آداب الطعام والشراب، ولا يستعملون آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب ـ وسائر وجوه الاستعمال ـ لما في ذلك من بذخ واسراف، وضياع لمال الأمة، وتعطيل لثروتها، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلـم نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: «هي لهـم في الدنيا، وهي لكـم في الآخرة»[3]، وفي رواية لمسلـم: «إن الذي يأكل او يشرب في آنية الفضة والذهب إنما يُجَرْجر في بطنه نار جهنـم» والحرير والديباج يحل للنساء دون الرجال أما آنية الذهب والفضة فإنها تحرم على النساء والرجال جميعا.

---

١ ـ الحديث رواه البخاري، والرحبة: المكان المتسع، والرحبة هنا: رحبة الكوفة

٢ ـ السفرة: ما يبسط اليه الأكل، وتطلق على طعام المسافر.

٣ ـ متفق عليه

Marfat.com

جـ ـ آداب النوم والاستيقاظ

يأوي الانسان الى فراشه، ويأخذ مضجعه لينام، فيسلـم نفسه لبارئها، ثم يستيقظ فيغدو ويروح لكسبه، بعد ان اخذ جسمه قسطه من الراحة، فيكون اكثر نشاطا وهمة، والمسلـم في جميع احواله على ذكر دائـم لربه، يلهج بالثناء عليه، ومن ذلك ما ورد في آداب النوم والاستيقاظ.

١ ـ الدعاء عند النوم واليقظة: النوم موت اصغر:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[١].

فإذا استيقظ الانسان بعد نومه فذا يشبه الحياة بعد الموت. وفي ذلك تذكرة له بالحياة الاخرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلـم اذا اراد ان ينام قال: «باسمك اللهـم اموت وأحيا» واذا استيقظ من منامه قال « الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور»[٢].

٢، ٣ ـ نفض الفراش والاضطجاع على الشق الأيمن ـ يكون فراش النوم خاليا طول النهار غالبا، وهذا يعرضه للغبار، وربما آوت اليه بعض الهوام التي قلّما يخلو منها بيت، فيكون تنفيضه نظافة وامنا واطمئنانا.

والتيامن من هدي الاسلام، والقلب يميل الى الشق الايسر، فاذا نام الانسان على الشق الايمن كان اكثر استعدادا لليقظة والشعور والانتباه، وهذا يساعد على الاستيقاظ المبكر، ولا سيما الاستيقاظ لصلاة الصبح.

وفي هذين الامرين روي عن ابي هريرة انه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «اذا آوى احدكـم الى فراشه فليحلّ داخلة إزاره، فلينفض بها فراشه، فإنه لا يدري ما خلف في فراشه، وليضطجع على شقه الأيمن»[٣].

---

١ ـ الآية (٤٢) من سورة الزمر

٢ ـ أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

٣ ـ أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي.

Marfat.com

وعن البراء بن عازب قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلـم اذا أوى الى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: «اللهـم وجهت وجهي اليك، واسلمت نفسي اليك، وألجأت ظهري اليك، رهبة ورغبة اليك، لا منجا ولا ملجأ منك الا اليك، آمنت بكتابك الذي انزلت. ونبيك الذي ارسلت» قال: «فمن قالهن في ليلة ثـم مات مات على الفطرة»[1]. وهذا دعاء جامع لكل ما يجب الأيمان به اجمالا من الألهيات والنبوات، واسناد ذلك الى الله، والتوكل عليـه سبحانـه، والرضـا بقضائـه، والاعتراف بالثواب والعقاب.

٤ ـ **الوضوء** ـ والنوم على طهارة اكثر نظافة، حيث يكون ذلك في نهاية يوم قضاه الانسان في العمل. فكان الوضوء قبل النوم محققا لذلك، وفي رواية البخاري بحديث البراء الآنف الذكر: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن».

٥ ـ **وضع اليد تحت الخد الأيمن** ـ اذا نام المرء على شقه الأيمن، فإن جسمه يأخذ راحته اذا وضع كفه اليمنى تحت خده، «وكان النبي صلى الله عليه وسلـم اذا اخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن وقال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»[2].

٦ ـ **غسل اليدين** ـ واذا لم يمكن الوضوء، فلا اقل من ان يغسل الانسان يديه لانهما يتعرضان للوسخ، واذا نام بهما ملوثتين كان تحركهما في النوم مؤذيا له، في عينيه او فمه، وربما كانت رائحتهما مدعاة لاجتذاب الهوام نحوهما، فيكون غسلهما وقاية من ذلك كله، عن النبي صلى الله عليه وسلـم قال: «من نام وبيده غَمَرٌ قبل ان يغسله فأصابه شيٌ فلا يلومَنّ الا نفسه»[3].

٧، ٨، ٩ ـ إغلاق البيت، وإحكام غطاء الآنية، واطفاء السرج ـ يحتاج

---

١ ـ متفق عليه
٢ ـ أخرجه النسائي والترمذي
٣ ـ وداء البحر بي، والغمر زهومه اللحم والسمن ونحو ذلك من الدسم.

Marfat.com

النوم الى طمأنينة النفس حتى يكون قسط الانسان من راحته كافيا، واكثر ما يعرض للبيوت ليلا من اخطار يعرض لها، باقتحامها سلبا ونهبا وعدوانا، او بإشعال الحريق فيها سهوا او خطأ، وترك البيت مفتوحا، او المصباح موقدا يؤدي الى تلك الاخطار، واستخدام المصابيح «الكهربائية» المستعملة الآن في عصرنا بوسائل الإضاءة وان كان اكثر امنا فإنه لا يسلم من الخطر كذلك. لما يحتمل ان يعرض اثناء النوم من مس «كهربائي» واذا حصل الأمن في القناديل «الكهربائية» الخافتة، ذات قوة خمس شمعات او عشر فلا بأس بها لانتفاء العلة.

وترك انابيب الماء دون تثبت من اغلاق الصنبور، او الغفلة عن تغطية آنية الماء او الطعام يؤدي الى اضرار اخرى اذا سال الماء. او تلوثت الآنية. وفي هذا كله يقول صلى الله عليه وسلم: «أغلقوا الأبواب، وأوكئوا السقاء[1]، وخمروا الإناء[2]، وأطفئوا المصباح»[3].

والامر باطفاء السرج يدخل فيه الاحتراز من النار بالطريق الاولى، وقد ورد ما يخصها بالذكر «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»[4].

وذكر الشاطبي في الموافقات: أن المعونة الغيبية يستحقها من لم يقصر في الأسباب العادية حسب وسعه، وهذا يدل على ان الأخذ في الاسباب السابقة المطلوبة شرعا يحقق معونة الله للعبد في أمنه على نفسه وبيته، ولا يكون الامر كذلك عند التفريط.

١٠ ـ **غسل اليدين بعد الاستيقاظ** ـ لا يشعر الانسان اثناء النوم بحركة يديه، وقد تمتد إحداهما او كلتاهما الى مكان مستقذر، فيعلق بها ما يعلق، فإذا استيقظ غسل يديه قبل ان يستعملهما في شيء، أو يدخلهما في إناء: «اذا استيقظ احدكم من نومه، فلا يدخل يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا. فإنه لا يدري اين باتت يده»[5].

---

١ ـ اربطوه وشدوه، والوكاء: اسم ما يشد به القربة.
٢ ـ خمروا الإناء: غطوه.
٣ ـ أخرجه البخاري والترمذي.
٤ ـ متفق عليه.
٥ ـ رواه أحمد في مسنده، ومالك في الموطأ

Marfat.com

خامسا من الحقوق الإسلامية

على المسلـم حقوق نحو ربه، وحقوق نحو إخوانه. والأقربين من أهله، وإليك طَرَفَا من هذه الحقوق:

أ ـ حق الله، وحق رسوله صلى الله عليه وسلـم.

يقف المرء عاجزا عن بيان حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلـم، إذ لا يستطيع أن يحصي ذلك إحصاء دقيقا، وتلك ـ كما أرى ـ حقيقة تعبر عن قصور الإنسان وعجزه، فإن آلاء الله عليه لا يحصيها عد، وكل نعمة تستوجب شكرا، وقصارى ما يستطيعه المرء أن يتعرّف على أصول هذه الحقوق:

١ ـ **التوحيد**ـ توحيد الله تعالى في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، والبراءة من الشرك بأنواعه هو أساس الدين، ورأس الإيمان، حتى تتحقق العبودية الخالصة لله، بتجرد العبد لربه، يدعوه، ويعبده، ويخصه بالرجاء والخوف، والسؤال والقصد، ويثبت له ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلـم فيما صح عنه، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تأويل.

وهذا التوحيد هو عماد الدين، وبه بعث الله رسله وأبلغهـم رسالاته، حتى يخلصوا البشرية من الأرباب المتعددين، وسلطات المتألهين، وما من رسول بعثه الله إلا ودعا الناس إلى توحيد الله. وعبادته وحده، ويتابع المسلـم موكب النبوات عبر التاريخ فيجد ان لب دعوتهـم هو هذه العقيدة، حتى ختـم الله رسالاتهـم برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلـم إلى البشرية كلها، تلك الرسالة الخالدة إلى يوم الدين. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾[1].

---

[1] ـ الآية (٢٥) من سورة الأنبياء

Marfat.com

وهذا يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، فلا يعبد المسلم إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله. كما يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات.

ولقد كان المشركون يقرون بخالق واحد، ولكنهم أشركوا به غيره في العبادة، واتخذوا من دون الله شفعاء.

وهذا التوحيد الذي هو حق لله على عباده له أدلّته التفصيلة من الفطرة والعقل والنقل بما يلجم المعاندين، ويدحض شبه المفترين، ومجال ذلك في مادة التوحيد.

٢ ـ **العبادة**: عبادة الله وحده هي غاية الحياة التي من أجلها خلق الله الإنس والجن: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وأصلها من التذلل والخضوع، ولا يستحقها إلا من له غاية الإنعام وهو الله سبحانه وتعالى، وهي تعني أن يلتزم العبد طاعة الله والقيام بشرعه في كل شأن من الشئون خاضعا متذللا، يبتغي مرضاته تعالى، ويرجو منه الثواب والأجر ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ ﴾[2].

ولا يكفي أن يمارس المسلم العبادة حتى يكون قلبه خالصا لله، فالأعمال بالنيات وقد قال الله تعالى لنبيه ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[3]. وقال:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[4].

إنه لا سلطان لأحد على عباد الله إلا إذا كان هذا السلطان مستمدا من شرع الله، سواء في ذلك سلطان الخرافة والوهم، أو سلطان الهوى والشهوة. أو سلطان الرهبنة ورجال الدين، أو سلطان الجبابرة الطغاة من ذوي السلطة الزمنية. فهذا ونظائره من الطواغيت التي تجاوزت حدها، وتقمصت ما ليس لها من خصائص

---

١ ـ الآية (٥٦) من سورة الذاريات
٢ ـ الآية (٥) من سورة الفاتحة
٣ ـ الآية (٦٦) من سورة الزمر
٤ ـ الآية (٥) من سورة البيّنة.

Marfat.com

الألوهية، وهي التي جاء الأمر باجتنابها في مقابل الأمر بعبادة الله وحده

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1].

والعبادة بهذه المعنى من صميم عقيدة التوحيد.

ولم يجد الشر مدخلا على الحياة الإنسانية لإفسادها، وانحراف سلوكها، واجتيالها عن دينها[2]. بمثل ما وجد من هذه السبل في القديم والحديث، تأليها للأحبار والرهبان، أو خروجا على تحكيم شريعة الله في الأرض

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾[3].

فكل سلطة أو إمامة أو قيادة تبغي على الله وتتمرد على شريعته، وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه، أو بالإغراء، أو بالتدجيل والتضليل، فهي طاغوت. واستسلام المرء لتلك السلطة أو الإمامة أو الزعامة وتعبّده لها وطاعته إياها عبادة للطاغوت

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾[4].

واللجوء في الأهوال والشدائد إلى أي قوة حقيقية أو وهمية، والتضرع لها، والاعتقاد بقدرتها على كشف الضر والإغاثة، أو جلب النفع والإعانة ـ كل ذلك من العبادة التي لا تكون إلا لله، وإذا صرفت لغيره كان الشرك

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾[5]. ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾[6].

---

١ ـ الآية (٣٦) من سورة النحل

٢ ـ اجتباله حوله عن قصده

٣ ـ الآية (٣) من سورة الأعراف

٤ ـ الآية (٣١) من سورة التوبة.

٥ ـ الآيتان (١٣، ١٤) من سورة فاطر.

٦ ـ الآية (٧٦) من سورة المائدة.

Marfat.com

وفي حديث معاذ بن جبل بالصحيحين : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا».

٣ ـ **الشكر** ـ يسدي إليك شخص معروفا يمد إليك فيه يد العون دون أن يضر بالآخرين، فتجد نفسك أسير جميله، تحرص على مكافأته، وتتقدم إليه بخالص الشكر، والله سبحانه وتعالى هو الذي أنعم عليك بهذا الخلْق السوّي، ورعاك في مراحل نموك جنينا وطفلا وصبيا، ويكلؤك بعنايته شابا وشيخا، في سرائك وضرائك. وتتوالى نعمه عليك تترى في كل حال من أحوالك. فمن حق هذا المنعم المتفضل عليك أن تشكره بأداء حقه في كل نعمة.

فمن شكر الله عليك في صحتك وسلامة حواسك أن تستفيد منها فيما أحل، وتصونها عما حرم ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

ومن شكر الله عليك في مالك أن تستمتع به المتعة الحلال، وأن تؤدي حق الله فيه للفقراء والمساكين والمعوزين وذوي المسغبة، وتواسي به البائسين، وتكفكف عبرات المنكوبين، وتسهم في مشروعات البر والخير خدمة لأمتك، وعونا لأبناء جلدتك، واصلاحا لمجتمعك.

ومن شكر الله عليك في علمك أن تستثمره في إفادة غيرك، ورفعة شأن بلادك، وإعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه ـ وهكذا دواليك في كل نعمة، وإذا خرج الأمر عن ذلك كان الكفران والجحود

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

٤ ـ **حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته** ـ لقد كانت بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم نعمة كبرى أنعم الله بها على البشرية بعامة، وعلى أمتنا بخاصة، فأنقذنا الله من مهاوي الرذيلة والشرك، ومتاهات الضلال والجهل، وهدانا إلى الإيمان والرشد والفضيلة، ورفع برسالته ذكرنا في الخافقين.

---

١ ـ الآية (٣٦) من سورة الإسراء.
٢ ـ الآية (٨٣) من سورة النحل

Marfat.com

فمن حق رسولنا صلى الله عليه وسلـم علينا أن نحبه ونطيعه، فذلك سبيل محبة الله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1].

وقد فرض الله على المؤمنين طاعته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[2].

وجعل الله تعالى طاعة رسوله من طاعته تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[3].

فاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلـم القولية والفعلية حق شرعي علينا.

لقد عرف التاريخ في حياة الأمـم قادة مصلحين، وأعلاما بارزين، قدموا أعمالا كان لها أثرها في النهوض بأمتهـم، فأعطاهـم الناس ما يستحقون من تعظيـم وإكبار وحب وولاء، فكيف برسلونا صلى الله عليه وسلـم الذي بعثه الله على فترة من الرسل. فأخرج الناس من الظلمات إلى النور وهداهـم إلى الصراط المستقيـم؟ إنه جدير بأن نمنحه خالص حبنا، وأن نجعل سنته ملء أسماعنا وأبصارنا.

---

١ ـ الآيه (٣١) من سوره آل عمران

٢ ـ الآيه (٥٩) من سوره النساء

٣ ـ الآيه (٨٠) من سوره النساء

Marfat.com

ب: حق الوالدين والأقارب

يرسي الإسلام دعائـم مجتمعه على اسس راسخة وقواعد ثابتة، تمتد من اعماق النفس البشرية فتخالط شغاف القلب[1]، وتستقر في سويدائه. وتمتزج بعواطفـه الأصيلة، حتى يكون بناء الامة الاسلامية بناء قويا متينا.

واقرب العواطف واشدها تأثيرا في النفس عاطفة الأبوة والامومة، والقرابة، فإنها العاطفة التي تضـم بين حنانها الوليد في مراحل نموه، فيشعر بدفء عواطف الحب والرحمة والشفقة حتى يشب ويترعرع وتواصل سيرها معه يافعا ورجـلا وشيخا، ومن روابط هذه العواطف يكون بناء الأسرة، فيشتد ساعدها، ويقوى عضدها.

وشتان بين هذا المعنى في الاسلام وما عليه المجتمعات الشيوعية والمجتمعات الرأسمالية، فتلك تقتلع الاسرة من جذورها، وتتنكر لها، وتبيح ان يكون الوليد ابنا للدولة يتربى في دور الحضانة، لا يعرف ابا ولا اما ولا قرابة، وهذه ان ابقت على رابطة الاسرة حينا فسرعان ما تحمل الابناء والبنات الى الانفصال عنها في سن مبكرة ليعيش كل واحد بمنأى عن الآخر عيشة مستقلة.

واذا كان شعور الانسان يتطلع دائما الى المستقبل، ويتدفق حيوية وطموحا نحو الجديد من الزوج والذرية، ويجد دافعا قويا الى ذلك بعامل الفطرة، فإنّ الاسلام لا يوصي الوالدين بالاولاد[2]، لان ذلك امر مركوز في فطرة الانسان، ولكن شعور الانسان الانف الذكر ينسيه النظر الى الوراء فلا يلتفت اليه، ولا يعيره اهتماما، ولذا كان التأكيد على تذكر الانسان بنشأته وفضل والديه عليه امرا لا بد منه، حتى يكون المرء على ذكر لمن افنيا حياتهما سهرا عليه، وهجرا الكرى[3]، رعاية له، واسديا اليه من المعروف رحيق حياتهما، وآثراه على انفسهما.

---

١ - شغاف القلب: غلافه وسويداؤه: حبته

٢ - لفظ الولد والأولاد يشمل الذكر والأنثى وهذا ما نريده في تعبيرنا

٣ - الكرى: النوم

Marfat.com

ويدرك الآباء والامهات هذه الحقيقة مع اولادهـم، فان الاب او الام يطيب له ان يمرض ولا يمرض ولده. وان يجوع ولا يجوع ولده، يكون في يده الطعام الشهي فيستمتع بتناول ولده له استمتاعا يفوق متعة تناوله له.

ولذا جعل الاسلام حق الوالدين والأقربين يلي حق الله تعالى.

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1].

وأكد القرآن الكريـم حق الوالدين وحق الأقربين في اكثر من آية

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[2]. ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[3]. ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[4]، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[5].

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلـم بر الوالدين من افضل الاعمال واحبها الى الله تعالى فيما اخبر به، واذا كانت الصلاة عماد الدين فإن بر الوالدين يلي الصلاة في الفضل، ويسبق الجهاد في سبيل الله، عن عبد الله بن سعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وسلـم: **أي العمل احب الى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم اي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثـم اي؟ قال: الجهاد في سبيل الله**»[6].

وتكفل الله الرحمن الرحيـم ان يصل من وصل رحمه، وان يقطع من قطعها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «إن الله تعالى خلق الخلق، حتى اذا فرغ منهـم قامت الرحـم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعـم، اما ترضَيْن ان اصل من وصلك، واقطع من قطعك؟ قالت: بلى؟ قال: فذلك لك» ثـم قال صلى الله عليه وسلـم: اقرؤوا ان شئتـم ﴿ فهل عسيتـم إن توليتـم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكـم، اولئك الذين لعنهم الله فأصمهـم واعمى أبصارهـم ﴾[7].

---

١ ـ الاية (٣٦) من سوره النساء
٢ ـ الاية (٨) من سوره العنكبوت
٣ الاية (٢٦) من سوره الاسـ
٤ ـ الاية (٣٨) من سوره الروم
٥ ـ الاية (١) من سوره النساء
٦ ـ متفق عليه.
٧ ـ **متفق عليه**

Marfat.com

وللوالدين ثـم الاقربين حقوق : ـ

١ ـ **الاحسان** : الاحسان اعلى درجات العمل الصالح، لانـه يعـني اداء الواجب مع مراقبة الله تعالى فيه، وهو كلمة جامعة تقتضي بالنسبة الى الوالدين برّهما والانفاق عليهما ان كانا محتاجين، ورفع مستواهما ان كانت حالتهما دونك في المعيشة، وقد كان يوسف عليه السلام محسنا الى والديه بعد ان آتاه الله الملك، اذ جاء بهما من البدو، ورفعهما الى العرش ـ وهذا الاحسان جاء مؤكدا بصيغة المصدر في الآية ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ اي احسنوا بالوالدين احسانا.

٢ ـ **الكلمة الطيبة وحسن المعاملة** ـ تبلغ الكلمة الطيبة في النفس ما لا يبلغه الانفاق، ويتميز الوالدان بالشعور المرهف نحو الولد، ويشتد هذا الشعور بعد الكبر، حيث يشعران بالحاجة الى العون والرعاية، وتكون حالتهما حالة ضعف قد يزدريها الانسان ويحقر من شأنها، والكلمة الطيبة في مثل هذا تضمد الجراح، وتنزل بلسما على أس الشيخوخة، والمعاملة الحسنة تبعث على الثقة، وتشيع في النفس روح البهجة، اما بذاءة اللسان بالكلمة النابية، أو اظهار ما يدل على التضجر، او الايذاء بأي نوع من انواع الاذى كالزجر والغضب، فذلك عقوق يحز في نفس الابوين، ويقتلهما قتلا، وان رأى الانسان منهما ما يكره، حيث تكون الاساءة في موضع الاحسان يقول تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ[1] وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2]

٣ ـ **التواضع ولين الجانب** ـ قد يفوق الابناء ما كان عليه الآباء، فيكون الولد اكثر ثراء، واعظـم شأنا واعلى جاها، وهذه عوامل ربما تبعث على الاستهانة بحق الوالدين غفلة وسفها، والترفع عنهما مهانة واحتقارا، والاسلام يلجـم هذه النزوة الطائشة فيفرض على الولد مهما علت مكانته، وكانت وجاهته، ان يلين جانبه

---

١ ـ أف : اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر

٢ ـ الآية ٢٣ من سورة الاسراء

Marfat.com

ويخفضه لوالديه في صغار وذلة رحمة بهما، واشفاقا على احساسهمـا

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾

٤ ـ **الدعاء لهما:** ـ الولد زرع ابيه، واذا عجز الانسان عن مكافأة صاحب المعروف بما له فإنه يمتلك الدعاء له، فيكون هذا الدعاء اثراء له في الدار الآخرة، والدعاء للوالدين من حسن الوفاء، وعظيـم البر، ولا يقتصر امره على حياتهما، بل يمتد في الحياة وما بعد الممات، فإذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: احداها الولد الصالح الذي يدعو له[1] قال تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ **وفي هذه الحقوق جاء قوله تعالى:**

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾[2].

٥ ـ **الوفاء وصلة اهل ودهما:** ـ وحقوق الوالدين تظل موصولة بعد مماتهما في الدعاء لهما والاستغفار وطلب الرحمة، وتظل موصولة كذلك بذوي الرحـم والمودة والصداقة لهما، سأل رجل من بني سلمة فقال: «يا رسول الله، هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما بعد موتهما، وصلة الرحـم التي لا توصل الا بهما، واكرام صديقهما»[3]. «ومن ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه»[4].

٦ ـ **فضل الأم:** ـ والأم في تلك الحقوق اولى من الاب، فإنهما وان اشتركا في العناية بالولد، هذا برعايته وماله، وهذه بخدمته في مطعمه ومشربه وملبسه ومأواه،

---

١ ـ والبانيه: علم ينتفع به، والصالحة: الصدقة الجارية، وقد ثبت هذا في الحديث الصحيح

٢ ـ الايات (٢٣ ـ ٢٦) من سورة الإسراء

٣ ـ رواه ابو داود ـ والصلاة عليهما ـ الدعاء لهما ٤ ـ رواه مسلم.

Marfat.com

لكن الأم قد حملته في بطنها تسعة اشهر، يمتص خلاصة غذائها، فيزيد عناؤها، وَهْناً على وهن، وضعفا بعد ضعف، وكم برحت بها الآلام عند ولادته، فأشرفت على الهلاك، وتظل ترضعه من خالص حياتها حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة.

والام كذلك ضعيفة الجانب. مكسورة الخاطر. تحتاج الى من يقف بجانبها، يشعرها بالكرامة، ويكون عضدا لها في الشدة، ولذا اوصى الله الانسان بالاحسان الى والديه ولم يذكر من الاسباب الا ما تعانيه الام اشارة الى عظم حقها ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[1]. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾[2].

وكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الام ثلاثا، ثم اتبعه بعد ذلك بحق الاب «جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: من احق الناس بحسن صحابتي؟ قال: امك، قال: ثم من؟ قال: امك، قال: ثم من؟ قال: امك، قال: ثم من؟ قال: ابوك»[3].

هذا وان بر الوالدين يسمو به الاسلام، حيث لا يفرق في ذلك بين بر وفاجر، فهو حق عام يجب اداؤه، ومعروف ينبغي الوفاء به. مالم يترتب على ذلك معصية، فانما الطاعة في المعروف:

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[4].

---

١ - الآيه (١٤) من سورة لقمان.

٢ - الآية (١٥) من سورة الأحقاف.

٣ - متفق عليه.

٤ - الآية (١٥) من سورة لقمان.

Marfat.com

حق المسلم على المسلم

أرأيت بناء شامخا يروقك منظره ويعجبك رسوخه، وتدهش لاحكامه؟ ان بناء كهذا يتكون من قواعد وأعمدة، وجدران وقاعات وآجر[1] وأدوات بناء متعددة، يشد بعضها بعضها، ومنها كان تماسك البناء وصلابته. كذلك أمة الإسلام في رسوخ قواعدها، وسموق بنائها[2]، وتآخي أبنائها، وشدة أواصرها، ويصلب عود هذه الامة ويستعصي على أعدائها ما قويت رابطتها، وتعمقت في نفوسهم عقيدتها، امتثالا لأمره تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[3]

وما أتيت أمة الاسلام من قلة عددها وفقر بلادها فهي أكثر امم الأرض عددا وأغناها ثروة. ولكنها أتيت من جدب نفوسها ووهن رابطتها فاستطاع العدو ان يمزق شملها، وأن يجعل أبناءها شيعا واحزابا، ناهيك[4] بالغزو الفكري الذي يغرر بالسذج كي ينسلخوا من عقيدتها.

إن المثل الحي لأمة الاسلام هو ما عبر عنه نبي الأمة صلى الله عليه وسلم بقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[5] فهي امة واحدة:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[6] كالجسد الواحد يشعر كل عضو فيه بسعور الآخر «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[7].

ولذا شرع الاسلام حقوقا للمسلم على أخيه، تحفظ هذه الوحدة، وتصون هذا الكيان.

---

١ ـ الآجر: معربه: اللبن المحروق

٢ ـ سمى سموقا: علا وطال

٣ ـ الايه (١٠٣) ال عمران

٤ ـ ناهيك: حسبك

٥ ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي

٦ ـ الايه (٩٢) من سوره الأنبياء

٧ ـ متفق عليه

Marfat.com

١ ـ **تعظيم حرمات المسلم:** ـ للمسلم حرمته في دمه وماله وعرضه. وهذه هي الحقوق العامة التي يقوم عليها بناء الحياة الانسانية الآمنة، حيث يشعر الانسان بالأمن على نفسه، فلا يعتدي عليه قوي يبطش به، والأمن على ماله. فلا يسطو عليه لص أو يغتصبه غاصب، والأمن على عرضه، فلا يدنس شرفه ولا يلوث نسبه، ولهذا شرع القصاص في النفس والأطراف وشرع حد السرقة، وحد الزنا، وحد القذف، حماية للدم والمال والعرض. وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقوق في قوله:«كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[1].

٢ ـ **رد السلام:** ـ ومن حق المسلم على المسلم اذا مر عليه أو زاره، أو قابله، او استأذن لدخول بيته، أو مقر عمله أن يشعره بالأمان، حتى تطيب نفسه، ويطمئن خاطره، وتستقر حياته، وذلك بالسلام عليه «السلام عليكم ورحمة الله» فاذا سلم على أخيه كان أحق بأن يرد أخوه عليه السلام بأحسن منه. يبادله الشعور بالأمان والود، توثيقا لعرى المحبة، وإشاعة لروح الأخوة، ودعاء له بالرحمة فيقول: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

ولا يغني عن السلام غيره مما كان عليه أهل الجاهلية من قولهم: عم صباحا. أو عم مساء أو نحو ذلك. فكيف بمن يتشدقون في تحية بعضهم بعضا بما تحيي به الأجنبي أبناء جلدته بلغته؟ والسلام هو تحية المسلمين في الدنيا والآخرة ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾[3] والجنة هي دار السلام ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾[4].

٣ ـ **عيادة المريض:** ـ يمرض الانسان فيسعر باهزال، وتخور عزيمته. ويتطرق اليه اليأس، وتضعف نفسيته. ويتوهم شبح الموت ماثلا أمامه يريد أن ينقض عليه ليلتهمه، ويحس بأن المرض قد طحنه طحنا. فأصبح من الهلاك قاب

---

١ ـ متفق عليه
٢ ـ الآية (٨٦) من سوره النساء
٣ ـ الآية (٢٣) من سوره ابرهيم
٤ ـ الآية (٢٥) من سوره يونس

Marfat.com

قوسين أو أدنى، وفي مثل هذه الحالة يفتش المريض عن إنسان يواسيه، وزائر يدعو له، وأخ يفتح أمامه أبواب الأمل في الشفاء، ونصير يقدم له العون حتى تستعلي همته على بواعث الضعف، ويجد من إخوانه مشاركة له في بأسائه تخفف وقع المصيبة، وآلام السقم« اللهم ربَّ الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء الا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[1].

وزيارة المريض من حقوق المسلم التي نص عليها الاسلام، تحقيقاً لتلك الغايات السامية، والأهداف النبيلة، وترويحا عن المريض، وتسلية له. وتذكيراً للزائر بناعي الموت حتى يعرف قيمة الصحة، ويشكر نعمة الله عليه فيها.

وينبغي أن يراعي المسلم في زيارة المريض اختيار الوقت المناسب، وأن لا يجلس اليه طويلا، أو يشق على أهله في عيادته، وأن يلاحظ أوامر الأطباء، من ترك الكلام معه، أو قلة الترداد عليه.

٤ ـ **اتباع الجنائز** : ـ تعظم المصيبة بالموت، حيث يجف غصن من شجرة الأسرة، وتنقص العشيرة لبنة من لبناتها، وعلاقة المسلم بأخيه لا تنقطع بمفارقة الحياة، وانما يظل حبلها موصولا، بالوداع الأخير في الصلاة عليه. وتشييع جنازته، حتى توارى جثته في قبرها ومستقرها، وفي ثنايا ذلك يجد أهله من إخوانهم المواساة الحميدة في مصابهم. «فلله ما أعطى، ولله ما أخذ، وكل شيء عنده بأجل مسمى»[2] وفي ذلك لأجر عند الله، قال صلى الله عليه وسلم : «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل : وما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين»[3].

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء عن اتباع الجنائز، في حديث أم عطية «نهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا»[4].

---

١ ـ متفق عليه، وهو دعاء يدعو به الزائر للمريض

٢ ـ من حديث متفق عليه ٣ ـ متفق عليه ٤ ـ رواه مسلم

Marfat.com

٥ ـ **إجابة الدعوة:** ـ يحدث للانسان من نعم الله عليه ما يسره كأن يزف إلى عروسه او يرزقه الله بولد، أو يشفى من مرض، فيقيم وليمة يدعو إليها إخوانه وأقاربه حتى يشاركوه مسرته، والحب في الله من أركان الايمان. وآية ذلك في صلة المسلم بأخيه أن يجيب دعوته، تأكيدًا لعلاقة أخوته. وبرهانا عمليا على انه يحب له ما يحب لنفسه، فان رفض الاجابة بلا عذر، أوغر صدره، وعرّض صلته للوهن، وأثار الارتياب في أمره وربما سبب ذلك العداء والخصومة.

وحفاظا على وحدة المجتمع المسلم، وتوثيقا لروابط أخوته ودعما لكيانه، كان من حق المسلم على أخيه أن يجيب دعوته «إذا دعي أحدكم الى وليمة فليأتها»[1].

وقد يسوغ له ترك إجابة الدعوة لأعذار تستوجب ذلك كالدعوة التي يدعى اليها الأغنياء وحدهم، وهو صنيع أكثر الناس اليوم ـ أو التي يكون في طعام وليمتها شبهة، أو التي تؤدي إلى منكر وفساد كشرب الخمور ورقص الغانيات، والخلوة بالاجنبيات. وسائر ضروب الشر الأخرى، فهذا ونظائره منكر تجب محاربته، فكيف تجاب له دعوة؟

٦ ـ **تشميت العاطس** ـ تشميت العاطس: هو الدعاء له بالخير والبركة. كأنه يسأل الله له أن يجنبه ما يدعو الى الشماتة. والعطاس يخرج الأبخرة المحتقنة في الدماغ. ولو بقيت لاحدثت ضررا به، فيكون العطاس نعمة تستدعي الحمد، والصيغة الثابتة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فاذا قال: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»[2] وما لم يحمد العاطس الله فلا تشميت له. ولما كان الحمد طاعة لله كان من موجبات الرحمة. فدعا له بها المشمّت، فيكافؤه العاطس بطلب الهداية له وإصلاح الحال. وتشميت العاطس من حق المسلم على المسلم.

---

١ ـ رواه مسلم.

٢ ـ رواه البخارى

Marfat.com

٧ ـ **النصيحة** ـ النصيحة كلمة جامعة تعني حيازة الحظ للمنصوح له. وهي من حق المسلـم على أخيه، يؤديها المرء لائمة المسلمين وعامتهم.

يؤديها لائمة المسلمين وأولي الأمر من الملوك والأمراء، والوزراء والرؤساء، والعلماء والمديرين، إعانة لهـم على الحق، وتذكيرا بحوائج الناس، وحفزا لهمتهـم حتى يقيموا دين الله ويعملوا على نشره.

ويؤديها لعامة المسلمين، أمرا لهـم بالمعروف، ونهيا عن المنكر، وإرشادا الى مصالحهـم في دنياهـم وأخراهـم.

وفي تلك الحقوق يقول صلى الله عليه وسلـم:« حق المسلـم على المسلـم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[1] وفي رواية لمسلـم« حق المسلـم على المسلـم ست: إذا لقيته فسلـم عليه. واذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، واذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه».

٨ ـ **تفريج كربته** ـ يلـم بالانسان من نوائب الحياة ما قدر عليه، في صحته وماله وولده. فيحتاج الى عون يخفف عنه وطأة البلاء محتسبا الأجر عند الله. والاسلام يجعل هذا من حقوق التآخي فيه. فمن أصابته متربة بذل له أخوه من ماله. ومن اجتاحت ثمره جائحة قدمت اليه المعونة، ومن انتابه مرض وجد من يعالجه أو يحضر له طبيبا، وبهذا ونحوه يصير وقع النازلة خفيفا. وقد ضمن الله لفاعل ذلك ان يرفع عنه يوم القيامة كربته «ومن فرج عن مسلـم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[2].

٩ ـ **ستر زلته إذا حقق هذا مصلحة، ولـم يكن فيه مضرة** ـ إن الجريمة اذا كان في الاخبار بها مصلحة للمسلمين أو دفع مضرة عنهم وجب ابلاغ من يملك التأديب عنها. ولا يجوز التشهير بها بين الناس. وإن كان في الاخبار مجرد الفضيحة

---

١ ـ متفق عليه

٢ ـ متفق عليه

Marfat.com

ولا مصلحة وراء ذلك كان الستر أولى. وبخاصة على الذين لم يعرفوا بالفساد. والستر في مثل هذا مع النصيحة الخالصة قد يعين على الاصلاح، ويحمل على الاستقامة «ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[1].

١٠ ـ **حق الضيافة** ـ إكرام الضيف من حقوق المسلم حيث ينزل المرء على أخيه. فيحتاج الى أنسه ويتطلع إلى بره، فينبغي أن يحسن استقباله، فيهش في وجهه ويبش، ويظهر له السرور بحضوره، ويقدم له خير ما عنده من الطعام والشراب، ويهيء له وسائل الراحة في جلوسه ونومه، ثم يودعه كما استقبله بمعاني الود والاخاء. والضيافة ثلاثة أيام وما زاد عليها فهو فضل من المضيف.

١١ ـ **حق الجوار**: ـ ومن حقوق المسلم على أخيه حق الجوار، بأن يتجنب ما يؤذي جاره، فلا يلقي قمامته جهة بيته، ولا يقلق راحته إن سكن فوقه، ولا يحدث ضجيجا يؤرقه في نومه، وأن يقدم له ما يستطيع من ضروب الخير، يعطيه اذا احتاج، ويكون أمينا على سره، ويسارع الى نجدته، ويتودد اليه بالهدايا، ويحرص على مصالحه حرصه على مصالح نفسه، ولا يؤذي اولاده بإظهار ما لدى اولاده من لعب الاطفال وقطع الحلوى ونحو ذلك. وفي الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»[2].

١٢ ـ **النصرة**: ـ النصرة في الحق من أمارات المروءة، لدفع البغى ورد العدوان، وحمل الناس على الاستقامة، وردع القوى عن ظلمه، وإنصاف المظلوم وإرجاع حقه، ومن حق المسلم على المسلم أن ينصر أخاه ظالما او مظلوما.

ينصره مظلوما فيمنع عنه الظلم، ويرفع الحيف ويسعى جاهدا لارعواء الظالم ويسلك في ذلك شتى الوسائل. بالنصح ان كان الكلام مجديا، أو القضاء ان تعين سبيلا لاسترداد الحق المسلوب، أو القوة التي لا تؤدي الى ضرر أشد.

---

١ ـ من حديث متفق عليه.

٢ ـ أخرجه السجستاني وابن ماجه

Marfat.com

وينصره ظالما، ولا يكون نصر الظالـم بمساندته، والتشيع له بالحق وبالباطل كما يفعل أولوا العصبية، فهذا ظلـم فوق ظلـم، ولكن نصر الظالـم يكون بمنعه من الظلـم، والأخذ على يده، وكبح جماح غضبه، وبالنصح تارة، ورفع أمره الى ذوي السلطة أخرى، وذلك نصر له حتى لا يستمرئ البغي، فيعرض نفسه للسمعة السيئة والعقوبة القضائية في الدنيا، ويعرضها لعقوبة الله في الحياة الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم:« انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ فقال: تأخذ فوق يديه»[1].

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي.

Marfat.com

سادســا: من أعلام الإسلام

أ ـ مصعب بن عمير رضي الله عنه

تصوغ العقيدة الإسلامية رجالها في نموذج من يرى الناس في سيرتهم مرآة صادقة عن الإسلام، تعبر عن عمق الإيمان، وعظيم البلاء فيه. والتضحية في سبيله بالنفس والمال.

ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار احد هذه النماذج المعبرة في جلاء ووضوح.

إسلامه: ـ

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته سرا، والمشركون يتربصون به الدوائر، واتخذ من دار الأرقم بن أبي الأرقم ملتقى يلتقي فيه مع صحابته ومع الراغبين في الإسلام، فهي الندي المتواضع الذي يظله جلال الوحي وروعة الرسالة، ولم يكن يأتي أول الأمر إلى دار الأرقم راغب في الإسلام إلا مستخفيا يخشى على نفسه عدوان المشركين، ويخشى على نفسه تعنّت الأقربين من أهله ونبذهم له، وكان مصعب بن عمير في مقدمة هؤلاء الرواد الذين أتوا إلى دار الأرقم، فأسلم سرا، وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، ولم يلبث طويلا حتى تسرّب خبره.

علم عثمان بن طلحة بإسلام مصعب فسارع إلى الوشاية به، نكاية فيه، وصدا عن سبيل الله، وأتى أهله فأثار حفيظتهم، وأخبرهم بالأمر محرضا عليه، حتى شاط بهم الغضب[1]. فأوثقوه وحبسوه، وانبوا وبالغوا في تعنيفهم له، فتقبل هذا صابرا محتسبا، وظل يفكر في حيلة للخلاص من محبسه حتى اهتدى إلى سبيل

---

١ ـ شاط به الغضب: استعل.

Marfat.com

للفرار، فهرب ناجيا بنفسه، وتوارى عن أنظار قومه حتى هاجر مع من هاجر إلى الحبشة[1].

حياته في سبيل الدعوة:ـ

الجمال والزينة بهجة الحياة الدنيا، وكم يعيش أناس لذلك. وقليل هؤلاء النفر الذين يؤثرون شظف العيش في سبيل العقيدة استعلاء بالإيمان على جاذبية النعمة والترف. فيعيشون لدينهم، ولقد كان مصعب بن عمير أنضر شباب مكة جمالا ونعمة، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه مليئة كثيرة المال. تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه. وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرميّ من النعال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحدا أحسن لمة[2]، ولا أرق خلَة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير» ولكنه بعد أن أسلم سرا، وَبَصُر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر أمه، وكان حبسه، وكانت هجرته ـ تغير حاله، وعاش على الكفاف. أقبل ذات يوم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وقد ارتدى ثوبا موصولا بإهاب[3]. فبكى للذي كان فيه من النعمة، ولِمَا صار إليه، وقال: الحمد لله، يُقلّب الدنيا بأهلها، لقد رأيت هذا ـ يعني مصعبا ـ وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيما منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير من حب الله ورسوله ولذا كان يقال له مصعب الخير[4].

وعاش مصعب بن عمير مقلا زاهدا حتى لقي ربه. وفي الصحيح: «أن مصعب ابن عمير لم يترك إلا ثوبا، فكان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا على رجليه شيئا من الإذخر»[5].

---

١ ـ الإصابه ج ٣: ٨٠٠٤

٢ ـ اللّمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

٣ ـ الإهاب: الجلد.

٤ ـ طبقات ابن سعد ص ٨٢ ج ٣.

٥ ـ الإذخر: حشيش طيب الرائحه.

Marfat.com

أول داعية بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم:ـ

ويعتبر مصعب أول داعية إلى الإسلام نفر ليفقه الناس ويعلمهم، ذكر أهل السير أنه لما انصرف أهل العقبة الأولى الاثناعشر، وفشا الإسلام في دور الأنصار، أرسلت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبت إليه كتابا: ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، فقدم، فنزل على سعد بن زُرارة، وكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم، فيدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فيُسلم الرجل والرجلان، حتى ظهر الإسلام وفشا في دور الأنصار، وأسلم أشرافهم، وكان يدعى بالمقرئ.

ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة مع السبعين الذين وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في العقبة الثانية من الأوس والخزرج، فقدم مكة، فجاء منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا، ولم يقرب منزله، فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنصار وتسابقهم إلى الإسلام، فسر رسول الله بما أخبره به مصعب.

وبلغ أمّه أنه قد قدم فأرسلت إليه. واشتدت في لومها، وقالت له: أتقدم بلدا أنا فيه لا تبدأني؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول من جمَّع في الإسلام جمعة:ـ

ومصعب أول من صلى بالناس جمعة، كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة، يستأذنه أن يجمِّع بالأنصار الذين أسلموا. فأذن له، وكتب إليه: أنظُر من اليوم الذي يجهر فيه اليهود لسبتهم، فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله فيه بركعتين، واخطب فيهم، فَتَجَمَّعَ بهم مصعب بن عمير في دار سعد بن خيثمة، وهم اثنا عشر رجلا. قال ابن شهاب: فكان أول من جمّع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

Marfat.com

بلاؤه واستشهاده يوم أحد:

حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب. فأقبل ابن قميئة من صفوف المشركين، وكان فارسا مغوارا، فضرب يده اليمنى فقطعها. ومصعب يقول: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) وأخذ اللواء بيده الأسرى، وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، وهو يقول: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ثم حمل عليه بالرمح، فأنفذه، واندق الرمح، ووقع مصعب مضرجا في دمه قتيلا شهيدا. فلما انتهت المعركة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب وهو منجعف على وجهه[1]. فقرأ هذه الآية:

﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

وهكذا سقط مصعب رضي الله عنه شهيدا وهو ابن أربعين سنة في ريعان شبابه وفتوته[3].

---

١ - منجعف: صريع منكفىء على وجهه، وجعفه كمنعه: صرعه.

٢ - الآية (٢٣) من سورة الأحزاب.

٣ - ريعان الشيء: أوله وأفضله.

Marfat.com

ب: عبد الله بن المبارك:

١١٨ ـ ١٨١ هـ
٧٣٦ ـ ٧٩٧ م

قد يعلو نسب الإنسان فيبطىء به عمله، وقد يرفعه عمله فيصل إلى الذروة. والمعدن النظيف يصقله الإيمان، فتجد فيه حلية تطوق هام المجد والرفعة[1]. وعبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي مولى بني حنظلة أحد هؤلاء الأعلام الذين علا بهم علمهم، وكستهم التقوى حلة من الوقار، وأغناهم زهدهم عما في أيدي الناس، كانت أمه خوارزمية، وكان أبوه عبدا تركيا لرجل من التجار من همذان من بني حنظلة.

علمه:

أخذ ابن المبارك العلم عن العلماء الأثبات، وفي مقدمتهم: سليمان الأعمش، وهشام بن عروة، وابن جريج، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة، والأوزاعي، والليث بن سعد، فنهل من معين ثر[3]، لعلوم الشريعة الإسلامية وعل، وشرب من كأس المعرفة حتى الثُّمالَة[4]. فاجتمع له الحديث والفقه، والعربية، والتاريخ، وأضفى على هذه العلوم من سخائه وأدبه ومحبة الناس له ما زاد علمه فضلا وشرفا.

أتى ابن المبارك حمّاد بن زيد في أول الأمر، فنظر اليه وأعجبه حديثه، وقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل خراسان، قال: من أي خراسان؟ قال: من مَرْو،

---

١ ـ الهامة: رأس كل شيء. جمعه هام. وهامات

٢ ـ انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. ص ١٥٢ ج ١٠

٣ ـ ثرت العين: غزر ماؤها. فهي ثرة. وهو ثر. والنهل: الشرب الأول والعلل: الشرب الثاني

٤ ـ الثمالة: ما بقي في الاناء من شراب.

Marfat.com

قال : أتعرف رجلا يقال له : عبد الله بن المبارك ؟ قال : نعم، قال : ما فعل ؟ قال : هو الذي تخاطب، فسلم عليه، ورحب به، وأكرم وفادته.

ولا يتخلى ابن المبارك عن أدب الحديث في أداء النصيحة، وتعليم الناس، عطس رجل عنده يوما فقال له : ماذا يقول الرجل اذا عطس ! قال : يقول : الحمد لله، فقال له ابن المبارك : يرحمكم الله..

كان يلقب بأمير المؤمنين في الحديث، وإليه يلجأ العلماء في معضلات الحديث والفقه، يغشاه الناس إذا رأوه ليسألوه، فيحيطون به في كوكبة يعز مثلها لدى الأمراء. قدم أمير المؤمنين هارون الرشيد الرّقة[1]، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك[2]، وارتفعت الغيرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج القصر، فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان، قدم الرَّقّة، يقال له : عبد الله بن المبارك، فقالت : هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرْط وأعوان.

وأخذ العلم عن ابن المبارك أساطين العلماء الأفذاذ[3]. ومنهم : سفيان بن عيينة، ويحي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن وهب، وعبد الرزاق بن همام، وغيرهم.

وبلغت كتبه التي حدّث بها عشرين ألفا، حفظها ووعاها، حتى قال له أبوه يوما : لئن وجدت كتبك لأحْرقَنهَّا، فقال له : وما عليّ من ذلك وهي في صدري ؟.

سخاؤه :

حين تترفع النفس عن الدنيا وزينتها تنساب جودا وسخاء، لا تخشى من ذي العرش إقلالا، وما كان ابن المبارك لتعلق نفسه بعرض من أعراض الدنيا، فقد زهد فيها، وجاء بما يملك برا وكرما.

---

١ ـ الرّقة : غرب بغداد على الفرات

٢ ـ انجفل القوم : نفروا مسرعين

٣ ـ أساطين العلماء : أعمدته وحكماؤه جمع أسطوانة. والكلمة معرّبة

Marfat.com

جاء رجل إليه فسأله أن يقضي َديناً عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك؟ قال: سبعمائة درهم، فكتب إلى عبد الله: إن هذا الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم، وكتبت له سبعة آلاف درهم، وقد فنيت الغَلاَّت، فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضا قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي[1].

شجاعته:

ان أعلام الإسلام أحرزوا قصب السبق في ميادين الحياة المتعددة، وكانوا قدوة حسنة لأجيالهم، علما وعملا وسلوكا وبذلا في سبيل الله. ولعبد الله بن المبارك قدم راسخة في العلم، وفي السخاء، وله كذلك قدم راسخة في الشجاعة والتضحية. يجود بنفسه لإعلاء كلمة الله عن صدق وإخلاص لا عن رياء وسمعة.

حدّث أبو حاتم الرازي قال: سمعت عبدة بن سليمان يقول: كنا في سَرِيّة مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه[2]، فأخذت بطرف كمه، فَمَدَدْته، فإذا هو: عبد الله بن المبارك[3]. فرحم الله جنود الإسلام الأنقياء الأخفياء، ورحم الله عبد الله بن المبارك عالما زاهدا جوادا شجاعا.

سئل ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

---

١ - تاريخ بغداد ص ١٥٩ ج١٠

٢ - يريد ان يواري نفسه عن أعين الناس حتى لا يعرف إخلاصا منه

٣ - حلية الأولياء ص ١٦٧ ج ٨

Marfat.com

وروي عنه أنه قال: أحب الصالحين ولست منهم. وأبغض الطالحين وأنا شر منهم، ثم أنشأ يقول:

الصمت أزين للفتى ... من منطقٍ في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى ... في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره ... سمة تلوح على جبينه
فمن الذي يخفى عليك ... إذا نظرت الى قرينه
رب امرئ متيقن ... غلب الشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه ... فابتاع دنياه بدينه

Marfat.com

الامام أبو حنيفة النعمان: ٨٠ـ١٥٠ هـ[1] ٦٩٩ـ٧٦٧م

يطالع المرء في صفحات التاريخ الاسلامي المشرقة سيرة أعلام الهدى الذين عاشوا للاسلام، وأفنوا حياتهم لخدمة شريعته، وكانت لهم عبقرية فذة في الفقه الاسلامي، ويتصدر هؤلاء إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق: أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، من أصل فارسي، كان جده زوطي مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة، فأعتق وصار ولاؤه لهم.

عصره: لقد كانت ولادة أبي حنيفة في زهرة شباب دولة بني أمية في عهد عبد الملك بن مروان، وأدرك في بداية حياته ولاية الحجاج الثقفي على العراق، وشاهد ما كان عليه من قسوة، وما اختاره لنفسه في معاملة خصوم الأمويين السياسيين من عنف وشدة. كما أدرك في شبابه خلافة الامام العادل عمر بن عبد العزيز، وعاصر ضعف الدولة الأموية. وشهد مصرعها، وامتد به الأجل الى أن نجحت الدعوة لبني العباس، ولم تدركه الوفاة الا في أيام المنصور عام ١٥٠هـ.

وقد بلغت الدولة الاسلامية في عصر أبي حنيفة أوج عظمتها، وامتد سلطانها من المحيط الاطلسي غربا إلى الصين شرقا. واستولت على جزء غير قليل من أوروبا بفتح الاندلس. وهي تضم تحت لوائها شتاتا من الأجناس المختلفة التي دخلت في الاسلام بعد فتح بلادها. فكان منهم الفارسي والرومي والتركي والهندي والمصري.

وباتساع رقعة الدولة وتباعد أقاليمها واختلاف أجناس أبنائها وتعدد ثقافتهم تزداد مطالبها، وتحتاج الى أسس وطيدة شاملة تبني عليها قواعد السلطة، وتقيم دعائم الحكم. وتحدد علاقاتها في السلم والحرب، وهذا كله يحتاج الى جهد علمي من الفقهاء لاستنباط الاحكام وسد حاجات البلاد في الفتيا والقضاء.

وقد بدأ تدوين العلم في عصر أبي حنيفة، وظهرت حركة الترجمة، فسرى

١ - راجع: تاريخ بغداد ص ٣٢٣ـ٤٢٣ ج ١٣، وكتاب «أبو حنيفة. للشيخ محمد ابو زهرة».

Marfat.com

التفكير اليوناني مع مزيج من التفكير الفارسي الى البلاد الاسلامية، وتفاعل هذا التفكير بمنهجه العقلي مع المنهج النقلي لدى المسلمين، فأثر هذا في التفكير الاسلامي، وأخذ البحث الفقهي يتجه نحو الكشف عن العلل في الأحكام الشرعية، ويفرض المسائل ويستعمل القياس، حيث لا يجد نصاً في كتاب أو سنة.

وإذا عرفنا ان العراق كانت أهم مركز للنشاط العلمي ورث الحضارات القديمة، وانسابت اليه فلسفتها وعلومها، واتخذه العباسيون عاصمة لهم فازدهرت فيه الحركة العلمية، وعرفنا إزاء هذا أن العراق كان مهد مدرسة أهل الرأي وكبار شيوخها، أمثال علقمة بن قيس النخعي، وابراهيم بن زيد النخعي، وحماد بن أبي سليمان الأشعري، إذا عرفنا هذا كله وأن حياة أبي حنيفة كانت في العراق فاننا ندرك أنه استمد من هذه العوامل كلها منهج تفكيره.[1]

علمه وفقهه: نشأ أبو حنيفة تاجرا يتجر في الخز بالكوفة، وهي آنذاك زاخرة بالعلماء والفقهاء، فما لبث أبو حنيفة حتى مال إلى مجالسهم والأخذ عنهم، وأقبل على الفقه بعد أن الم بطرف من العلوم الاسلامية، وما زال ينهل من معينه حتى صار إمام أهل الرأي.

وأخذ أبو حنيفة من قوله صلى الله عليه وسلم «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا أجتهد فأخطأ فله أجر»[2] نبراسا له في استنباط الأحكام الفقهية، فإنه إذا اجتهد فأصاب كان له أجر الاجتهاد وأجر الاصابة، وإن أخطأ كان له أجر اجتهاده. فقد عرف أبو حنيفة بكثرة اجتهاده وأخذه بالقياس. وتأثر في ذلك بشيوخه الذين اخذ عنهم، فكان شيخه حماد بن أبي سليمان الذي انتهت اليه في عصره رياسة الفقه في العراق بمدرسة أهل الرأي.

ولا يعني هذا أن أبا حنيفة لم يأخذ العلم عن أحد سوى حماد، فقد أخذ عن

---

١ ـ انظر مذكرات «تاريخ التشريع والفقه الاسلامي» للمؤلف

٢ ـ رواه أحمد والبخاري ومسلم بألفاظ متقاربة مع وحدة المعنى

Marfat.com

عطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس، ونافع مولى ابن عمر، وأخذ عن المبرزين في الفقه من أئمة الشيعة، كالامام زيد بن علي والامام جعفر الصادق.

روي أن أبا حنيفة دخل يوما على المنصور وعنده عيسى بن موسى، فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا اليوم، فقال له: يا نعمان: عمن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن أصحاب علي عن علي، وعن أصحاب عبد الله ابن عباس، فقال له الخليفة: استوثقت لنفسك.

وتطلع أبو حنيفة في حياة شيخه حماد أن يجلس محدثا في المسجد مجلس الرياسة، وواتته الفرصة ليخلفه فترة من الزمن، فجلس مجلس شيخه، وعرضت عليه مسائل قرابة ستين، وأجاب عنها، وكتب أجوبتها. فلما عاد حماد بن أبي سليمان عرض إجابتها عليه، قال أبو حنيفة: فوافقني في أربعين، وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات.

وما كاد شيخه حماد يموت سنة (١١٩) هـ حتى رأى تلاميذه من أصحاب أبي حنيفة أنه وحده هو الذي يستحق أن يجلس مكان شيخه.

وكان أبو حنيفة قوي الحجة، عذب المنطق، ساطع البرهان. قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته.

وشهد له جهابذة العلم[1] بجودة الفقه. سئل يزيد بن هارون أيما أفقه، أبو حنيفة أم سفيان؟ قال: سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه.

وقال الشافعي: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

وقال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه ابي حنيفة، على هذا ادركت الناس.

وله المعية نادرة، وذهن وقاد، وفطنة تسبر اغوار المسائل، وتلطف في الجواب.

---

١ - الجهابذة: جمع جهبذ، والجهبذ بالكسر: النقاد الخبير

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

دخل الخوارج يوما مسجد الكوفة، وابو حنيفة واصحابه جلوس، فقال ابو حنيفة لاصحابه: لا تبرحوا، فجاءوا ووقفوا عليهم، فقالوا لهم: ما انتم؟ فقال ابو حنيفة: نحن مستجيرون، فقال امير الخوارج: دعوهم وابلغوهم مأمنهم[1].

ودعا المنصور ابا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور ـ وكان يعادي ابا حنيفة ـ يا امير المؤمنين، هذا ابو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس يقول: اذا حلف على اليمين ثم استثني بعد ذلك بيوم او بيومين جاز الاستثناء[2]، وقال ابو حنيفة لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين، فقال ابو حنيفة: يا امير المؤمنين: ان الربيع يزعم انه ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم، قال: فضحك المنصور، وقال: يا ربيع، لا تتعرض لأبي حنيفة. فلما خرج ابو حنيفة قال له الربيع: اردت ان تشيط بدمي؟ اي تذهب به ـ قال: لا، ولكنك اردت ان تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي.

وحلف رجل ليقربنَّ امرأته في رمضان، ثم سأل ابا حنيفة، فأفتاه ان يسافر بها فيقربها نهارا في رمضان.

وحلف رجل ـ وقد رأى امرأته على السلم ـ فقال: انت طالق ثلاثا ان صعدت، وطالق ثلاثا ان نزلت، ثم سأل ابا حنيفة فأفتاه ان تقف المرأة على السلم ولا تصعد ولا تنزل، ويحتال جماعة يحملون السلّم بالمرأة فيضعونه على الأرض.

جرأته في الحق ومحنته في القضاء: ـ

كان ابو حنيفة جريئا في الحق، شأن علماء عصره، يتورع عن الجاه والمنصب، ومن ذلك امتناعه عن القضاء، حتى اصابه من جراء ذلك البلاء. وقد قال صلى الله

---

١ ـ الخوارج: فرقة خرجت على علي رضي عنه وصحبه ويقولون بكفر علي ومعاوية.

٢ ـ الاستثناء في اليمين، أن يحلف على الشيء ويقول: إن شاء الله. وهذا يمنع من انعقاد اليمين فلا يحنث إذا كان متصلا اتفاقا واختلفوا فيما إذا تأخر.

Marfat.com

عليه وسلـم: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق وجار في الحكـم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»[1]. ولذا اصر ابو حنيفة على ان لا يتولى القضاء.

اراد منه عامل مروان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، ان يلي له قضاء الكوفة، فأبى، فضربه مائة وعشرة اسواط، في كل يوم عشرة، وهو على الامتناع، فلما رأى تصميمه على الرفض خلى سبيله.

وكان بلاؤه في دولة العباسيين كبلائه في دولة الامويين.

أشخصه الخليفة ابو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد[2]، واراده على ان يلي القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعَلَنَّ، فحلف ابو حنيفة ان لا يفعل فقال له حاجب الخليفة: الا ترى امير المؤمنين يحلف؟ فقال ابو حنيفة: امير المؤمنين على كفارة أيمانه اقدر مني على كفارة أيماني، وابى ان يلي القضاء. فأمر به الى الحبس.

ودعا به ابو جعفر يوما من الحبس، فقال له: اترغب عما نحن فيه؟ قال: اصلح الله امير المؤمنين، لا اصلح للقضاء، فقال له: كذبت، ثـم عرض عليه الثانية، فقال ابو حنيفة: قد حكـم عليّ امير المؤمنين اني لا اصلح للقضاء، لانه ينسبني الى الكذب، فان كنت كاذبا فلا اصلح، وان كنت صادقا فقد اخبرت امير المؤمنين اني لا اصلح، فرده الى الحبس.

تقواه وورعه:

قد يكون لدى الانسان مواهب علمية، في قوة الذاكرة وألمعية الذهن، وحدّة الفهـم، ونصاعة البيان، ولكن اثره العلمي في نفوس الناس وحياة مجتمعه لا يعدو ان يكون سجلا محفوظا، فإذا ازدانت مواهبه العلمية بالسلوك المستقيـم كانت القدوة الصالحة علما وعملا، ورأى الناس فيه موردا عذبا يرده الظمآن فيصدر عنه طيب

---

١ - رواه ابن ماجه وأبو داود.

٢ - أشخصه: أزعجه في الحضور بشخصه

Marfat.com

النفس بما اصابه من ري وهداية. وابو حنيفة العالـم الفقيه كان تقيا ورعا، يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا، ويجمع القرآن احيانا في ركعتين، ويختمه في شهر رمضان ستين ختمة، قال يحيى بن سعيد القطان: جالسنا والله ابا حنيفة، وسمعنا منه، وكنت والله اذا نظرت اليه عرفت في وجهه انه يتقي الله عز وجل، وعن زائدة قال: صليت مع ابي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة، وخرج الناس ولـم يعلـم اني في المسجد، واردت ان اسأله عن مسألة من حيث لا يرانى احد فقام فقرأ وقد افتتح الصلاة حتى بلغ الى هذه الآية ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]. فأقمت في المسجد انتظر فراغه. فلـم يزل يرددها حتى اذن المؤذن لصلاة الفجر.

وبلغ من خوفه الله تعالى انه قام ليلة بهذه الآية:

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[2]. يرددها ويبكي ويتضرع جوده وكرمه: واذا استقر الايمان في سويداء القلب، تطهرت النفس من الشح، ووثقت فيما يخلفه الله عليها، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3]. وكان ابو حنيفة غنيا سخياً، يفيض بره على من يرى من ذوي الحاجة، فيغمرهـم بفضله، رأى يوما على بعض جلسائه ثيابا رثّة[4]، فأمره فجلس حتى تفرق الناس وبقي وحده، فقال له: ارفع المصلى وخذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى فكان تحته الف درهـم، فقال له: خذ هذه الدراهـم فغير بها من حالك، فقال الرجل: اني موسر وانا في نعمة، ولست احتاج اليها، فقال له: اما بلغك الحديث « ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده»؟ فينبغي لك ان تغير حالك حتى لا يغتـم بك صديقك.

وأتته امرأة تطلب منه ثوب خز، فأخرج لها ثوبا، فقالت له: اني امرأة ضعيفة، وانها امانة فبعني هذا الثوب بما يقوّم عليك، فقال: خذيه بأربعة دراهـم، فقالت: لا تسخر بي وانا عجوز كبيرة، فقال: اني اشتريت ثوبين، فبعت احدهما برأس المال

---

١ ـ الآية (٢٧) من سورة الطُّور.
٢ ـ الآية (٤٦) من سورة القمر.
٣ ـ الآية (٩) من سورة الحشر.
٤ ـ رثّة: بالية

Marfat.com

الا اربعة دراهـم، فبق هذا الثوب علي باربعة دراهـم.

وهكذا كان أئمة الفقه الاسلامي في سيرتهـم، يعبرون عن المُثُل الاخلاقية في الاسلام.

Marfat.com

د ـ الامام مالك بن أنس[1] ٩٣ ـ ١٧٩ هـ ٧١٢ ـ ٧٩٥ م

حيثما نظر المسلم في صدر الاسلام بأنحاء دولته وجد علما من أعلام الفقه الإسلامي، رهن حياته للعلم، وعكف على مصادر الشريعة الاسلامية، يستقي من معينها، ويجتهد في فهمها، ويؤدي أمانة العلماء تدريسا وبلاغا. وأحد هؤلاء الائمة الأعلام إمام دار الهجرة: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي من قبيلة ذي أصبح اليمنية، فهو عربي الأصل، وكان بين جد مالك وبني تميم حلف، حيث قدم الى المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر، وسكنها، وشهد المغازي كلها خلا بدرا، وارتبط ببني تميم بالمصاهرة، ثم ارتبط بهم بعد ذلك برابطة الحلف والتناصر.

عصره: يشبه عصر مالك عصر أبي حنيفة إلا أنه أدرك من الدولة العباسية حظا أوفر، فقد كانت ولادته في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي، وكانت وفاته في عهد الرشيد العباسي، فعاصر دولة بني مروان في عنفوان شبابها، وشاهد تداعي الدولة الاموية وقيام دولة بني العباس على أنقاضها، وأدرك الحضارة العباسية في أوج عظمتها، وقد اتسعت رقعة الدولة الاسلامية من الأندلس غربا إلى السند شرقاً، بمدنها العامرة الزاخرة بالحركة العلمية والنشاط التجاري والنهضة الزراعية والصناعية، ولهذا أثره الكبير في حيوية الفقه الاسلامي وازدهاره، لتفاعل الحضارات المختلفة من أجناس متباينة الأرومة صهرها الاسلام في بوتقته، فكثرت الأحداث وتفرعت المسائل، واستنبط العلماء لكل مسألة حكما.

والمدينة وهي دار الهجرة التي أقام بها مالك، كانت تستقبل العديد من وفود المسلمين الذين يقدمون لزيارة مسجدها من حين لآخر.

واتسم عصر مالك كذلك بالحركة الفكرية التي نجمت من اتصال الفكر

---

١ ـ انظر: الإمام مالك للشيخ محمد أبو زهرة، والديباج المُذَهّب لابن فرحون ومذكراتنا في تاريخ التشريع والفقه الاسلامي.

Marfat.com

الاسلامي بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية إثر حركة الترجمة على النحو الذي بسطناه في الحديث عن عصر أبي حنيفة. لكن أبا حنيفة كان بالعراق، موطن احتدام الصراع الفكري، أما مالك فقد عاش بالمدينة بمنأى عن المنازعات الفكرية، إذ لم يرج في سوق المدينة مذاهبها، بل راج فيها علم الكتاب والسنة.

وفي المدينة كانت المدرسة الفقهية الاولى المعروفة بمدرسة الفقهاء السبعة[1]، وعلى يد تلاميذ هذه المدرسة تلقى مالك العلم. وهم يؤثرون الرواية، ويرون فيها عصمة من الفتن، ولا يأخذون بالرأي الا اضطرارا، أما شيوخ أبي حنيفة، فهم من مدرسة أهل الرأي في العراق الذين يفرضون مسائل غير واقعة، ويضعون لها أحكاما باستنباطهم.

وقد استطاع مالك في جو المدينة الهادىء أن يصون نفسه عن موجة أهل الأهواء العارمة التي كادت تشغل أذهان المسلمين عن حقيقة الدين، كالشيعة والخوارج والقدرية والجهمية والمرجئة.

حياته العلمية: نشأ مالك في بيت علم بمدينة علم بدار الهجرة، موئل السنة، ومرجع العلماء، وموطن الفتاوى المأثورة. فحفظ القرآن الكريم في صدر حياته، ثم اتجه الى حفظ الحديث، وجالس العلماء ناشئا صغيرا، ولازم أحد هؤلاء العلماء في عصره، وهو عبد الرحمن بن هرمز، يروى عنه أنه قال: كان لي أخ في سن ابن شهاب، فألقى أبي يوما علينا مسألة، فأصاب أخي وأخطأت. فقال لي أبي: ألهتك الحَمَامُ عن طلب العلم، فغضبت، وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين، لم أخلطه بغيره. وكنت أجعل في كمي تمرا، وأناوله صبيانه، وأقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا مشغول.

---

١ - الفقهاء السبعة هم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وخارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، وسليمان بن يسار. وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، نظمهم القائل.

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر — روايتهم ليست عن العلم خارجه
فقل: هم عبيد الله، عروة، قاسم — سعيد، ابو بكر، سليمان، خارجه

Marfat.com

وقال ابن هرمز يوما لجاريته: من بالباب؟ فلـم تر الا مالكا، فرجعت وقالت: ما ثـم الا ذاك الاشقر؟ فقال: ادعيه فذاك عالـم الناس.

وأخذ مالك عن ابن شهاب الزهري بعد أن نال قسطا كبيرا من العلـم، وصار ضابطا حافظا. كما اخذ الفقه عن ربيعة بن عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي. وأخذ عن يحيى بن سعيد الأنصاري من بني النجار قاضي المدينة الذي أخذ عن الفقهاء السبعة وكان حجة في الفقه.

وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد القطان وغيرهما.

ومنح الله مالكا حافظة قوية، وذاكرة واعية، روي عنه أنه قال: قدم علينا الزهري فاتيناه ومعنا ربيعة. فحدثنا نيِّفا وأربعين حديثا[1] ثـم أتيناه في الغد، فقال: أنظروا كتابا حتى احدثكـم، أرأيتـم ما حدثتكـم به أمس، قال له ربيعة: ههنا من يرد عليك ما حدثت به أمس، قال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر، قال: هات، فحدثته بأربعين حديثا منها، فقال الزهري: ما كنت أرى أنه بقي أحد يحفظ هذا غيري.

منزلته العلمية: اكتملت لمالك دراسة الحديث والأثر والفقه، فعلت منزلته بين العلماء، وأمه الناس يستفتونه من كل صوب، بعد أن استوثق لنفسه، ففاق أقرانه، وعز بين أترابه ولداته. يقول مالك: قلَّ رجل كنت أتعلـم منه ما مات حتى يجيئني ويستفتيني، وقال ابن وهب: سمعت مناديا ينادي بالمدينة: ألا لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس. ومن هنا ندرك المثل القائل: لا يفتى ومالك بالمدينة.

وشهد له أئمة اهل العلـم بالفضل والسبق، تثبتا في الرواية، وفقها للكتاب والسنة: قال الشافعي: قال لي محمد بن الحسن، وهو من أصحاب أبي حنيفة أيهما أعلـم؟ صاحبنا أم صاحبكـم؟ يعني أبا حنيفة ومالكا رضي الله عنهما، قال: قلت:

---

١ ـ النيّف بوزن الهين، ويخفف: الزيادة. يقال: مائة ونيف، وعشرة ونيف. وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني.

Marfat.com

علي الانصاف؟ قال: نعم، قلت: ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال: قلت: ناشدتك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال: قلت: ناشدتك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال الشافعي: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الاشياء، فعلى أي شيء نقيس؟[1]

واتفق العلماء على أن مالكا كان إماما في الحديث، وأن روايته موثوق بها، وقال أبو داود: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، ومن العلماء من يسمي هذا السند سلسلة الذهب.

ولم يجلس الامام مالك للدرس والافتاء بالمسجد النبوي حتى شهد له سبعون من العلماء أنه أهل لذلك[2] وقال عبد الرحمن بن مهدي: أئمة الحديث الذين يقتدى بهم اربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والاوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة، ووازن بين الثوري والأوزاعي فقال: الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة. والاوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك إمام فيهما.

والامام مالك **أول من عرف بالتدوين والتأليف في الاسلام**. وكتابه «الموطأ» أقدم مؤلف معروف. وهو كتاب حديث وسنة وفقه. ومنهجه في تدوينه أن يذكر الأحاديث في الموضوع الفقهي الذي أجتهد فيه، ثم يذكر عمل أهل المدينة المجمع عليه، ثم يذكر رأي من التقى بهم من التابعين وأهل الفقه، ثم يذكر الرأي المشهور بالمدينة، فإن لم يكن شيء من ذلك بين يديه في المسألة اجتهد رأيه على ضوء ما يعلم من الاحاديث والفتاوى والاقضية.

سمته ووقاره وورعه: حسن السمت من أمارات النجابة، والحفاظ على الوقار من

---

١ ـ انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٤٣٩ ج ١

٢ ـ انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم ص ٣١٦ ج ٦

Marfat.com

سمات النفوس الأبية، وكان الامام مالك يلبس أحسن الثياب، ويتطيب، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يُرَى أثر نعمته عليه. قال فيه أحمد بن حنبل: كان مالك أعظم الخلق مروءة، وأكثرهم سمتا، كثير الصمت، قليل الكلام، متحفظا بلسانه، من أشد الناس مداراة للناس واستعمالا للانصاف. وكان إذا أصبح لبس ثيابه وتعمم، ولا يراه أحد من أهله ولا أصدقائه إلا كذلك. وكان من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده.

وعرف مالك في درسه بالوقار والسكينة، والابتعاد عن لغو الكلام، وكان يقول: حق على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية. وقال الواقدي في مجلس درسه: كان مجلسه مجلس وقار وعلم، وكان رجلا مهيبا نبيلا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا رفع الصوت، وإذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له: من أين هذا، وكانت الوفود التي تفد إلى المدينة لزيارة المسجد تتزاحم عند بابه لتستفتيه، فكان يأذن لكل جماعة بعد جماعة لكثرتهم.

ولا يدعي مالك أنه أحاط بكل شيء علما، ولم يجد الغرور العلمي إلى نفسه مدخلا، وترفع عن الفتوى فيما لا علم له به، وهذا هو العلم الذي يوثق فيه. سأل رجل مالكا عن مسألة فقال: لا أحسنها. فقال: إني قدمت اليك من كذا وكذا لاسألك ـ يريد من أماكن بعيدة ـ فقال له مالك: فإذا رجعت الى مكانك فاخبرهم أني قد قلت لك: إني لا أحسنها. وكان إذا افتى بشيء تلا هذه الآية ﴿إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾.

محنته وبلاؤه: كثيرا ما يتعرض أئمة الهدى إلى تعسف السلطان حين يتعارض هواه مع الحق، ويجد صمود الايمان حجر عثرة في طريقه. وكان الامام مالك يحدث بحديث «ليس على مستكره طلاق» في الوقت الذي خرج فيه محمد بن عبد الله بن حسن النفس الزكية بالمدينة، وهو امام علوي، فسعى بمالك الى جعفر بن سليمان والي المدينة، وهو عم أبي جعفر المنصور، وقالوا له: إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء،

Marfat.com

فتأثر جعفر من هذه الوشاية وغضب على مالك، ودعا به، وجرده من ثيابه، وضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت كتفاه، وارتكب منه أمرا عظيما.

وروي أنه لما ضرب حمل على بعير، فقيل له: ناد على نفسك. فقال: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لـم يعرفني فأنا مالك بن أنس الاصبحي. وأنا أقول: طلاق المكره ليس بشيء. فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك، فقال: أدركوه أنزلوه.

ومن حيث يريد السلطان الجائر النكاية بأهل الحق والتنكيل بهـم، ترتفع مكانتهـم، ويتعلق الناس بهـم، ويجدون فيهـم مثلا للايمان والثبات والصبر. ويقول الواقدي في مالك: فلـم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة، وكأنما كانت تلك السياط حليا حلي بها.

والثبات على الحق هو الذي يحطـم كبرياء المتغطرسين ويجعل لأهل الايمان هيبة لا تعلوها هيبة. فقد سخط أهل المدينة على بني العباس وولاتهـم لما أصاب الامام مالك، فطلبه أبو جعفر المنصور واعتذر اليه بأنه لا علـم له بذلك، وأكرم وفادته.

وهكذا تكون عزة العلماء.

Marfat.com

السلطان نور الدين محمود زنكي[1]: ٥١١ ـ ٥٦٩ هـ ١١١٨ ـ ١١٧٤ م

عصره: تجري سنة الله في تاريخ الأمم على نسق محكم في صعودها وهبوطها، في رفعتها وضعتها، في عزها وهوانها، فان أسباب الصعود والرفعة والعزة يأخذ بعضها بحجز بعض، استقامة وعدلا، وجهادا وبذلا، وعلى النقيض من ذلك تكون أسباب الهبوط والضعة والهوان. ومن فضل الله على أمة الاسلام أن أيام تاريخ الحوالك، حيث المحن والنكبات، لم تخل من ظهور بوارق الأمل في بطل من الأبطال تبعثه حكمة الله، فيبدد غياهب الظلمة، ويمزق سحابة اليأس، فيعمل عن إيمان، ويجاهد عن عزيمة، ويصمم عن يقين، حتى يفتح الله على يديه الخير لبلاد الاسلام. ولا غرو فالامة التي تستمد كيانها من عقيدة التوحيد لا يمكن أن تعلن استسلامها. إنها تقدم أبطال العقيدة بطلا تلو بطل، يتسلم الواحد منهم راية الجهاد ليسلمها بدوره للبطل الذي سيليه، في أنحاء العالم الاسلامي الفسيح، من كل جنس ومن كل لون، سواء كانوا عربا أو أتراكا أو أكرادا، من الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر، ومن بلاد فارس وما وراء النهر وتخوم الهند والصين.

وعبر أيام الحروب الصليبية التي استغرقت قرنين من الزمان في مد وجزر، وقد تمكن الصليبيون من الاستيلاء على أجزاء واسعة من بلاد الشام والجزيرة، وكانت الخلافتان: العباسية في الشرق والفاطمية في الغرب ـ كانتا أضعف من أن تقف في وجه هذا الزحف الفرنجي الصليبي الجديد، وكان السلاجقة قد بددوا قواهم في الصراع على السلطة ـ عبر تلك الأيام في أمة فقدت وحدتها ولا تجمعها قيادة واحدة ظهرت أسرة من الامراء المحليين في الجزيرة الفراتية والشام حملت عبء قتال الصليبيين، ورفعت راية الجهاد في سبيل الله، ووحدت معظم الامارات تحت سلطان واحد، فأمدها الله بنصره، وردت الخطر الصليبي على أعقابه خاسرا. تلك هي اسرة

---

١ ـ انظر ابن الاثير ص ١٥١ ج ١١. وابن خلكان ص ٨٧ ج ٢. والنجوم الزاهرة ص ٧١ ج٦

Marfat.com

زنكي التي وحدت كثيرا من الامارات في جبهة اسلامية واحدة، ولمع نجمها في حياة عماد الدين زنكي الذي مهد الطريق لولده نور الدين محمود، ثم لصلاح الدين الايوبي من بعده.

مولده ونشاته: ـ ولد نور الدين أبو القاسم محمود بن الأتابك عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر التركي السلجوقي مولاهم، في السابع عشر من شهر شوال سنة إحدى وعشرة وخمسمائة من أسرة إمارة وسلطة، وصلاح وتقوى، وجهاد وتضحية. هي أسرة إمارات بني أرتق التي ظهرت في أقاصي شمالي الجزيرة الفراتية، على حدود الأناضول، عند منابع دجلة والفرات، وحكمت ما يزيد عن ثلاثة قرون[1]

ينتمي نور الدين إلى قبائل «الساب يو» التركمانية، وكان جده «آق سنقر» مملوكا للسلطان السلجوقي «ملكيشاه بن ألب أرسلان»، تربى معه، ورافقه حتى صار من أعيان أمرائه، واخص أصدقائه[2] وولاه بعض الامارات في شمالي العراق.

وخلفه ابنه «عماد الدين زنكي» والد «نور الدين» الذي اشترك في معارك ضد الصليبيين، فأظهر شجاعة فائقة، ومقدرة عظيمة على القتال، أكسبته شهرة واسعة، وكان ردءا للسلطان محمود السلجوقي فجعله موضع ثقته، وسلمه ولديه «ألب ارسلان والخفاجي» ليكون «أتابكا» لهما، أي أبا مربيا، ومنذ ذلك الوقت سمى زنكي «أتابكا» وولاه السلطان إمارة الموصل والجزيرة وما يتبعها، فاستطاع أن يفتح عددا من بلاد الشام، وأن يستخلص من أيدي الصليبيين «الرها» وكانت من أهم معاقلهم، واستولى على حلب وبعلبك، ووحّد كثيرا من الامارات تحت قيادة إسلامية واحدة.

وبين أحضان «زنكي» تربى ولده «محمود» الملقب بنور الدين الشهيد على الخير والصلاح والشجاعة، وكان والده يرى فيه مخايل النجابة، فيقدمه على سائر أولاده، حتى شب وترعرع، وضرب بسهمه في الجهاد لكبح جماح الغزو الصليبي.

---

١ ـ انظر «الكواكب الدرية في السيرة النورية لابن قاضي شهبة.

٢ ـ راجع كتاب «عماد الدين زنكي» للدكتور عماد الدين خليل.

Marfat.com

فلما توفي والده سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أشار عليه بعض الأمراء[1] أن يتوجه إلى حلب، وأن يجعلها كرسي مملكته، حيث يكون ذلك أدعى إلى اجتماع الناس عليه، ففعل ذلك، وأبطل الأذان بحي على خير العمل، وأنكر ما كان فيها من تشيع، وساعده على ذلك جماعة من أهل السنة والجماعة[2]. ثم حاصر دمشق حتى دخلت في حوزته، واستولى على حمص وحماه وبعلبك وسائر بلاد الشام. وهو الذي بنى سور بعلبك المشهور.

وسيّر نور الدين الأمير أسد الدين شيركوه إلى مصر في حملات ثلاث لانقاذ البلاد من براثن الفرنج، وحماية المسلمين من أذاهم، وبلغت الحملة الثالثة سبعين ألف فارس وراجل، فسحق الفرنج، وأوقع بهم الهزيمة، وأعجب به الملك العاضد فقلده الوزارة ولقبه بالملك المنصور سلطان الجيوش، حتى مات، فولى بعده أحد قادته، وهو صلاح الدين الأيوبي، الذي استحوذ على السلطة، فضرب باسم الملك العادل نور الدين السكة[3]، وجعل له الخطبة في البلاد كلها، وواصل جهاده باسم نور الدين الذي صار معقد آمال المسلمين في بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية، حتى توفي سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق وقيل له «الشهيد» لأنه كان يتمنى أن يموت شهيدا، وقبره في المدرسة «النورية» التي بناها للاحناف بدمشق.

قال أبن الجوزي: استرجع نور الدين من أيدي الكفار نيفا وخمسين مدينة، وكان قد عزم على فتح القدس فوافته المنية، وخطب له بالحرمين الشريفين: مكة والمدينة، وبلاد الشام ومصر، وأظهر السنة بمدينة حلب، وأزال البدعة التي للروافض في الأذان «حي على خير العمل» وقع بها الروافض، وبنى بها المدارس والمساجد، وأصلح طرقها، ووسع أسواقها، وأسقط جميع المكوس، وعاقب على الخمر.

---

١ ـ هو أسد الدين شيركوه

٢ ـ انظر ابن خلكان، والسيرة النورية ص ١٣٠

٣ ـ السكة بالكسر: حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم.

Marfat.com

ووقف أوقافا على المرضى والمجانين، وبنى المكاتب لليتامى، وبنى المارستان بدمشق، ووقف على سكان الحرمين الشريفين، وحصن قلاع الشام، وبنى الأسوار على مدنها، وأقام الجسور، وبنى الخوانق والربط لطلبة العلـم، والخانات في الطرق للمسافرين، والقناطر، وبنى الجوامع في أنحاء البلاد، وجامعة في الموصل غاية في الحسن والاتقان. كما بنى دورا للايتام وأجرى عليهـم وعلى معلميهـم الخيرات الوافرة .وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير.

وكان رحمه الله كثير المطالعة للكتب الدينية، متتبعا للآثار النبوية، مواظبا على الصلوات في الجماعات، عاكفا على تلاوة القرآن، حريصا على فعل الخير، عفيف البطن والفرج، مقتصدا في الانفاق، متحريا في المطعـم والمشرب والملبس.

عدله وفضله:ـ العدل قوام السلطان والملك، وفي ظله ينعـم الناس بالأمن، ويشعرون بالطمأنينة، ويستمتعون بالحياة، وفي كنف الحكـم العادل تشيع روح المودة، ويستقيـم أمر الناس، وتجتمع كلمتهـم على قلب رجل واحد، ونور الدين كان مثلا من الأمثلة الحية التي سجل فيها التاريخ الاسلامي اروع صور العدالة، فلقب بالملك العادل.

قاضاه شخص على ملك له، فسار معه الى القاضي، وهو حينئذ «كمال الدين الشهرزوري» فقال للقاضي: إني قد جئت محاكماً، فاسلك معي ما تسلكه مع غيري، فساوى بينه وبين خصمه، وتحاكما، فلـم يثبت عليه حق، وثبت الملك لنور الدين، فقال نور الدين للقاضي ولمن حضر: هل ثبت له عندي حق؟ قالوا: لا، فقال: اشهدوا على أني قد وهبت له هذا الملك الذي حاكمني عليه، وقد كنت اعلـم أنه لا حق له عندي، وانما حضرت معه لئلا يظن أني ظلمته، فحيث ظهر أن الحق لي وهبته له[1].

قال ابن الاثير: «ومن عدله أنه لـم يكن يعاقب على المظنة والتهمة، بل يطلب

---

١ ـ انظر السيرة النورية ص ٢٠

Marfat.com

الشهود على المتهم، فإن قامت عليه بينة شرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد. فدفع الله تعالى بهذا عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته من شدة السياسة، والمبالغة في العقوبة، والأخذ بالظنة، وأمنت بلاده مع سعتها، وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشريعة المطهرة».

وكان نور الدين متواضعا مهيبا، يكرم العلماء، وينهض للقائهم ويؤنسهم ولا يرد لهم قولا، عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وله معرفة بعلوم الحديث، وكان يجلس في كل اسبوع أربعة أيام يحضر الفقهاء عنده، ويأمر بإزالة الحجاب حتى يصل إليه من يشاء، ويسأل الفقهاء عما يشكل عليه.

شجاعته وحزمه: ـ كان نور الدين شجاعا مقداما، بطلا محاربا، يقتحم المخاطر جهادا في سبيل الله، وكان في الحرب ثابت القدم، حسن الرمي، مسدد الاصابة، يتقدم أصحابه في المعركة، ويتعرض للشهادة، ويسأل الله تعالى أن يموت شهيدا، وكان يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم أدركها، ولو كان فيّ خير ولي عند الله قيمة لرزقتها، والاعمال بالنيات.

قال له يوما قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي: يا مولانا السلطان: لا تخاطر بنفسك وبالاسلام والمسلمين، فإنك عمادهم، فلو أصبت في معركة أعملت السيوف في رقاب الناس وأخذت البلاد. فقال: يا قطب الدين: اسكت، فان قولك هذا اساءة أدب على الله، ومَنْ محمود حتى يقال له هذا؟ قبلي من حفظ البلاد، ذلك الله الذي لا اله إلا هو، فبكى من كان حاضرا.

ومع ما كان عليه من تواضع فإنه كان حازما في مواطن الجد شديدا من غير عنف، رفيقا من غير ضعف، يهابه أجناده وأصحابه وامراؤه، ويحاسبهم على القيام بأعمالهم حساب الناقد البصير، ويجد الناس في مجلسه هيبة من غير خوف، ووقارا من غير استعلاء، قال الحافظ بن عساكر: «كنا نحضر مجلس نور الدين كأنما على رؤسنا الطير، تعلونا الهيبة والوقار، فاذا تكلم أنصتنا، واذا تكلمنا أنصت لنا».

Marfat.com

زهده وورعه وعبادته: ـ إذا اجتمع في السلطان قوة الملك وتقوى الله وورع النفس فقد اكتملت له خصائص الحكم الصالح، وهكذا كان نور الدين، فانه مع سعة ملكه وشدة بأسه كان عابدا متنسكا، يقوم ليله، ويقرأ حزبه. ويصوم كثيرا من الأيام، ويحافظ على صلاة الجماعة، ويشهد صلاة الفجر.

وعاش نور الدين عيشة كفاف، وتورع عن أخذ شيء من بيت المال لا يحل له أخذه، قال ابن الأثير: «وكان نور الدين رحمه الله تعالى ـ مع سعة ملكه ـ، وذخائر بلاده- لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه إلا من ملك اشتراه من سهمه من الغنائم، وكان يحضر الفقهاء ويستفتيهم فيما يحل له من تناول الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، فيأخذ ما يفتونه بحله، ولا يتعداه إلى غيره البتة»

ووصفت حاله زوجته الخانوت بنت معين الدين- وكانت من الصالحات الخيرّات ـ فذكرت عنه، أنه كان يصلي فيطيل الصلاة، وله أوراد في الليل والنهار، فإذا جاء الليل وصلى العشاء نام، ثم استيقظ نصف الليل، فيتوضأ ويصلي الى الفجر، ثم يصلي الصبح، ثم يظهر للاشتغال بمهمات الدولة»[1].

وقال ابن خلكان فيه: «كان نور الدين ملكا عادلا زاهدا عابدا ورعا متمسكا بالشريعة، مائلا إلى أهل الخير، مجاهدا في سبيل الله تعالى، كثير الصدقات».

وقال ابن الأثير: «قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام، ومنه الى يومنا هذا، فلم أر فيه بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين، ولا أكثر تحريا للعدل والانصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجهز له، ومظلمة يزيلها، وعبادة يقوم بها، وإحسان يوليه، وإنعام يسديه، فلو كان في أمة لافتخرت به، فكيف ببيت واحد».

وتلك أولا وآخرا صورة معبرة عن بطل من ابطال الاسلام.

---

١ ـ انظر السيرة النورية ص ٥٤

Marfat.com

سابعا: موضوعات عامة

آ ـ القرآن الكريـم عظمته وإعجازه[1]

هذا الكون الفسيح الزاخر بمخلوقات الله تضاءلت جباله الشامخة، وبحاره الواسعة، واوديته الممتدة، امام مخلوق ضعيف هو الانسان. ذلك لما جمع الله فيه من خصائص، وما منحه من قوة التفكير التي تشع في الارجاء لتسخر عناصر القوى الكونية، وتجعلها في خدمة الانسانية.

وما كان الله ليذر هذا الانسان دون ان يمده بقبس من الوحي بين فترة واخرى. يقوده الى معالـم الهدى، ليسلك دروب الحياة على بينة وبصيرة، ولكن غلواءه الفطري يأبى عليه الخضوع لقرينه من بني الانسان ما لـم يأت له بما لا يستطيع حتى يعترف ويخضع ويؤمن بقدرة عليا فوق قدرته، فكان رسل الله الذين يتنزل عليهـم الوحي ويؤيدهـم الله بخوارق العادات التي تقيـم الحجة على الناس فيعترفون امامها بالعجز، ويدينون لها بالولاء والطاعة.

ولقد كان العقل البشري في اطوار نموه الاولى لا يرى شيئا يأخذ بلبه اقوى من المعجزات الكونية الحسية، حيث لا يرقى عقله الى السمو في المعرفة والتفكير، فناسب هذا ان يبعث كل رسول الى قومه خاصة، وان تكون معجزته فيما نبغ فيه قومه خارقة لما ألفوه ليتحقق بعجزهـم عنها ايمانهـم بانها من قوى السماء، فلما اكتمل العقل البشري اذن الله بفجر الرسالة المحمدية الخالدة الى الناس كافة وكانت معجزتها معجزة العقل البشري في ارقى تطورات نضجه.

فإذا كان تأييد الله لرسله السابقين بآيات كونية تبهر الابصار ولا سبيل للعقل في معارضتها، كمعجزة اليد والعصا لموسى، وابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى

---

١ ـ انظر كتابنا «مباحث في علوم القرآن ص ٢٥٧» ط بيروت.

Marfat.com

بإذن الله لعيسى، فإن معجزة محمد صلى الله عليه وسلـم في عصر مشرف على العلـم كانت معجزة عقلية تحاج العقل البشري وتتحداه الى الأبد. إنها معجزة القرآن بعلومه ومعارفه، واخباره الماضية والمستقبلة، فالعقل الانساني على تقدمه لا يعجز عن معارضته لانه آية كونية لا قبل له بها، ولكن عجزه لقصوره الذاتي، فيكون هذا اعترافا منه بأنه وحيِ الله الى رسوله، وأن حاجته الى الاهتداء به ماسة ليستقيـم عوجه، وترقى مواهبه. وهذا المعنى هو ما يشير اليه رسول الله صلى الله عليه وسلـم في قوله: «ما من الأنبياء نبي الا اعطي ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي اؤتيته وحيا اوحاه الله الي. فأرجو ان اكون اكثرهـم تابعا»[1].

وهكذا كتب الله لمعجزة الاسلام الخلود، فضعفت القدرة الانسانية مع تراخي الزمن وتقدم العلـم عن معارضتها.

وأيا كان وجه الاعجاز فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من اي النواحي احب: من ناحية اسلوبه، او من ناحية علومه، او من ناحية الاثر الذي احدثه في العالـم وغير به وجه التاريخ، او من تلك النواحي مجتمعة، وجد الاعجاز واضحا جليا.

الإعجاز اللغوي: لقد مارس اهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهـم حتى شبت وترعرعت، واصبحت في عنفوان شبابها عملاقا معطاء، واستظهروا شعرها ونثرها، وحكمها وامثالها، وطاوعهـم البيان في اساليب ساحرة، حقيقة ومجازا، ايجازا واطنابا، حديثا ومقالا، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت وقفت على اعتاب لغة القرآن في اعجازه اللغوي كسيرة صاغرة، تنحني امام اسلوبه اجلالا وخشية، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ ازدهرت فيها اللغة الا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني، اعترافا لسموه، وادراكا لاسراره، ولا عجب «فتلك سنة الله في آياته، لا يزيدك العلـم بها والوقوف على أسرارها الا اذعانا لعظمتها، وثقة بالعجز عنها»[2].

---

١ ـ رواه البخاري

٢ ـ انظر النبأ العظيـم لمحمد عبد الله دراز ص ٨١

Marfat.com

والذين تملكهم الغرور، واصابتهم لوثة الاعجاب بالنفس وحاولوا التطاول على اسلوب القرآن، حاكوه بكلام فارغ، اشبه بالسخف والتفاهة والهذيان والعبث، وارتدوا على اعقابهم خاسرين كالمتنبئين واشباه المتنبئين، من الدجالين والمغرورين.

وقد شهد التاريخ فرسانا للعربية خاضوا غمارها واحرزوا قصب السبق فيها، فما استطاع احد منهم ان تحدثه نفسه بمعارضة القرآن، إلا باء بالخزي والهوان، بل إن التاريخ سجل هذا العجز على اللغة في ازهى عصورها، وارقى ادوارها حين نزل هذا القرآن، وقد بلغت العربية اشدها، وتوافرت لها عناصر الكمال والتهذيب في المجامع العربية واسواقها، ووقف القرآن من اصحاب هذه اللغة موقف التحدي في صور شتى، منزلا معهم الى الاخف من عشر سور الى سورة الى حديث مثله، فما استطاع احد ان يباريه او يجاريه منهم، وهم اهل الانفة والعزة والاباء، ولو وجدوا قدرة على محاكاة شيء منه، او وجدوا ثغرة فيه، لما ركبوا المركب الصعب امام هذا التحدي، باشهار السيوف، بعد ان عجز البيان وتحطمت الاقلام.

وتتابعت القرون لدى اهل العربية، وظل الاعجاز القرآني اللغوي راسخا كالطود الشامخ، تذل امامه الاعناق خاضعة، لا تفكر في ان تدانيه، فضلا عن ان تساميه، لانها اشد عجزا واقل طمعا في هذا المطلب العزيز، وسيظل الامر كذلك الى يوم الدين.

وحيثما قلب الانسان نظره في القرآن الكريم وجد اسرارا من الإعجاز اللغوي.

يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع، بجرس حروفه حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغُنّاتها، وفواصلها ومقاطعها. فلا تمل اذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

ويجد ذلك في الفاظه التي تني بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد لا معنى له، ولا يعثر الباحث على موضع يقول: إنه يحتاج الى إثبات لفظ ناقص.

Marfat.com

ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها اصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته، من العامة والخاصة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[1].

ويجد ذلك في اقناع العقل وامتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيرا ووجدانا في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير.

وهكذا حيثما قلب النظر قامت امامه حجة القرآن في التحدي والاعجاز.

الاعجاز العلمي: يخطىء كثير من الناس حين يحرصون على ان يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملا في آية يتأولونها، بما يوافق هذه النظرية.

ومنشأ الخطأ في هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعا لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم يكتنفه الغموض احيانا، والخطأ أحيانا احرى، وتستمر هكذا حتى تقترب من الصواب، وتصل الى درجة اليقين، واي نظرية منها تبدأ بالحدس والتخمين وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها، او يتضح زيفها وخطؤها، ولهذا كانت عرضة للتبديل، وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس انها اصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة اخرى.

والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم ويحرصون على ان يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في افق الحياة العلمية، يسيئون الى القرآن من حيث يظنون انهم يحسنون صنعا، لان هذه المسائل التي تخضع لسنة التقدم تتبدل، وقد تتقوض من اساسها وتبطل، فإذا فسرنا القرآن بها تعرضنا في تفسيره للنقائض كلما تبدلت القواعد العلمية، او تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم، او يقين يبطل التخمين.

---

١ - الآية (١٧) من سورة القمر

Marfat.com

والقرآن الكريـم كتاب عقيدة وهداية، يخاطب الضمير فيحيي فيه عوامل النمو والارتقاء. وبواعث الخير والفضيلة.

واعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وانما في حثه على التفكير، فهو يحث الانسان على النظر في الكون وتدبره، ولا يشل حركة العقل في تفكيره، او يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع الى ذلك سبيلا، وليس ثمة كتاب من كتب الاديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن.

فأي مسألة من مسائل العلـم، او قاعدة من قواعده، يثبت رسوخها، ويتبين يقينها، تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليـم، ولا تتعارض معه بحال من الاحوال، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها، ولـم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن، وهذا وحده إعجاز.

والقرآن الكريـم يجعل التفكير السديد والنظر الصائب في الكون وما فيه اعظـم وسيلة من وسائل الايمان بالله. ويثير في الانسان الحس العلمي للتفكير والفهـم والتعقل، وذلك في آيات قرآنية كثيرة.

وهكذا فإن اعجاز القرآن العلمي في أنه يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهـم ابواب المعرفة، ويدعوهـم الى ولوجها. والتقدم فيها. وقبول كل جديد راسخ من العلوم. وما تضمنه من اشارات علمية جاء في سياق الهداية الإلهية، وللعقل البشري ان يبحث فيها ويتدبر.

الإعجاز التشريعي: ـ اودع الله في الانسان كثيرا من الغرائز التي تعتمل في النفس وتؤثر عليها في اتجاهات الحياة، ولئن كان العقل الرشيد يعصـم صاحبه من الزلل فإن النزعات النفسية المنحرفة تطغى على سلطان العقل، ولا يستطيع العقل ان يكبح جماحها في كل حال، لهذا كان لابد لاستقامة الانسان من تربية خاصة لغرائزه، تهذبها وتنميها، وتقودها الى الخير والفلاح.

Marfat.com

والإنسان مدنيّ بالطبع، فهو في حاجة الى غيره، وغيره في حاجة اليه، وتعاون الانسان مع اخيه الانسان ضرورة اجتماعية يفرضها العمران البشري، وكثيرا ما يظلم الانسان اخاه بدافع الأثرة وحب السيطرة، فلو ترك امر الناس دون ضابط يحدد علاقاتهم، وينظم احوال معاشهم، ويصون حقوقهم، ويحفظ حرماتهم، لصار امرهم فوضى، ولذا كان لابد لأي مجتمع بشري من نظام يحكم زمامه، ويحقق العدل بين افراده.

وبين تربية الفرد وصلاح الجماعة وشائج قوية لا تنفصم عراها، فإن هذا يقوم على تلك، فصلاح الفرد من صلاح الجماعة، وصلاح الجماعة بصلاح الفرد.

وقد عرفت البشرية في عصور التاريخ الوانا مختلفة من المذاهب والنظريات والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل. ولكن واحدا منها لم يبلغ من الروعة والإجلال مبلغ القرآن الكريم في اعجازه التشريعي.

إن القرآن يبدأ بتربية الفرد، لأنه لبنة المجتمع، ويقيم تربيته على تحرير وجدانه، وتحمله التبعة.

يحرر القرآن وجدان المسلم بعقيدة التوحيد التي تخلصه من سلطان الخرافة والوهم. وتفك اسره من عبودية الأهواء والشهوات. حتى يكون عبدا خالصا لله، يتجرد للإله الخالق المعبود، ويستعلي بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق الا لدى خالقه، الذي له الكمال المطلق، ومنه يمنح الخير للخلائق كلها، إنه خالق واحد، وإله واحد، لا أول له ولا آخر، قدير على كل شيء، عليم بكل شيء، محيط بكل شيء، وليس كمثله شيء.

عالَمٌ مخلوق خلقه الله، ويرجع الى الله، ويفنى كما يوجد بمشيئة الله. وهذه اكمل عقيدة في العقل، واكمل عقيدة في الدين.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

Marfat.com

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[1].

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾[2].

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[3].

وإذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات، وكل عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد، ولكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح الجماعة.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والجماعة واجبة على الرأي الراجح إلا لعذر. وهي شرط في الجمعة والعيدين. والذي يصلي منفردا لا يغيب عن شعوره آصرة القربى بينه وبين الجماعة الإسلامية في اقطار الارض. من شمال الى جنوب، ومن مشرق الى مغرب. لأنه يعلم في تلك اللحظة انه يتجه وجهة واحدة مع كل مسلم على ظهر الارض. يؤدي فريضة الصلاة، ويستقبل معه قبلة واحدة، ويدعو بدعاء واحد، وإن تباعدت بينهم الديار.

وحسب المسلم في تربيته ان يقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم الواحد لتمتزج حياته بشرع الله ويتمثل الوازع الاعلى نصب عينيه ما بين كل صلاة وصلاة ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[4].

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح، وعبادة المال، والحرص على الدنيا، وهي مصلحة للجماعة، فتقيم دعائم التعاون بين المجدودين[5]، والمحرومين، وتشعر النفس بتكافل الجماعة شعورا يخرجها من ضيق الأثرة والانفراد.

والحج سياحة تروض النفس على المشقة، وتفتح بصيرتها على اسرار الله في خلقه. وهو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد فيتعارفون ويتشاورون.

---

١ ـ الآية (٣) من سورة الحديد
٢ ـ الآية (١٠٢) من سورة الانعام
٣ ـ الآية (٢٢) من سورة الانبياء
٤ ـ الآية (٤٥) من سورة العنكبوت
٥ ـ المجدودون: الأغنياء. والجِدة: الغنى

Marfat.com

والصيام ضبط للنفس، وشحذ لعزيمتها، وتقوية للإرادة، وحبس للشهوات، وهو مظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهرا كاملا على نظام واحد في طعامهم، كما تعيش الاسرة في البيت الواحد.

والقيام بهذه العبادات المفروضة يربي المسلم على الشعور بالتبعة الفردية. التي يقررها القرآن وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين وكل فضيلة من فضائل الاخلاق.

وحضّ القرآن على الفضائل المثلى التي تروض النفس على الوازع الديني، كالصبر والصدق والعدل والإحسان والحلم والعفو والتواضع.

ومن تربية الفرد ينتقل القرآن إلى بناء الاسرة، لانها نواة المجتمع، فشرع القرآن الزواج استجابة لغريزة الجنس، وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر نظيف.

ويقوم رباط الأسرة في الزواج على الود والرحمة والسكن النفسي والعشرة بالمعروف، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة، والوظيفة الملائمة لكل منهما.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[2].

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[3].

ثم يأتي نظام الحكم الذي يسود المجتمع المسلم، وقد قرر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية في اصلح أوضاعها.

فهي حكومة الشورى والمساواة ومنع السيطرة الفردية.

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[4].

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[5].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[6].

---

١ ـ الآية (٢١) من سورة الروم

٢ ـ الآية (١٩) من سورة النساء

٣ ـ الآية (٣٣) من سورة النساء

٤ ـ الآية (١٥٩) من سورة آل عمران

٥ ـ الآية (٣٨) من سورة الشورى

٦ ـ الآية (١٠) من سورة الحجرات

Marfat.com

وهي حكومة تقوم على العدل، والتشريع في الحكومة الإسلامية ليس متروكا للناس، بل قرره القرآن، والخروج عنه كفر وظلـم وفسق.

وقرر القرآن صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل، ورتب عليها العقوبات المنصوصة التي تعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود.

وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلـم بين المسلمين وجيرانهـم او معاهديهـم، وهي ارفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية.

وخلاصة القول: ان القرآن دستور تشريعي كامل، يقيـم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه التشريعي قرينا لإعجازه العلمي وإعجازه اللغوي إلى الأبد. ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالـم أثرا غير وجه التاريخ.

Marfat.com

ب ـ السُّنَّة النبوية وموقف المسلمين منها..

السُّنة في اللغة: الطريقة والسيرة، وفي اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلـم من قول، او فعل، أو تقرير، أو صفة

فلقد كان صلى الله عليه وسلـم يتحدث إلى صحابته في كل شأن من شئون حياتهـم الدينية. في العقيدة، والعبادة، والمعاملة، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى**»[٢].

ونقل الصحابة رضي الله عنهـم كثيرا من تصرفات رسول الله، في التشريع، والسلوك، والعمل، صلى أمامهـم وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٣]. وأدى معهـم مناسك الحج وكان يقول لهـم: «**خذوا عني مناسككـم**»[٤]. فنقلوا عنه كيفية صلاته، وكيفية حجه.

وأقر أصحابه على امور شاهدها أو علـم بها من قول أو فعل، ولو لـم يكن ما شاهده أو علمه مشروعا لما أقره، «**بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختـم بـ(قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك له عليه الصلاة والسلام، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلـم: أخبروه أن الله يحبه**»[٥].

وذكرت عائشة رضي الله عنها من صفاته الخُلُقيّة أنه «**ما خُيّـر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لـم يكن إثما**»[٦]. وروي عن علي رضي الله عنه في صفات رسول الله الخَلْقيّة قوله: «**لـم يكن النبي صلى الله عليه وسلـم بالطويل ولا بالقصير**»

وقد اعتنت الأمة الأسلامية بالسُّنة النبوية عناية فائقة، فحفظوها وكتبوها،

---

١ ـ راجع كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» للدكتور مصطفى السباعي

٢ ـ أخرجه الشيخان

٣ ـ اخرجه الامام احمد وابن ماجه

٤ ـ اخرجه احمد ومسلـم والنسائي

٥ ـ رواه البخاري ومسلـم

٦ ـ رواه الترمذي في الشمائل المحمدية

Marfat.com

ورواها كل عن الآخر، حتى جاء بعضها متواترا[1] باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط، متصلا ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا من خصائص الأمة الإسلامية وحدها، قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل»

والسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وتلي مرتبتها كتاب الله تعالى، فقد أخبر الله عن نبيّه بقوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[2]. وأمر باتباعه وطاعته، والأخذ بما جاء به، والانتهاء عما نهى عنه ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢ ﴾[3]. ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[4].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[5]. وأوجب الله النزول على حكمه فيما يكون من خلاف ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾[6]. وأخبر انه أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾[7]. وذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة هي السنة.

وهذه النصوص تقطع دابر الشك في وجوب الأخذ بالسنة في الأدلة الشرعية، واعتبارها في المقام الثاني من القرآن، وترد شبه المغرضين الهاوية.

والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها:

أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم

---

١ ـ المتواتر: ما رواه عدد كثير يحيل العقل تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه واستندوا إلى امر محسوس

٢ ـ الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم

٣ ـ الآية (١٣٢) من سورة آل عمران

٤ ـ الآية (٧) من سورة الحشر

٥ ـ اخرجه ابو داود والترمذي

٦ ـ الآية (٦٥) من سورة النساء

٧ ـ الآية (١٦٤) من سورة آل عمران

Marfat.com

الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها كالأمر باقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، والنهي عن الشرك بالله، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، وقتل النفس بغير حق، وغير ذلك من الأوامر والنواهي التي جاءت في القرآن الكريم وأيدتها السنة.

الثاني:

أن تكون بيانا لما جاء مجملا في القرآن وتفسيرا له، كتفصيل مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وسائر احكامها، وبيان مقادير الزكاة، واوقاتها، والأموال التي تزكى، وبيان أحكام الصوم، ومناسك الحج، والذبائح والصيد، وما يؤكل وما لا يؤكل، وتفاصيل الأنكحة والبيوع والجنايات، وهو الذي تشمله الآية الكريمة ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1].

الثالث:

أن تكون مثبتة لحكم سكت عنه القرآن، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها وتحريم كل ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك من الأحكام التي شرعت بالسنة وحدها.

ولقد كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابته تمثل «الديمقراطية» الحقة، التي ينشدها الناس وتداعب احلامهم في هذا العصر، فلم يكن بينه وبين أصحابه حجاب يمنعه عنهم، أو يمنعهم عنه، فهو يخالطهم في المسجد والسوق والمنزل، والسفر والحضر، وهم حريصون على لقائه وصحبته وملازمته للاقتباس منه، والاهتداء بهديه، والتأسّي بسيرته.

وحينما حدث لأحدهم من الأمر ما لا يعرف أسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتاه.

وفيما يتعلق بالأمور المتصلة بالجنس، والمختصة بالمرأة، كان الرجال يسألون

---

١ ـ الآية (٤٤) من سورة النحل

Marfat.com

تارة رسول الله، وتارة يرسل احدهم امرأته لتسأل زوجاته لعلمهن باحوال رسول الله العائلية.

وقد تسأل النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يَشَأنَ السؤال عنه من أمورهن، فإذا كان هناك ما يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من التصريح للمرأة بالحكم الشرعي أمر إحدى زوجاته أن تفهمها إياه، جاءت امرأة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف تتطهر من الحيض؟ فقال لها: «خذي فرصة ممسكة فتوضئي بها» فقالت: يا رسول الله: كيف أتوضأ بها؟ فأعاد كلامه السابق، فلم تفهم، فأشار إلى عائشة أن تفهمها ما يريد، فأفهمتها المراد، وهو أن تاخذ قطعة قطن نظيفة، فتضعها في مكان الدم، فإن خرجت بيضاء كان ذلك علامة طهرها[1].

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته بتبليغ سنته إلى من وراءهم، وحثهم على التثبت فيما يروون «نضّر الله امرءا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها، ورواها كما سمعها، فرب مُبَلَّغ أوعى من سامع»[2].

وامتثل الصحابة هذا وبلغوا أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته، وتفرقوا في الأمصار، وأصبحوا فيها معلمين، وتتلمذ عليهم التابعون، ورحل إليهم من رحل على بعد الشقة وعناء السفر للأخذ عنهم.

وبذل العلماء منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة كثيرا من الجهود لتمييز صحيح الأحاديث، وسلكوا أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، يحق لأمتنا أن تفاخر به الأمم جميعا.

ودونت السنة النبوية، وأدت الأمة أمانة الله عليها في حملها والحفاظ عليها، وعُنِيَ العلماء بتبويبها وشرحها، واستنباط الأحكام منها، وأصبح الأطلاع عليها ميسورا للباحثين والمثقفين.

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة

٢ ـ أخرجه أبو داود والترمذي من رواية زيد بن ثابت

Marfat.com

جـ ـ الشخصية المتميزة للمسلـم

تعني الشخصية في مفهومها العام ملامح الإنسان وصفاته التي تميزه عن غيره، ولا يقتصر هذا المفهوم على الصفات البدنية، إنما يتعداها إلى الصفات النفسية والاجتماعية والعقلية، وقد صارت الشخصية علما على السمات الخاصة التي يتميز بها كل انسان عن الآخر في عقيدته وعواطفه ومشاعره وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية وطرائق تفكيره وسائر تصرفاته الإرادية، لأن هذه هي المقومات الشخصية للإنسان، ومحار الحكـم على مميزاته[1].

إن تفاوت الناس في صفاتهـم البدنية يرجع إلى عوامل الوراثة والبيئة، وهو تفاوت محدود لا يغير شيئا من خصائص الإنسان الجسمية، ووظائفه العضوية، وقلما يكون له تأثير في الصفات النفسية إلا لدى أصحاب العاهات من الشواذ، والنادر لا يقاس عليه.

والحياة الإنسانية لا تقوّم بالمقاييس الحسية الظاهرة، إنما تقوّم بمعيار العقيدة، والقيـم الأخلاقية، والمستوى الفكري، لأن هذه هي خصائص الإنسان العاقل المكلف الرشيد.

وبهذا المفهوم الخاص تتميز شخصية المسلـم عن غيره.

فهي شخصية مؤمنة مهتدية، تتجه بمشاعرها واحاسيسها لله تعالى، تستلهـم منه الرشد والسَّداد، وتهتدي بنور الايمان في سلوكها، وتتخذ الشريعة الإسلامية نبراسا لها في تصرفاتها، وتحتكم إليها في كل شأن من شئون حياتها.

وهي شخصية متميزة بالعقيدة الإسلامية التي تؤمن بها. وتخالط شغاف قلبها، وتمتزج بأحاسيسها، فتعيش من أجلها، وتجعل حياتها وقفا عليها، إذ لا قيمة للحياة بدون عقيدة.

---

١ ـ محار الحكـم: مناطه ومداره. والمحارتان: رأسا الورك المستديران اللذان تدور فيهما رؤوس الفخذين

Marfat.com

والعقيدة لدى المسلم هي المعيار الأساسي للعمل. فأي عمل لا ينبعث من العقيدة لا قيمة له في ميزان الاسلام مهما كان جليلا نافعا يعود على البشرية بالخير ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۖ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

وهي شخصية متميزة بسلوكها الإسلامي، تقف عند حدود الإسلام وشرائعه، عبادة ومعاملة واخلاقا، لا تجامل على حساب دينها، ولا تداري ولا تماري، ولا تدع لأي ضغط اجتماعي فرصة للتأثير عليها. حتى تتهاون في شيء من قيمها.

وهي شخصية تعتز بمقوّماتها من غير كبرياء، وتشعر بقوة الحق الذي تدين به، فلا تلين ولا تضعف، ولا تذوب في اي بيئة تعيش فيها، او مجتمع يضمها، بل تجد من ايمانها القوي ما يحملها على مقاومة التيارات الفكرية، والانحلال الخلقي، والفساد الاجتماعي. انها شخصية تؤثر في غيرها، ولا يؤثر غيرها فيها. وإن استفادت بكل خير، فالحكمة ضالة المؤمن أنىّ وجدها فهو أولى الناس بها.

فالشخص الذي يخضع للعادات والتقاليد الفاسدة التي تفرض وجودها بالانتشار في بعض المجتمعات، فيجاري أحوال الناس في فسادهم، أو يعيش في مجتمعات غير اسلامية لمقاصد سليمة فلا يلبث طويلا حتى ينخرط في سلكها، ويتقبل اوضاع حياتها التي تتنافى مع عقيدته أو دينه ـ هذا الشخص أو ذاك لا شخصية له ـ لأنه تهاون في مقومات الشخصية الإسلامية واهدر مثلها.

وجماع ما تتميز به شخصية المسلم ان يكون رجل عقيدة، ترى حياته صورة صادقة لها، يقرأ الناس فيها كتاب الإسلام مسطورا في آرائه وافكاره واخلاقه واحكامه وسلوكه، حيث تكون نظرته إلى الكون والإنسان والحياة نظرة إسلامية، وتكون المثل التي يحتذيها والفضائل التي يتحلى بها أخلاقا قرآنية، ويستقي أحكامه

---

١ ـ الايتان (١٧، ١٨) من سورة التوبة

Marfat.com

على الأمور كلها من هدي الإسلام وشريعته. ويأخذ نفسه بعد هذا بما يدين به لله في أعماله وشئون حياته، يفتدي عقيدته بنفسه وماله، ويفي بالبيعة وفاء المؤمنين الصادقين ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[1].

١ ـ الآية (١١١) من سورة التوبة

Marfat.com

د ـ التكافل الاجتماعي في الإسلام

يتبادر إلى الأذهان عندما يذكر التكافل الاجتماعي أنه مساعدات مالية تعطى للأفراد والمحتاجين على وجه الإحسان والصدقة والبر، ومفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام يعني مدلولات أوسع من هذا المدلول المحدود في المساعدات المالية التي يعبر عنها في الاصطلاح الحديث بالضمان الاجتماعي، أو التأمين الاجتماعي.

التكافل في التربية الفردية:ـ

لقد عني الإسلام في نظامه الاجتماعي بتربية روح الفرد وشخصيته وسلوكه، فإن الفرد قوام المجتمع، وإذا عني الإسلام بتربية الفرد فإن هذه التربية تؤدي في نهايتها إلى سلوك اجتماعي رشيد، يبعث على الحب والتعاون والإيثار.

والمسلم مسئول عن نفسه أمام الله فيما طولب به من تزكيتها وكفها عن شهواتها، والوقوف في طريق غوايتها، والحيلولة بينها وبين الفجور، حتى تصير نفسا صالحة تقية ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1].

ويقرر الإسلام هذه المسئولية الفردية في إصلاح النفس بتحملها تبعة ما تكسبه من خير أو شر ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[2].

ولا شك أن نمو الشخصية الفردية في جو تتربى فيه على تهذيب النفس، وحب الخير، وتحمل التبعة، هو نقطة البدء في اصلاح المجتمع، وبناء كيانه على دعائم وطيدة، وأسس راسخة.

والعبادات في الإسلام تمثل هذا الجانب في التربية الفردية، وما من عبادة فيها إلا وتحمل في طياتها معنى يهدف إلى إشاعة الروح الاجتماعية، والسعي نحو ترابط محكم بين أبناء المجتمع المسلم، وتكافل إنساني رصين.

---

١ ـ الآيات (٧ـ١٠) من سورة الشمس ٢ ـ الآية (٣٨) المدثر

Marfat.com

فالمسلـم يؤم المسجد للصلاة في اليوم الواحد خمس مرات، ليقف بين يدي ربه خاشعا ذاكرا بإزاء أخيه في صف واحد متراص، تحت إمرة إمام يأتـم به في قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه، وهو يرى في انتظام الصف معنى المساواة الحقة التي أقرها الاسلام، فإذا نسي الإمام استفتح عليه ونبهه، الرجل يسبّح، والمرأة تصفق.

ويتجه صف المسلمين في الصلاة في اي مسجد نحو قبلة واحدة في مشارق الأرض ومغاربها، ويتحول هذا الصف الى دائرة حول الكعبة يشهدها الناس في بيت الله الحرام، صلاة وطوافا، كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها؟ رمزا لوحدة أمة الإسلام.

وفي الحج تتضح الصورة العملية لمجتمع الفكرة والعقيدة، حيث يفد إليه المسلمون استجابة لربهـم من كل قطر على اختلاف اللغة والجنس واللون والوطن، وهكذا الشأن في سائر العبادات.

التكافل في الأسرة:ـ

وينتقل الإسلام من تربية الفرد إلى تكوين الأسرة، لأنها نواة المجتمع، واللبنة الأولى في بنائه، وبعبارة اخرى هي المجتمع الصغير، الذي تنمو في ظله العلاقات الاجتماعية الأولى التي تساعد على القيام بالأعباء الاجتماعية في المجتمع الكبير.

والتنكر لقيمة الأسرة في بناء المجتمع منطق معكوس لا يؤبه له. فقد أثبتت محاولات النظـم المارية التي تهوّن من شأن الأسرة باعتبار انها تنمي أحاسيس الأثرة وحب التملك كالنظام الشيوعي ـ أثبتت هذه المحاولات فشلها ـ فإن الأسرة هي المحضن الطبيعي لتنمية الصفات الاجتماعية.

ووجود الميل الجنسي يشعر بضرورة التقاء الجنسين، ولكن وجود هذا الالتقاء على نهج تنظيمي هو الذي ينمي مشاعر الود والرحمة والتعاون، ولذا كان تخصيص امرأة لرجل واحد هو السبيل الأقوم لتهيئة مهد صالح للطفولة، تنمو فيه شخصية الطفل في كنف عواطف الأبوة والأمومة، ويشاهد التكافل الاجتماعي في حياة الأسرة

Marfat.com

ويشارك فيه، حتى يؤهل نفسه نفسيا وعمليا لتكافل أتم في بناء مجتمعه.

وكيان الأسرة يرعى المبادىء الأصيلة للمجتمع الإسلامي، فاختيار المرأة قائم على العقيدة «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1]. والعلاقة التي بين الزوجين هي المسكن الاجتماعي والنفسي لتنمية عواطف الود والرحمة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[2]. وليست هناك فوارق طبقية تحول دون زواج شاب مسلم بفتاة مسلمة ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3].

والأسرة مجتمع صغير يحتاج إلى قوامة تحكم أمره، وتنظم شئونه، حتى تصونه من الاضطراب والفوضى شأن كل مجتمع، فإذا قارنّا بين خصائص المرأة وخصائص الرجل وعرفنا أن الإسلام أوجب نفقة المرأة على زوجها لم يكن هناك مشاحة في أن نعطي هذا الزوج درجة الرئاسة، لما تمايز به من خصائص، وما يقوم به من نفقة، وهذه هي المساواة في شريعة الإسلام بين الرجل والمرأة، فإن المساواة لا تعني تساوي اثنين في جنس عمل واحد فحسب، ولكنها تعني كذلك أن تتساوى الحقوق مع الواجبات في العمل المتفاوت، وهذا هو ما ذكره الله تعالى في قوله ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[4]. وبين القرآن الكريم هذه الدرجة في آية أخرى، وهي القوامة ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[5].

وكيان الأسرة في الإسلام يتسع ويمتد لتحقيق مزيد من الترابط والوئام بين أفراد المجتمع.

فالإسلام يحرم الزواج من المحارم، ومن أهداف التحريم وقاية الأسرة من

---

١ ـ من حديث رواه الجماعه إلا الترمذي

٢ ـ الآية (٢١) من سورة الروم

٣ ـ الآية (٣٢) من سورة النور

٤ ـ الآية (٢٢٨) من سورة البقرة

٥ ـ الآية (٣٣) من سورة النساء

Marfat.com

المشاجرة والخصومة والبغضاء، وأن تتسع دائرة الأسرة فيتحقق بالزواج من أسباب المودة والنسب ما لم يتحقق بالقرابة، فالقرابة الحميمة لا حاجة إلى توثيقها بالنسب والمصاهرة، وإنما تمس الحاجة إلى إضافة أعضاء جدد إلى هذه القرابة بالزواج من غيرها ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾[1].

ويأتي **نظام الميراث** ليجعل كيان الأسرة ممتدا في عمر الزمن، بعد انقضاء أعمال أعضائها، فإن الأسرة دعامة من أكبر دعائم الاجتماع، لا تنعقد ثم تنفرط مرة في كل جيل، بل هي وحدة تناط بالدوام، وهذا من شانه ان يحفز الفرد في المجتمع الإسلامي إلى بذل ما في وسعه للإنتاج، فلا يضنّ بقريحته وجهده وكفايته، فإن ثمرة ذلك لفلذات كبده من بعده، وفي هذا كسب لمجتمعه، بل للحياة الإنسانية كلها.

ويتم الوئام بين أفراد الأسرة بما فرضه الإسلام من حقوق لكل فرد من أفرادها. فلا حق لإنسان على إنسان أعظم من حق الآباء والأمهات في الإسلام على الأبناء والذرية.

التكافل في القرابة والرحم والجيرة:ـ

وينتقل الإسلام في تكافله من دائرة الأسرة الضيقة إلى دائرة أوسع قليلا، هي دائرة القرابة والرحم والجيرة.

ليس الناس على درجة سواء في القدرة على الكسب، وقد يعرض لأحدهم ما يقعده عن العمل، فلا يجد ما ينفقه، أو يجد مالاً يكفيه، والإسلام لا يترك أمثال هؤلاء بدون عائل، بل يوجب نفقتهم على من يمت إليهم بصلة من أواصر الأبوة او الأخوة أو المصاهرة تحقيقا للتكافل الاجتماعي، **ويشمل هدا التكافل عموم الورثة** في المذهب الأصح، فكل من يرث الفقير العاجز عن الكسب إذا مات غنيا تجب عليه نفقته في حال عجزه مهما كانت درجة القرابة ﴿ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾[2].

ويذهب بعض الفقهاء إلى وجوب هذه النفقة على اختلاف الدين للأصول على

---

١ ـ الآية (٥٤) من سورة الفرقان ٢ ـ الآية (٢٣٣) من سورة البقره

Marfat.com

فروعهم، والفروع على أصولهم. مما يدل على إنسانية الإسلام وتسامح شريعته.

وإذا لم يكن للفقير العاجز قريب غني ينفق عليه فإن نفقته تجب من بيت مال المسلمين.

ويشمل هذا التكافل بين الأقرباء رعاية الضعفاء الأغنياء الذين يبتليهم الله باليتم أو السفه، فيوجب الإسلام أن يقوم على اليتيم وليه، تربية له، وصيانة لماله، وتنمية لشرائه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[1] حتى يبلغ رُشْدا فيتولى أمره بنفسه ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ۖ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ

وكذلك الشأن في ولاية مال السفيه الذي لا يحسن التصرف في ماله لجنون أوعته أو تبذير وان كان كبيرا. لما في أموال الأفراد من مصلحة جماعية للأمة ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾[2].

وأقرب آصرة بعد آصرة القرابة هي آصرة الجِوار ولذا كان الجيران أحق بالاحسان والبر والعطف من غيرهم. ويعتبر حقهم من مقتضيات الإيمان «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيوَرثه»[4]. «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»[5].

التكافل العام بين افراد المجتمع:-

ثم يأتي دور التعاون المشترك في المصلحة الجماعية عندما ينتقل الفرد من محيط الأسرة إلى محيط القرابة، ومن محيط القرابة إلى محيط الجماعة، وهنا نجد العلاقات الاجتماعية قائمة بين أفراد المجتمع المسلم على قدم وساق بالعدل الكامل في الحقوق والواجبات، فإن كل فرد من المجتمع الإسلامي على ثغرة من ثغور الإسلام، يقوم على حمايته، يبذل الطاقات المختلفة لصالح الأمة.

---

١ ـ الآية (٢٢٠) من سورة البقرة

٢ ـ الآية (٦) من سورة النساء

٣ ـ الآية (٥) من سورة النساء

٤ ـ متفق عليه

٥ ـ رواه البخاري في الأدب المفرد، وغيره

Marfat.com

والملكية الفردية التي أباحها الإسلام بوسائل الكسب المشروعة مقرونة بالنظرة الجماعية، فالإسلام يقرر إزاء هذه الملكية أن المال مال الله، فهو مالكه الحقيقي، وإنما استخلف الناس عليه لتنميته وحفظه والانتفاع به على وجه تتحقق فيه مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة من غير إضرار بالآخرين ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[1]. ولذا حرم الإسلام الربا والاحتكار والغش وكل بيع فيه غرر.

ويفرض الإسلام في هذا المال الزكاة، ويجعلها حقا معلوما لذوي الفاقة والعوز، لا منة فيه لغني على فقير، يأخذها المحتاج باستحقاق عن عزة نفس ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

وهي واجبة في انفس الأموال، واكثرها تداولا، وأعظمها نفعا، فتجب:

أ ـ فيما يخرج من الأرض من الزرع والثمار.

ب ـ وفي بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

جـ ـ وفي النقدين: الذهب، والفضة.

د ـ وفي عروض التجارة.

ويتراوح ما يجب في هذه الأموال بين العشر وربع العشر، وهذا يعني أن الفقراء والمساكين وذوي الحاجة يشاركون اصحاب رءوس الأموال بنسبة تعدل نصف الأرباح السنوية المحتملة غالبا.

ثم تأتي الصدقات ووجوه البر التي تفيض فيها المشاعر الإنسانية بعواطف الرحمة، فتظل المجتمع الإسلامي بأكرم المعاني، توثيقا لروابط الحب، وتقوية لأواصر الإخاء.

وليست الصدقات في الإسلام تفضيل إنسان على إنسان، ولكنها قرض رابح يقرض فيه المتصدق ربه المنعم، ليحظى بعظيم الثواب ومضاعفة الأجر.

---

١ ـ الآية (٧) من سورة الحديد

٢ ـ الآية (١٩) من سورة الذاريات

Marfat.com

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1].

فالأمة الإسلامية مسئولة عن فقرائها ومعوزيها وذوي العاهات والمصابين فيها، وإذا لم تف الزكاة فقد وجب على القادرين ما يسد عوز المحتاجين، مطعما ومشربا وملبسا ومسكنا. قال ابن حزم: «فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، فالمسلم أخو المسلم، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله. ومن الحديث «أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله»[2].

والدولة متكافلة مع أبنائها في ذلك. عليها ان تعول المرضى، والزمنى، والمحتاجين، وأن تسد ديون من لا مال له، وان تتحمل تبعات الديات عمن ارتكب الجناية خطأ وليس له عصبة يعقلون عنه، وهي مسئولة عن تلبية حاجات الأمة ورعايتها، وتوفير المرافق العامة لها، كالتعليم والصحة، ومن واجبها القيام على شريعة الله، وصيانة الحقوق، وحماية الأخلاق، وتحقيق الأمن، وحراسة المجتمع «الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[3].

التكافل في حماية الأخلاق والعقيدة:ـ

وإذا كان المجتمع الإسلامي مجتمع العقيدة فإن تكافله الاجتماعي يتجاوز حدود المال وتأمين العيش، إلى حماية المجتمع من الرذيلة والفساد، يسهم في هذا جميع الأفراد على اختلاف قدراتهم ما استطاعوا «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[4].

قد تحسن تربية ولدك في البيت تربية إسلامية صحيحة على مفاهيم الإسلام

---

١ ـ الآية (١١) من سورة الحديد

٢ ـ رواه احمد وانظر المحلى ص ٤٥٢ ج ٦

٣ ـ متفق عليه

٤ ـ رواه مسلم واحمد

Marfat.com

وسلوكه، ولكن هذا الولد لن يعيش في عزلة عن واقع حياة مجتمعه، واذا كان المجتمع موبوءا بسوء الخلق وفساد الضمير واضطراب الأحوال، فإن هذا الوباء سينفث سمومه ليحبط هذه التربية، وقد صحح أبو بكر رضي الله عنه هذا الفهم الخاطىء في ترك الرذيلة وإغفال شأنها في قوله: «يأيها الناس. إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1].

هذا النوع من التكافل من خصائص الإسلام، ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم تعاون الأمة فيه حماية لدينها بقوله «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. وكان الذين في أسفلها إذا استقوْا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا. وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[2]. والله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[3].

وبهذه النظرة الواسعة إلى **مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام** يكون المجتمع الإسلامي مسئولا مسئولية مشتركة عن أي فرد من أفراده، يقعده العجز عن الكسب، او يعضه الدهر بنابه، أو تنتابه كارثة، أو ينحرف سلوكه. سلوكه، فالجماعة المسلمة أسرة كبيرة متكافلة في شئون الحياة كلها، والصورة الحقة لها في المثل الرائع الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4].

---

١ - رواه ابو داود والترمذي والنسائي
٢ - رواه البخاري
٣ - الآية (٧١) من سورة التوبة
٤ - متفق عليه

Marfat.com

هـ ـ الحـــق والواجـــب

يأتي الحق بمعان كثيرة، ونعني به في بحثنا هذا ما يكون لازما في الذمة. كما يطلق الواجب على معان كثيرة كذلك، نعني به هنا ما يلزم الانسان القيام به، إبراء لذمته، وأداء لما في عهدته.

وحياة المسلـم قائمة على الشعور بالمسئولية، التي تقتضي أداء واجباتها، وما من حق الا ويقابله واجب إزاءه، وتتكافأ الحقوق والواجبات في الإسلام.

وفي مقدمة هذه الحقوق حق الله على عباده، في وجوب توحيده، والاخلاص له، وعبادته وحده، والبراءة من الشرك بضروبه، والانقياد لشريعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، واتباع رسوله. وسائر ما فيه تحقيق معنى العبودية لله.

وقد اخذ الله على عباده ـ فضلا منه وكرما ـ ان فعل عباده ذلك، أن يحسن جزاءهـم، ويقيهـم عذابه.

ولكل مسلـم حقه نحو أخيه، وواجبه تجاهه، وعلى رأسها جميعا حقوق الحرمات الكبرى، في النفس والمال والعرض، حيث أكد رسول الله صلى الله عليه وسلـم حرمتها بحرمة الزمان والمكان يوم النحر فقال: «**إن دماءكـم وأموالكـم واعراضكـم عليكـم حرام، كحرمة يومكـم هذا، في بلدكم هذا، في شهركـم هذا**»[1].

ومن حقوق المسلـم على المسلـم: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، واجابة الدعوة. وتشميت العاطس، ونصرة المظلوم[2].

وللمرأة البالغة حقها في اختيار زوجها، بكرا كانت أو ثيبا «**الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها، وإذنها صماتها**»[3].

---

١ ـ متفق عليه

٢ ـ راجع ص ١٢٨ وما بعدها من هذا الكتاب «حق المسلـم»

٣ ـ رواه الجماعة الا البخاري

Marfat.com

ولها حق المهر تحوزه وتتصرف فيه، وحق النفقة بالمعروف، مطعما ومشربا وملبسا ومسكنا، وحق العشرة الحسنة، حبا ومودة، وتعاطفا وتراحما.

ومن حقها أن تطلب التفريق بينها وبين زوجها في حالات خاصة. كالعيوب الخِلْقيّة المانعة من آداء الوظيفة الزوجية في حفظ النوع البشري بالتناسل، والعيوب المستعصية التي تؤدي الى النفرة الشديدة وتستوجب البعد عنها لأنها تتعدى الزوج الى الزوجة والنسل، وكالاعسار بالنفقة والعجز عن القيام بمؤنتها.

وللرجل حقه على امرأته، فهو القوّام عليها، بما خصه الله من ميزات فطرية تؤهله للقيادة قدرة وارادة وحزما، وبما أوجب الله عليه من تبعات النفقة والتزاماتها.

ومن واجب المرأة أن تسمع له وتطيع[1]، وان تقوم على تدبير شئون البيت، وتحافظ على ما فيه، وتتولى تربية الطفولة، أداء لحقوقه الزوجية، وواجب الأمومة، ومراعاة لخصائص الأنوثة، فإن البيت مملكة المرأة.

وللأقارب حقهم من النفقة والبر والإحسان والصلة والعون[2]..

وللرحم حقها في التواد والتناصح والتزاور والمعونة، وايصال ما امكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر، ومن وصل رحما وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

وللجار حقوقه، وتتاكد هذه الحقوق إذا كان جارا مسلما له رحم، فمن حقوقه إيصال ضروب الإحسان إليه، كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، وكف أسباب الأذى عنه، وترك الإضرار به، وإرادة الخير له، وموعظته بالحسنى «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيوّرثه**»[3].

ولليتيم حقه في صيانه ماله، وتنمية ثروته، وحسن رعايته، ودفع الشر عنه، والقيام على تعليمه وتوجيهه وتربيته، والعناية بأموره، والعطف عليه بما يعوضه عن

---

١ - حيثما ذكرنا الطاعة فالمراد بها الطاعة في المعروف

٢ - راجع حق الوالدين والأقارب ص ١٢٣ من هذا الكتاب

٣ - متفق عليه

Marfat.com

عطف والده «**أنا وكافل اليتيم من الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما**»[1].

وللطريق حقها إذا لم يكن بد من الجلوس فيها، وذلك بغض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحسن الكلام، وهداية الضال، وإغاثة الملهوف، ولو كان الجلوس على باب متجر او مصنع، أو في شرفة منزل، حيث يرى الجالس السابلة، ويرى سكان المساكن التي تقع تجاهه.

ومن واجب المسلم النصيحة لأئمة المسلمين، لإعانتهم على الحق، وتقويم امرهم، وتذكيرهم بحوائج الناس، وإرشادهم إلى ما قد يغفلون عنه.

ومن واجبه النصيحة لعامة المسلمين بإرشادهم إلى مصالحهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وحفظ حرماتهم.

وكل إنسان وُكِّلَ إليه أمر يرعاه، فهو مسئول عنه، إن أحسن في القيام به، وأدى الواجب عليه، وأخلص النية فيه، كان له الأجر، وعاد ذلك على أمته بالخير.

فالإمام ـ من ملك أو حاكم ـ له حقوقه الواجبة على رعيته، في طاعته، ومساندته، وشد ازره، والنصح له.

وعليه واجباته، في إقامة العدل بين أبناء أمته، والاستماع لنصائحهم، والذود عن كرامتهم، والحرص على مصالحهم، واحترام حرياتهم، وتيسير سبل المعيشة لهم، وتحقيق الأمن في بلادهم، والقيام بواجب الدعوة، والدفاع عن حماها.

ولرب الأسرة حقوقه في الاحترام والتقدير، والبر، والطاعة.

وعليه واجباته، في الكسب والنفقة. والتربية والتهذيب والتعليم وكرم الرعاية، وحسن الولاية، والعشرة بالمعروف.

وللخادم حقوقه في الأجر المجزىء العادل، والنفقة المشروعة، والتأديب الحسن، وعليه واجباته في حفظ ما عهد اليه به من مال والعمل على تنميته، ورعاية مصالح مخدومه.

---

١ ـ رواه البخاري

Marfat.com

وللمعلـم حقوقه، في تقدير منزلته، وحفظ كرامته، والإنصات لدرسه، والاستماع لنصائحه، وأداء الواجبات التي يكلف بها طلابه.

وعليه واجباته في الاعداد لدرسه والحفاظ على وقته، والأمانة في علمه، والإخلاص في عمله، والتوجيه السديد لطلابه، والحرص على إفادتهـم، والرد على أسئلتهـم في غير تعنت.

وللطالب حقوقه، وعليه واجباته بالمثل.

ومدير المدرسة، أو مدير التعليـم، أو عميد الكلية، أو مدير الجامعة، أو رئيس المصلحة.. أو الوزير، أو الأمير، أو الصانع، أو التاجر، هؤلاء جميعا ونظائرهـم لهـم حقوقهـم، وعليهـم واجباتهـم، فكل فرد في الأمة مسئول عما وُكِّلَ إليه القيام به من أعمال ومصالح وأموال، وفي رعاية القيام بالواجبات والحقوق يقول صلى الله عليه وسلـم: «**كلكـم راع وكلكـم مسئول عن رعيته. الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكـم راع وكلكم ومسئول عن رعيته**»[1].

---

١ - رواه البخاري ومسلـم والترمذي

Marfat.com

و ـ الانقياد والطاعة في المعروف

لا يستقيم أمر جماعة من الجماعات حتى يتولى شئونها من يقيم العدل بين أفرادها، ويرعى أحوالهم، ويقوّم معوجهم، ويسهر على مصالحهم، وهؤلاء الذين يعهد اليهم بالشئون العامة هم أولو الأمر الذين يتولون أمور المسلمين، من ملك ووزير، ورئيس واميز، وقاض ومدير، وسائر من يعهد اليه بولاية من الولايات.

وقد أوجب الاسلام الانقياد الى اولي الأمر، وطاعتهم في المعروف، حفاظا على وحدة الجماعة، ووفاء بالبيعة، واستقامة لأمر الامة، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]

ودلت الآية على وجوب طاعة كل من الله ورسوله استقلالا طاعة مطلقة، حيث ذكر الأمر بالطاعة مع كل منهما، فان النبي صلى الله عليه وسلم معصوم في التشريع بإجماع الأمة، ولم يكرر الأمر بالطاعة مع أولي الأمر، فدل هذا على أن طاعتهم ليست مطلقة، اذ لا عصمة لهم، وانما تجب طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية.

وما أكثر ما يتولاه أولو الأمر من مصالح، وما يصدرون من أوامر، في مرافق الحياة المختلفة! في شئون التعليم، والامن، والصحة، والتجارة، والزراعة، والجهاد، وغير ذلك من شئون الأمة العامة، فهذه الشئون المتعددة يجب طاعة اولي الأمر فيها، والانقياد لما يأمرون به، سواء وافقت أوامرهم رغباتنا أم لم توافقها، شق ذلك علينا أم سهل! ما دام يحقق مصلحة عامة من مصالح الأمة في دائرة ما يباح شرعا.

يضع ولي الأمر نظاما للسير والمرور في الطرقات كالاتجاه الى اليمين، والوقوف عند تقاطع الطرق، ومراعاة اشارات خاصة للسير والوقوف، فيجب علينا الانقياد لهذا لانه يحقق مصلحة عامة من مقاصد الشريعة، هي الحفاظ على أرواح الناس،

---

١ ـ الآية (٥٩) من سورة النساء

Marfat.com

وسلامة أبدانهم.

ويضع ولي الأمر نظاما للتعليم في مراحله ومناهجه، ومقاييس التعرف على المستوى العلمي لتقدير النجاح والرسوب، والانظمة المتعلقة بذلك، فهذا يجب اتباعه والانقياد له،، لانه من الأمور المباحة التي تحقق مصلحة للجماعة.

فاذا أمرنا أولو الأمر بمعصية فانه لا يجوز طاعتهم فيها، اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[1]

وحفاظا على جمع الكلمة، وصيانة لحرمات الأمة، فان الاسلام يأمر بالصبر على جورهم، وتحمل أذاهم، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد، فيحرم الخروج عليهم ما لم يأتوا كفرا بواحا، ليس لهم عليه من الله سلطان، لما في الخروج عليهم من الفساد اضعاف ما يترتب على جورهم وظلمهم، ومن قواعد الشريعة الاسلامية. أنه إذا تعارضت مفسدتان ارتُكب اخفهما اتقاء لاشدهما.

عن عبادة بن الصامت قال: «**بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا**، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: **الا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان**»[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة الجاهلية**»[3]

---

١ ـ اخرجه البخاري ومسلم

٢ ـ اخرجه البخاري ومسلم

٣ ـ رواه مسلم

Marfat.com

فلا يجوز الخروج على أولى الأمر حتى يخرجوا عن دين الله خروجا لا تأويل فيه. كما لا تجوز مخالفتهم الا فيما فيه معصية لله ورسوله. «**اسمعوا واطيعوا وان أُمِّر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»[1]

والاسلام بهذا النهج السديد يحرص على وحدة الأمة، وسلامة الجماعة، ما دامت قائمة على الحق. ومع السمع والطاعة لأولي الامر فان طاعتهم في المعروف، فاذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

١ ـ رواه البخاري

Marfat.com

ز ـ المبادئ الانسانية التي كفلها الاسلام بصورة فاضلة

قاست الانسانية في عصور التاريخ المتعاقبة ألوانا من العسف، اهدرت فيها كرامة الانسان عصرا بعد عصر، وشهد الناس المدنية الغربية الحديثة وما ارتكبته باسم الحضارة، من استعباد الشعوب واذلال الأمم في صور مختلفة تحت شعار الحماية والوصاية، تارة بالاحتلال العسكري، وأخرى بالنفوذ الاقتصادي، واصطلى العالم بلظى الأحداث الجسيمة التي ارتكبتها الدول الكبرى في التميز العنصري، وامتصاص خيرات الشعوب الكادحة الضعيفة، وحين أرادت هذه الدول الكبرى التي تأخذ بناصية السياسة العالمية ان تمن على الشعوب، أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة الاعلان العالمي لحقوق الانسان بقرارها ذي الرقم (٢١٧) والتاريخ (١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨م) وذلك في دورة انعقادها العادية الثالثة، وقد تضمن هذا الاعلان العالمي مبادىء انسانية للحفاظ على كرامة الانسان وحقه المشروع في الحياة، ولكن هذه المبادىء ظلت حبرا على ورق، ولا تزال الدول التي وقعت عليه تمارس في بلادها وفي البلاد الخاضعة لنفوذها التميز العنصري، والاجحاف بأدنى مستوى يليق بكرامة الانسان.

والإسلام الذي انبثق فجره منذ اربعة عشر قرنا قد كفل المبادئ الانسانية في صورة يعزّ لها نظير في الحرية، والعدالة، والمساواة، والأخوة.

١ ـ الحرية:ـ

كفل الاسلام لبني الانسان الحرية الحقة، وهي الحرية المتزنة التي لا تخل بالاداب العامة، ولا تتحول الى فوضى واباحية، ولا تعتدي على حرية الاخرين، فللشخص أن يتصرف في شئون نفسه آمنا من الاعتداء عليه، وهو في هذا يتمتع بحريات عدة.

أ ـ حرية التملك:ـ للانسان أن يتملك بالوسائل المشروعة حسب جهده، وله حرية

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

التصرف في ماله بالوجه الشرعي، وآن يطرق أبواب الكسب ويلج وسائل الاستثمار قدر استطاعته، وليس لأحد أن يعتدي على مال غيره.

وطرائق التملك في الاسلام مشروطة بشروطها التي تحقق العدالة بين الناس فيما يكون من مفاوضات، فللإنسان إرادة في تصرفاته، وعليه أن يرعى حقوق الاخرين فلا يضر بهم، وان أخل بشيء من ذلك كان مسئولا عن فعله ملزما بالتعويض، وقاعدة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾[1] وقوله صلى الله عليه وسلم:«لا ضرر ولا ضرار»[2] وصيانة لحرمة التملك المشروع شرع الاسلام حد السرقة، وحرم الغصْبَ والنهْبَ.

ب ـ حرية الرأي: ـ الراي: ـ وكفل الاسلام حرية الرأي، فللمسلم أن يبدي رأيه في شئون الامة الدنيوية في مجال تخصصه، وله أن يجتهد اذا بلغ درجة الاجتهاد في الامور الدينية، بشروط الاجتهاد التي حققها العلماء، عند عدم النص في حدود اصول الدين وقواعده الكلية، والقياس الصحيح من مصادر التشريع. وهو مأجور أصاب أو أخطأ «اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر واحد»[3] وما ورد من ذم الرأي فالمراد به الرأي الذي ينساق فيه صاحبه عن هوى وجهل، دون الرأي المستند الى أصول عامة في الكتاب والسنة.

ج ـ حرية المأوى: ـ وكفل الاسلام حرية المأوى، فللبيوت المسكونة حرمتها، حماية لذويها وصيانة لعوراتهم، وما يحب المرء أن يتحفظ به من الناس، فلا يجوز دخولها الا باذن ورضا من أصحابها. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[4]

ومن حق صاحب البيت، أن يرفض مقابلة أي انسان أو يعتذر اليه أن كان لديه ما يشغله عن مقابلته، فلا ينبغي أن يلح الانسان في الاستئذان «اذا استاذن

---

١ ـ الآية (١٨٨) من سوره البقرة

٢ ـ رواه احمد وابن ماجه

٣ ـ رواه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه

٤ ـ الآية (٢٧) من سورة النور

Marfat.com

أحدكم ثلاثا فلـم يؤذن له فليرجع»[1]

الفردية :ـ وكفل الاسلام الحرية الفردية، فلا يصح لاحد أن يعتدي على آخر في ذاته أي اعتداء من شتـم أو ضرب، أو اتلاف عضو أو قتل... وقد نص الشارع على عقوبات بعض ذلك، وترك بعضها الآخر لولي الأمر تعـزيـزاً ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[2]

٢ ـ العدالة :ـ

كفل الاسلام العدالة التي تحقق للانسان حياة آمنة يتمتع في ظلها بالطمأنينة والسعادة، حيث يرس الاسلام دعائـم العدل في ارقى صورة يطمئن الناس فيها على حقوقهـم، ويأمر الله تعالى به في مطلع المبادىء التي ترتكز عليها دعائم الحياة الكريمة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[3]

أ ـ عدالة الانسان مع نفسه :ـ

تنبع جداول العدل في الاسلام من العدل الالهي، وبداية ذلك في عقيدة التوحيد التي يقوم مضمونها على العدل. فالله الخالق الرزاق ذو القوة المتين الذي اسبغ نعمه على عباده ظاهرا وباطنا هو الذي يستحق ان يدين الناس له وحده بالخضوع والطاعة. فهو المعبود بحق دون سواه، ومن الظلـم الفاحش ان يمنح العبد شيئا من الولاء الا لمولاه الذي خلقه فسواه، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا، وأحاطه بالآلأء التي لا تحصى، وغمره بالفضل والاحسان، ثـم يكون ولاؤه للناس في الله بعد ذلك. ولذا كان الشرك أعظـم الظلـم، قال تعالى ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

ومن عدالة الانسان مع نفسه أن يستقيـم على شرع الله، وان يكون سلوكه في الحياة منسقا مع عقيدة العدل التي يدين بها، يرعى حدود الله في السر والعلن. فاذا

---

١ ـ رواه البخاري ومسلـم وابو داود

٢ ـ الآية (١٩٤) من سورة البقرة

٣ ـ الآية (٩٠) من سورة النحل

٤ ـ الآية (١٣) من سوره لقمان

Marfat.com

تجاوز ذلك كان ظالما لنفسه ﴿وتلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾

ب ـ **العدل في بناء الاسرة**: ـ الاسرة لبنة المجتمع، وفي كنفها يتربى أبناء الامة في أطوار حياتهم الاولى التي تعتمد على المحاكاة والتقليد. واذا كان الغرس في أي تربة ارضية يستمد غذاءه وعناصر حياته ومقومات خصائصه من التربة التي غُرس فيها، فان نابتة الامة تستقي كثيرا من خصائصها النفسية والعقلية والأخلاقية من معين الاسرة بين أحضان الوالدين، ولذا راعى الاسلام أن تكون تربة النشء في التناسل البشري تربة خصبة، تنمو فيها خصائص الانسانية الفاضلة وتزهر، لتؤتي ثمارها الطيبة في كيان المجتمع المسلم. وأخص ما تتميز به هذه التربة في بناء الاسرة انها تقوم على العدل في الحياة الزوجية، فقد اباح الله الزواج بواحدة إلى اربع، ولكن الزواج بأكثر من واحدة جاء مشروطا بالعدل بين الزوجات، بل ان الخوف من الظلم يكون مانعا من إباحة التعدد، موجبا للاقتصار على واحدة دفعا لمفسدة الجور. حتى يتربى الاطفال في بيئة يتحقق فيها العدل ليكونوا دعامة له في بناء امتهم. ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝٣﴾[2]

والحقوق والواجبات بين الزوجين، وبينهما وبين الذرية تقوم على العدل، في مراعاة الخصائص النفسية، والقدرات الشخصية، والواجبات الفردية، وتبعات النفقة، واداء الجميل لمستحقه.

جـ ـ **العدل في القضاء والحكم**: ـ وأمر الاسلام بالعدل في القضاء والحكم. فالمفاوضات المالية توثق عقودها بالكتابة والاشهاد، حفظا للحقوق وحماية لها من الجحود، حتى اذا تجاحد الناس كانت الوثيقة حجة فاصلة تقطع دابر الخصومة،

---

١ ـ الآية (١) من سوره الطلاق

٢ ـ الآية (٣) من سورة النساء

Marfat.com

والاسلام يفرض ان تكون كتابة الوثائق بالعدل، ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾[1] كما يوجب عدالة الشهود في العقود كلها ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[2]

واذا كانت بعض النفوس تميل الى الظلـم الذي يحملها على الملاحاة واللجاج في الخصومة، فان الأمر ينتهي الى القضاء للفصل بالحق، والاسلام يوجب أن يكون الحكـم بين المتنازعين قائما على تحقيق العدل بينهمـا، يتوخى فيه الحاكـم احقاق الحق، لان ذلك من أمانات الله في الارض ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[3].

د ـ سمو عدالة الاسلام المطلقة ومع أهل الاديان الاخرى : ـ والعدل الذي امرت الامة الاسلامية بالقيام به في شئون الحياة كلها عدل يصل بالانسانية الى المستوى الرفيع الذي تستعلي به على الاعتبارات كلها سموا وعظمة. انه عدل مطلق، يستأصل النزعات النفسية التي تباعد عنه، ويقف في وجه كل القوى التي يحتمل ان تؤثر عليه، يقف في وجه النفس ذاتها، وفي وجه عواطفها تجاه الوالدين والأقربين، وفي وجه المشاعر الفطرية في الشهادة للاغنياء رغبة في نفعهم ومجاملة لهـم، أو خوفا منهـم ورهبة من سلطانهـم او الشهادة للفقراء شفقة بهـم، وفي وجه المقتضيات الاجتماعية في الشهادة على الاغنياء نقمة عليهـم، أو على الفقراء احتقارا لشأنهـم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾[4].

ويصل الاسلام الى القمة في ضبط النفس حين يفرض على امته القوامة على البشرية ان لا يحملها الشنآن على أن تميل عن العدل، لانها تجرد نفسها لله، وتستشعر تقواه، وليس هناك من نظام بشري، أو حكم قضائي، يكفل العدل المطلق للاعداء المبغوضين كما يكفله الاسلام، لانه دين الله الى البشرية كافة، وفي ظله

---

١ ـ الآية (٢٨٢) من سورة البقرة
٢ ـ الآية (٢) من سورة الطلاق
٣ ـ الآية (٥٨) من سورة النساء
٤ ـ الآية (١٣٥) من سورة النساء

Marfat.com

يتمتع الناس جميعا بالعدل ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1] ويقول صلى الله عليه وسلم: «من آذى ذمياً فانا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[2] ويقول: «الا من ظلم معاهدا، أو تنقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا خصمه يوم القيامة».

وقد حفظ التاريخ الاسلامي امثلة من عدل حكامنا مع أهل الذمة كانت سبيلا للهداية، وباعثا على الدخول في الاسلام، وبمثل هذا كان العدل الاسلامي بمنهجه العملي مثلا حيا لما تنشده الانسانية من سعادة ورقي وتقدم، فأين هذا مما عليه العالم المتحضر اليوم من تعسف وجبروت؟

٣ ـ المساواة:

ان نظرة الاسلام في بناء مجتمعه بعيدة المدى، تتسع آفاقها أقطار الأرض، وتضم تحت لوائها أجناس البشرية، فان البشر جميعا وان اختلفوا وطنا ولغة ينحدرون من سلالة واحدة، تتصل هذه السلالة بنفس واحدة، خلق الله منها زوجها، ثم بث منهما أبناء البشرية الذين يعمرون الارض اليوم في مختلف أرجائها، وقد انتشرت ذرية هذين الزوجين وتكاثر عددها، وأصبحت قبائل وشعوبا وامما منبثة على ظهر المعمورة. وأدى هذا الانتشار لعوامل طبيعية واجتماعية الى فوارق فطرية في اللون واللغة ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[3] وتلك حقيقة يعترف بها الاسلام ليرفض بشدة ان تكون هذه الفوارق أساسا لتقسيم الناس، تثير النزعات القومية أو الوطنية، أو عصبيات السلالة واللون واللغة «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على

---

١ ـ الآية (٨) المائدة ـ ولا يجر منكم شنآن قوم: أي لا يحملنكم بغضهم

٢ ـ خرجه الخطيب وقال السيوطي: إنه حديث حسن

٣ ـ الآية (١) من سورة النساء

Marfat.com

عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[1] وكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار، فقال الانصاري يا للانصار. وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوها فانها منتنة»[2].

فاي فرق بين انسان وآخر ينشأ من اختلاف النسب والبيئة ويدعو الى التعاظم والتفاخر فهو في نظر الاسلام من آثار الجاهلية وضلالاتها. لان صوت الوحي يدوي في أذن الدنيا ان افراد البشر جميعا في اي صقع من اصقاع الارض امة واحدة، يرتبط كل فرد منهم مع الآخر برباط النسب الوثيق الممتد في تاريخه الى نواة البشرية الاولى من ذكر وانثى.

حقيقة التفاوت: ويقر الاسلام واقع التفاوت بين الناس في مواهبهم وقدراتهم، وما يترتب على ذلك من تفاوتهم جهادا وبذلا وعلما وخلقا، وقدرة على أسباب المعيشة ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[3]

ولكن الاسلام لا يرجع هذا التفاوت الى عصبية في الجنس، أو شرف في الاسرة، أو وراثة للسيادة، إذ لا فرق في ذلك بين انسان وانسان أو قبيلة وقبيلة.

فالتفاوت موجود لتفاوت الناس في المزايا ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] والحياة مفتقرة الى هذا التفاوت لتظل متجددة تستزيد بالملكات المتعددة. ولكن التفاوت الذي اقره الاسلام لا يسمح بوجود نظام طبقي من سادة وعبيد، وأشراف وخدم، وهو يرد على هؤلاء الهدامين الذين يسمون انفسهم بالماركسيين حين يتصورون في خيالهم مجتمعا يزعمون ان الناس فيه لا يتفاوتون في الحظوظ والارزاق، فيصطدمون مع الفطرة والواقع، وقد انكشفت لعبتهم لدى كل ناقد بصير، فيما أصاب مذهبهم من تغيير وتبديل. وظهر هذا التفاوت جليا، رغم ما يدعون من عدل اجتماعي في مجتمع متكامل.

---

١ - رواه ابو داود

٢ - من حديث مخرج في الصحيحين

٣ - الآية (٣٢) من سورة الزخرف

٤ - الآية (٩) من سورة الزمر

Marfat.com

فمن الجور ان نفرض ان الناس جميعا سواء فنقضي على القادرين المستعدين للصعود، أو نسوي بهم العاجزين الحاقدين، وليس مقبولا لدى العقول السليمة ان نسوي بين الطالب الذكي والطالب الغبي، وبين الطالب المجد والطالب المهمل.

والعدل الحق فيما جاء بشريعة القرآن. في أن يكون لكل واحد من الحقوق بقدر ما عليه من واجبات. وفيما عدا ذلك فإنهم جميعاً سواء، فالتفاوت إنما يكون بالفضل وفعل المعروف وتقوى الله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]

هذا هو تصور الاسلام للانسانية، فالناس جميعاً لا يختلفون في النسب واللون والوطن واللغة، لأن أصلهم واحد، ولا فضل في ذلك لأحد على آخر، وتلك عوارض طارئة، وإنما يأتي الاختلاف بحسب أفكارهم وأخلاقهم وعقائدهم ومثلهم العليا في الحياة.

٤ ـ الأخوة:

ألفت الاوضاع البشرية في تكوين الدولة اعتبار الجنس والعنصر واللغة والوطن. والاسلام ـ وهو دين الله الى البشرية كافة ـ يسمو عن جميع هذه الاعتبارات الشخصية المحدودة الضيقة لأنها تنافي عالميته، ويوحد بين الذين يؤمنون بعقيدته أيا كانوا جنسا أو عنصرا أو لغة أو وطنا، فكل من آمن بعقيدة الاسلام والتزم القيام بحقوقها ورضي بها منهجا عمليا لحياته، فقد اصبح عضوا من أعضاء مجتمعها، وفرداً من أفراده، يستوي في هذا ان يكون افريقيا أو اوروبيا، اسود اوأبيض، ساميا أو آريا، عجميا أو عربيا، فلا اعتبار لشيٍ من هذه الفوارق الوطنية او اللونية او النسلية أو القومية، ومثل هذا المجتمع الذين يدين بإله واحد يدخل في حوزته كل من يؤمن بكلمة التوحيد (لا اله الا الله) وبما جاء به الرسل من الهدى والحق، وبالرسول الذي جاء مصدقا للرسل جميعا وختم الله به رسالاتهم (محمد رسول الله) ويأخذ نفسه بشريعة الاسلام وهديه.

---

١ ـ الآية (١٣) من سورة الحجرات

Marfat.com

ومثل هذا المجتمع يتجاوز حدود الأرض وتخومها، وحواجز الجنس واللون ليعلن إخاء البشرية كافة تحت ظلال مبدئه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] «المسلم أخو المسلم»[2]

وقد غلبت الاخوة الدينية في الاسلام كل صلة سواها، حتى صلة النسب، فتبرأ المسلم من قبيلته وخرج على عشيرته؛ وخاصم الولد أباه، وقاتل الأخ أخاه، لاختلاف الدين ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[3].

وكانت أخوّة الايمان مستوجبة للحب والتناصر والولاء «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4] وعصمت بها الدماء والأموال والاعراض «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»[5].

والاخاء في العقيدة هو اللبنة الأولى التي أقام عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المجتمع الاسلامي الاول بعد الهجرة في المدينة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار، وبلغ هذا الإخاء ذروته بالايثار فآثر الأنصار المهاجرين على انفسهم في كل ما يحتاجون اليه ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[6]

واعتبر الاسلام الأخوة الدينية اساسا من اسس دولة الاسلام، وقاعدة في بناء امته، وامْتَنّ الله بها على نبيّه وعلى المؤمنين ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[7] ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[8]

ويجني المجتمع المسلم في ظلال الاخوة الاسلامية الثمار الطيبة.

---

١ ـ الآية (١٠) الحجرات
٢ ـ من حديث رواه البخاري ومسلم
٣ ـ الآية (٢٢) من سورة المجادلة
٤ ـ متفق عليه
٥ ـ متفق عليه
٦ ـ الآية (٩) من سورة الحشر
٧ ـ الآية (١٠٣) من سورة آل عمران
٨ ـ الآيتان (٦٢، ٦٣) من سورة الانفال

Marfat.com

ان هذه الاخوة تستوجب ان يرعى المسلـم أخاه، يمد اليه يد المساعدة ويشد عضده، ويخفف عنه وَطْءَ النكبات والأحداث، ويشاركه في نعمة السراء، وشدة البأساء، حتى يكون المجتمع الاسلامي مجتمعا متكافلاً رحيما.

وتستوجب هذه الأخوة التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر واداء لواجب النصيحة ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[1]

وتستوجب رعاية الضعفاء واليتامى والصغار، فعلى ولي اليتيـم تنمية ثروته، والحفاظ على أمواله، ومراعاة أحواله، والعناية به في كل شأن من الشئون فيه صلاح له، من تعليـم وتربية وتوجيه. حتى يعده للحياة الملائمة لمستوى امثاله في عصره.

وتستوجب الاخوة في العقيدة الاسلامية تعظيـم حرمات الدماء والاموال والأعراض، حتى تستمتع الامة بنعمة الأمن، فيأمن كل أخاه، ولا يخشى أذاه، ولا يخاف بطشه.

تلك هي المبادئ الانسانية التي كفلها الاسلام بصورة فاضلة في الحرية والعدالة، والمساواة، والأخوة.

---

١ ـ الآية (٧١) من سورة التوبة

Marfat.com

حـ ـ قوة الإرادة وضبط النفس

للقوة مفهوم جذاب، يهز النفس إلى أمنية غالية، ينشد الناس العز تحت ظلالها، والكرامة في كنفها، ولجرس حروفها وقع يحرك أوتار القلب إلى الكفاح المرير في الحياة المثقلة بالأعباء المليئة بالصعاب والعقبات.

وهي عدة الحياة امام عواصفها الهوج، وامواجها المتلاطمة، وصخبها الداوي.

ولكن بعض المفاهيم حين يطلق العنان[1] لها، تتحول طاقتها إلى لهيب يلتهم الاخضر واليابس، فتصير معولا للخراب والدمار،يفتك بكيان المجتمع، ويمزق اوصاله، ويميت فيه العواطف النبيلة، والمشاعر الحية، ويرجع به الى قانون الغاب.

والقوة المادية من هذا الضرب الذي يكمن فيه طاقة تقبل الانطلاق الى الخير والشر على السواء.

والاسلام يضع لكل طاقة جامحة حكمتها[2]، التي تلجمها عن النزوات، وتوجهها إلى سواء السبيل، فالقامة المعتدلة، والسواعد المفتولة، والشباب اليافع[3]، والجرأة النادرة، من عناصر القوة البدنية الشخصية، ولكنها في مفاهيم الاسلام الذي يرقى بمستوى الانسان الى ذروة الفضائل الخلقية، ليست المطلب الأسمى، وانما يعلوها طاقة اخرى من القوة النفسية، التي تسيطر عليها، وتمسك زمامها، وتقف سدا منيعا امام جموحها[4]، تلك هي طاقة الارادة في القدرة على ضبط النفس، التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»[5].

فالغضب غريزة في الإنسان كامنة، يثيرها اعتداء على حق، أو انتهاك لحرمة، فإذا ثارت ثائرته في المرء، غلى الدم، واحمر الوجه والعينان، وانتفخت الأوداج،

---

١ ـ العنان: كلجام وزنا ومعنى

٢ ـ الحَكَمَة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه

٣ ـ اليافع: الذي ترعرع وناهز البلوغ

٤ ـ الجموح: ركوب الهوى

٥ ـ متفق عليه: والصرعة: المبالغ في الصرع الذي لا يغلب، صيغة مبالغة من الصرع، وهو الطرح على الأرض

Marfat.com

واندفع الى الانتقام ممن أثار حفيظته[1].

ومجاهدة النفس في هذه الحال، وقهرها بالحلم والثبات، ومنعها من الاسترسال مع تيار الغضب، وضبطها عن مواجهة الإساءة بالشتم والسب والضرب والقتل، ذلك هو الفضيلة التي تقمع الشر بالحكمة والثبات، وتحمي الإنسان من النزف والطيش، وتجعله الثبت[2] الرزين، والظافر الرصين، والشجاع الباسل، وهذا أسس الحكمة، وشارة العظمة، وسبيل الإجلال والإكبار.

والإرادة قوة نفسية عالية، لها سلطتها في توجيه طاقة الإنسان، وتربيتها أهم عنصر في تكوين شخصيته، وبناء مقوماتها، فإذا ضعفت الإرادة صار الإنسان دمية تعبث بها الأيدي، ووقع فريسة للهواجس والاوهام، ونهبا للتردد بين الإقدام والإحجام. هذا دون غلو وافراط، وإلا كانت تهورا يذهب بالوقار، ويخل توازن الفرد ويقضي على رزانته، ويمسخ إنسانيته.

وليس من العسير على الإنسان ان يروض نفسه على قوة الإرادة النفسية، في ضبط الميول الشاذة، والعواطف الجامحة، والزامها حد الاعتدال، وإن كان ذلك يحتاج الى تربية طويلة المدى، ومجاهدة نفسية شاقة.

وكثيرا ما نرى او نسمع عن أناس يستثيرهم التافه، مما يخدشهم في جانب من الجوانب، فيأخذهم الشطط، وتتورم انوفهم، وتقذف ثورة غضبهم بحماها[3]، في البطش والانتقام، ويبتسمون بعد ابتسامة النصر، وما علموا أن هذا من القيم الانسانية إنهزام نفسيّ، وانهيار عصبي، ومظهر عجز فاضح للإرادة النفسية التي لها في كيان الإنسان المحل الأول.

اما ضبط النفس، فهو امارة الحزم، وعنوان الصحة النفسية، ودليل قوة الإرادة التي لا تدانيها قوة، وهكذا يسمو الاسلام بمفاهيمه في تربية الارادة، «**إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**».

---

١ ـ الحفيظه: الحمئه في الشيء الذي ينبغي أن يحفظ، وتطلق الحرز وما يحفظ فيه الشيء ٢ ـ الثبات
٣ ـ الحمه: الابره التي تضرب بها العقرب ونحوها، تجمع على حمات، وحمى

Marfat.com

طـ ـ الحرص على الوقت وحسن الاستفادة منه

عاش الانسان منذ ظهر إلى الوجود أجيالا متلاحقة، يتابع بعضها بعضا على عجلة الزمن، كل جيل منها يغذ السير على ظهر الأيام والليالي، حتى يستنفد طاقته، وينقضي اجله، والناس خلال ذلك يتساقطون صرعى وراء الآمال العذبة، والأماني الحلوة، ويمتد نظرهم في دنياهم الى عمر طويل، وتقصر هذه النظرة عن ان تلتفت الى الوراء خطوات لتبصر مصير الآباء والأجداد.

والإسلام ينظر الى الحياة نظرة معتدلة، لا تقيم السدود امام سيل الدنيا المنحدر في تدفق، كما لا تنسى أن تجمع بين منحدره ومصبه، فإذا كان مذهب الخير عند الآخرين يجعل الدنيا غاية لهم فما لم يحصل منها على اقصى ما يستطيع من بلهنية العيش ولذته فقد خسر كل شيء. فإن الإسلام يجعل الدنيا وسيلة لغاية اسمى وأجل ترفع شأن الإنسانية وتعطيها قسطا اوفر من المتعة التي لا تدانيها متعة.

إن الاسلام يستوجب الإيمان بحياة اخرى بعد الحياة الدنيا، ويجعل هذه مزرعة لتلك، وتلك للحصاد وحده، والزارع الذي يعتني بمزرعته، يتقن الحرث، ويتخير البذر، ويزرع ما يشتهي، ويتعهده بالتسميد والري، وكلما مشى في دروب مزرعته استمتع بنضرتها، واستنشق عبير ازاهيرها، وتناول ما يشاء من قطوفها، ولكنه لا يعتبر ذلك كله غاية ما يريد، بل تتحقق غايته الكاملة عند الحصاد، كذلك الإسلام يتطلب من المسلم ان يسخر قوى هذه الدنيا في عمارتها على بصيرة من أمر الله، فيستفيد بما فيها ظاهرا وباطنا استفادة لا تجعل منها جنته ونعيمه، وإنما تجعل منها زادا يتقوى به على عبادة الله في عفة وزهد، ويستعين به على اقامة الحق، وإعلاء كلمة الله، وإظهار نعمائه، وبهذا تصير الدنيا زادا له الى محط الرحال في الحياة الآخرة التي هي جنته الحقة، ودار نعيمه المقيم، كما يتزود عابر السبيل، او يعيش الغريب، وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبيّ ابن عمر فقال: «كن في الدنيا كأنك

Marfat.com

غريب، أو عابر سبيل[1]» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا امسيت فلا تنتظر الصباح، واذا اصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[2].

ولقد الف الناس ضياع الوقت في التسلية بالملاهي التي يقولون عنها: انها تقتل الوقت. وما علم هؤلاء البله أن الوقت يقتلهم. فاللحظة التي تمر من عمرهم تنقضي الى غير رجعة، والصحة التي تصبح بها وجوهم لن تظل ابد الدهر، وحياتهم لن تعمر على ظهر المعمورة، فمن الحذق في الامور ان يهتبل الانسان ايام صحته في حياته، ويعتبرها مغنما يكرس فيها جهده للانتاج في كل ناحية نافعة من نواحي الحياة، تعود عليه وعلى الاسلام بالخير دنيا واخرى.

فالاسلام يعطي للزمن قيمته، ويعطي للصحة والعمر قدرهما. فيحث أبناءه على الكدح، ويستنهض همتهم للسعي. والأمة الجادة لا تعرف اللهو، إنما تعرف الحياة التي تنبض بروح الجد، وتتدفق نماء وازدهارا، وتقدما ورقيا.

والمسلم يعطي الوقت قدره فيستفيد منه بالنافع المفيد، لأنه يعطي للحياة قدرها، فيجعل حظه مراوحا بين مطالب الحياة المختلفة، لحاجة بدنه، وتنمية عقله، وراحة نفسه، وحق أهله واخوانه.

واذا نظم الانسان وقته استطاع ان يجني ثمار ذلك في تحقيق اهدافه والوصول الى غايته، دون إجحاف بحق من الحقوق التي عليه.

وكثير من الرجال الذين سجلوا نجاحا باهرا في ميادين الحياة العلمية، او المهنية، او التجارية، لا يتفاوتون في قدراتهم ومواهبهم عن غيرهم، ولكنهم استطاعوا ان ينظموا حياتهم، وان يستفيدوا من وقتهم، فآتاهم الله من فضله جزاء سعيهم.

والطالب الذكي الموهوب الذي ينفق وقته في العبث، ويملأ فراغه باللعب، يخبو

---

١ ـ عابر السبيل: المسافر

٢ ـ رواه البخاري

Marfat.com

ذهنه، وتصدأ موهبته، وتغشاه سحابة من الخمول لا يبصر في ظلها موطىء قدميه، فيتعثر ويكبو جواده.

وقد يكون الطالب متوسط الذكاء، ولكنه يشحذ ذهنه بالمطالعة والتفكير، ويحسن الاستفادة من اوقات فراغه بالعمل الجاد والراحة النفسية التي تجدد نشاطه، وتضاعف همته، فيحرز قصب السبق على اقرانه.

وعظماء التاريخ من العباقرة النابهين، والمصلحين الافذاذ لـم يعل شأنهـم بالمواهب الفطرية وحدها. ولكنهـم احسنوا استثمار هذه المواهب، وافادوا منها في اوقات عمرهـم، فقاموا بجلائل الأعمال.

وقديما قالوا: إن الوقت من ذهب، والوقت اغلى من الذهب بكثير، إن الذهب اذا ضاع منك امكنك ان تعوضه، اما الوقت اذا ضاع فإنك لا تستطيع أن تعوضه ولو انفقت ملء الارض ذهبا، فالوقت هو الحياة.

Marfat.com

ي ـ الأمانة والصدق

لقد تضمن الاسلام شرائع عدة، في العقيدة والعبادة، وحياة الأسرة، وسلوك الفرد وسلوك الجماعة. وتهدف هذه الشرائع فيما تهدف اليه الى تربية النفس الانسانية تربية سوية. قوامها الخلق الفاضل الذي يجعل الانسان مثلا حيا للعبد الصالح المستقيم على امر ربه. وترجع امهات الاخلاق القرآنية الى خلقين اصيلين، يأخذ كل منهما بحجز الآخر: هما الأمانة والصدق.

والأخلاق في القرآن تختلف عن اي نمط اخلاقي متوارث في حياة الأمم، فلئن كانت الحاسة الاخلاقية انبعاثا فطريا فإنه يعرض لها من شواغل الحياة الدنيا والافتتان بالأهواء والشهوات ما ينحرف بها عن جادة الحق، ولذا كانت في حاجة الى ضابط إيجابي يقوّمها ويدعم نشاطها كي تنشد دائما المثل الأعلى، ذلك الضابط هو الدين. فلا مكان للأخلاق بدون عقيدة حتى يشعر الانسان انه يترجم في سلوكه الرسالة السماوية التي يؤمن بها، ويتضح لنا هذا من خلال دراستنا للأمانة والصدق في الاسلام.

أولا: نصوص من الكتاب والسُّنَّة:ـ

١ ـ في العام التاسع للهجرة[١]، امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عما هم عليه[٢]، وقلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في غزوة إلا وَرى بغيرها، الا ما كان من غزوة تَبُوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له[٣]، ليتأهب الناس لذلك، فأمرهم بالجهاد، وأخبرهم انه يريد الروم، وحَضَّ اهل الغنى على النفقة، فجاد من جاد، وكانَ على

---

١ ـ كان ذلك في شهر رجب سنة تسع ـ انظر ابن هشام ص ١٥٩ ج ٤

٢ ـ الشخوص هنا: الذهاب

٣ ـ يصمد: يقصد

Marfat.com

رأس المنفقين المحتسبين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه انفق نفقة عظيمة لم ينفق احد مثلها.

أخذ المنافقون يشيعون قالة السوء، ويقولون: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فتخلف من تخلف من أهل النفاق والريب، واعتذر من اعتذر ممن لم يعذرهم الله تعالى.

ثم إن رجالا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهم البكاءون ـ وطلبوا منه ما يحملهم عليه، حيث لا ظهر عندهم يركبونه، وكانوا اهل حاجة، فقال: لا اجد ما احملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حُزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون.

وكان ثلاثة رهط من المسلمين قد تخلفوا من غير شك ولا نفاق. هم: **كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية**. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة، جاءه المخلفون فاعتذروا اليه، فقبل عذرهم، ووكل سرائرهم الى الله. وجاءه كعب بن مالك، فلما سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم تبسم المغضب، وقال كعب: ثم قال لي: تعال[1]، فجئت امشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خَلّفك؟ الم تكن قد اشتريت ظهرك؟ فقلت: يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد اعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت: لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله ان يُسخطك علي، ولئن حدثتك بحديث صدق تجد عليّ فيه، وإني لأرجو فيه عقبي من الله. والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك، فقال صلى الله عليه وسلم: اما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك».

وفعل مثل ما فعل كعب، مرارة بن الربيع، وهلال بن امية، ونهى رسول الله

---

١ - العبارات التي ننقلها هنا من حديث كعب بن مالك في الثلاثة الذين خلفوا. بالصحيحية

«يوزع مجاناً ولا يباع»

Marfat.com

صلى الله عليه وسلـم الناس عن كلام هؤلاء الثلاثة، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة، لا يكلمهـم احد من الصحابة، حتى ضاقت عليهـم الأرض بما رحبت.

فماذا كان جزاء صدق هؤلاء الثلاثة، لقد نزل الوحي بتوبتهـم، واصبحت قصتهـم قرآنا يتلى، وسارع الصحابة يحملون بشرى هذه التوبة الى كعب بن مالك، فقدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلـم، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلـم قال: ـ وهو يبرق وجهه من السرور ـ ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك، قلت: أمن عندك يا رسول الله ام من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله» فقلت: يا رسول الله إنما انجاني الله بالصدق، وإن من توبتي الا احدث الا صدقا ما بقيت، فوا الله ما اعلـم احدا من المسلمين ابلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلـم احسن مما ابلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كلمة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلـم الى يومي هذا كذبا، واني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. وانزل الله ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[1].

٢ ـ وامانات الله في عنق كل مسلـم متعددة:

فمنها: امانة الفطرة القائمة على توحيد الله تعالى، وهي امانة العهد الأعظـم.

ومنها: امانة الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلـم وبالدين الذي جاء به، وهي امانة التكاليف الشرعية لقيام الحياة في الأمة الاسلامية على شرع الله في كل شأن من الشئون، عقيدة وعبادة وتشريعا وحكما وسلوكا.

---

١ ـ الآيات (١١٧ـ١١٩) من سورة التوبة

Marfat.com

ومنها: امانة العهود والمواثيق التي يأخذها المسلم على نفسه في علاقاته بإخوانه، وهي امانة التعامل في المجتمع المسلم الطاهر النظيف.

والوفاء بتلك الامانات هو واجب الايمان بالله وبرسوله، وما لم يف المسلم بها كان خائنا لله، وخائنا لرسوله صلى الله عليه وسلم، وخائنا للامانات التي اخذ على عاتقه الوفاء بها، واي معصية يرتكبها فإنها خيانة.

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة الى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشاروه في ذلك، فأشار عليهم بذلك ـ واشار بيده الى حلقه ـ اي انه الذبح ـ ثم فطن ابو لبابة، ورأى انه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت، او يتوب الله عليه، وانطلق الى مسجد المدينة، فربط نفسه في سارية منه، فمكث كذلك تسعة ايام حتى كاد يخر مغشيا عليه من الجهد، حتى انزل الله توبته على رسوله، فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وارادوا ان يحلوه من السارية، فحلف لا يحله منها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فحله، فقال: يا رسول الله إني كنت نذرت ان انخلع من مالي صدقة، فقال: «يجزيك الثلث ان تصدق به» وعن الزهري ان هذه الآية انزلت فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، والآية عامة، وإن صح انها نزلت في سبب خاص، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣ ـ يقيم الاسلام دعائمه في المجتمع الاسلامي على قواعد ثابتة، يرعاها المسلم في حياته، وقوام هذه الدعائم في رعاية الامانات والعهود.

رعاية العهد الاول عهد الفطرة المقطوع به على ذرية آدم وهم بعد في الاصلاب، ان الله ربهم الواحد، وانه إله واحد.

ورعاية الأمانة الكبرى التي عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان.

---

١ ـ الآية (٢٧) من سورة الانفال. وانظر تفسير ابن كثير في هذه الآية

Marfat.com

ومن رعاية هذه الأمانة وذلك العهد تنبثق رعاية سائر الامانات والعهود في معاملات الناس. وهي سمة الإيمان وخلق المؤمنين، حتى تكون الأمة الاسلامية امة الأمانة. وهذا هو الذي وصف الله به المؤمنين المفلحين ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾[1].

وفي السنة النبوية ما يدعم فضيلتي الأمانة والصدق:

١ ـ **فالصدق عماد الاخلاق**، والتزامه عقيدة وقولا وعملا من أخص أوصاف المؤمن، وهو منبت الفضائل، تنمو في ساحته اغصان الخير، وفروع الفضيلة، لأنه يهدي الى البر. والبر طريق الجنة. واذا تحراه المسلم واخذ نفسه به مرة بعد اخرى اتخذ مجرى في حنايا صدره يزداد تعمقا كلما تابع التمسك به، حتى يصير له شيمة وخلقا، وديدنا وطبعا.

أما الكذب فإنه اسس الرذائل، ومعول الهدم الذي يأتي على بنيان الحياة الاجتماعية من القواعد، إنه يهدي صاحبه الى الفجور، فيستهين بالقيم، ويهتك ستر الديانة، ويستبيح الخداع والغش والمراء، فإذا تحراه امرؤ تأصل الشر في نفسه، وقاده الى الجحيم.

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي الى البر، وإن البر يهدي الى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب. فإن الكذب يهدي الى الفجور، وان الفجور يهدي الى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[2].

٢ ـ والنفاق الذي قال الله في ذويه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3]، له سمات يتميز بها المنافقون: ـ

---

١ ـ الآية (٨) من سورة المؤمنون ـ والآية (٣٢) المعارج

٢ ـ رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي

٣ ـ الآية (١٤٥) من سورة النساء

Marfat.com

فمن سماته الكذب في الحديث: فإنه امارة على حقارة النفس، ومدعاة لاحتقار صاحبه، وعدم الثقة به في شأن من الشئون.

ومن سماته خلف الوعد: فهو باب من ابواب الكذب، يدل على نفاق القلب، ويضيع الثقة، ويحطم الفضيلة، ويقوض بناء المجتمع.

ومن سماته خيانة الأمانة: أمانة الله، وامانة الناس. فلا يثق انسان بآخر، ولا يأتمنه على مال او عرض او نفس، فتضطرب الحياة وتنهار قواعدها:

عن ابي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد اخلف، واذا ائتمن خان»[1].

٣ ـ **والصدق له آثاره الحميدة في تعامل الناس** بيعا وشراء واجارة، هذه الآثار التي تؤتي ثمارها في الدنيا بالنماء والبركة، وتؤتي ثمارها في الآخرة بالثواب والأجر، وعلى النقيض من ذلك يكون الكذب ممحقة للبركة ومناطا للعقاب.

عن حكيم بن حزام، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، **فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما**. وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[2].

ثانيا: نماذج للصدق والامانة

١ ـ وفي التاريخ الاسلامي نماذج للصدق العملي كان الاخلاص فيه مثالا يحتذى، حين يتجرد المسلم لله، ويخلص من شوائب الحياة، فيكون صادقا مع ربه، لا يلوي على مغنم يغنمه، او عرض ترنو اليه نفسه انما يطلب مرضاة الله، وأي صدق اعظم من أن يقدم المسلم نفسه التي بين جنبيه لخالقه، اعزازا لدين الله، واعلاء لكلمته.

عن شداد بن الهاد: إن رجلا من الاعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض

---

١ ـ رواه مسلم والترمذي والنسائي

٢ ـ رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي واحمد

Marfat.com

أصحابه. فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيا، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْم[1] قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه، فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا ـ وأشار الى حلقه ـ بسهم فأموت، فادخل الجنة، فقال: ان تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهو هو؟ قالوا نعم قال: صدق الله فصدقه، ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته، ثم قدمه، فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم ان هذا عبدك، خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا، وأنا شهيد على ذلك»[2]

٢ ـ وكان ربعي بن حراش العبسي الكوفي تابعيا صدوقا ثقة[3]، ذكر عنه أهل السير انه من خيار الناس، لم يكن يكذب كذبة قط، وهو من رجال السنة، وله موقف رائع مع الحجاج الذي كان يأخذ بالظنة، كان صدقه منجاة انقذ الله به ولديه من بطش الحجاج وتعسفه.

قال أبو نعيم في الحلية:...حدثنا سفيان، قال: ذكرت ربعيا، وتدرون من ربعي؟ كان ربعي من أشجع، زعم قومه انه لم يكذب قط، فسعى به ساع الى الحجاج بن يوسف، فقالوا: ههنا رجل من أشجع زعم قومه انه لم يكذب قط، وأنه سيكذب لك اليوم، فانك ضربت على ابنيه البعث[4] فعصيا، وهما في البيت

---

١ ـ قِسْم: بكسر القاف، بمعنى النصيب

٢ ـ رواه النسائي، والحديث دليل لمن يرى ان الشهيد يصلى عليه وهو قول ابي حنيفة والثوري واحمد في رواية

٣ ـ انظر: تهذيب التهذيب لابن حجرص ٢٣٦ ج ٣، ووفيات الأعيان ص ٦٠ ج ٢، وحلية الاولياء ص ٣٦٧ ج ٤ والاعلام للزركلي ص ٣٧ ج ٣، وورد اسم ابيه في بعض المصادر (خراسن) بالخاء المعجمة، وفي المنهج: حراسن بن ربعى والصواب ما ذكرناه

٤ ـ البعث: المراد به هنا الجيش، اي الخروج في الجيش للقتال

Marfat.com

فبعث اليه فاذا شيخ منحن، فقال له: ما فعل ابناك؟ قال: هما هذان في البيت، قال: فحمله وكساه وأوصى به خيراً»[1].

وقال ابن خلكان: «يقال عن ربعي بن حراش العبسي الكوفي انه لم يكذب قط وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لا يكذب قط، لو أرسلت اليه فسألته عنهما؟ فأرسل اليه فقال له: أين ابناك؟ قال: هما في البيت، قال: قد عفونا عنهما لصدقك»[2]

٣ـ **وفتح المسلمون المدائن**، واقتحمت كتائبهم ابوابها، وتهاوت العاصمة الكسروية تحت اقدامهم ولاذ الفرس أمامهم بالفرار، يتقدمهم كسرى يزدجرد، ونزل القائد المسلم سعد بن أبي وقاص القصر الابيض، ودخل الايوان وهو يتلو قوله تعالى ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾[3].. واتخذ سعد هذا الايوان الذي ضم ابهة الملك مُصَلىً وتقدم الى صدره فصلى صلاة الفتح. واستحوذ المسلمون على كنوز الأكاسرة وما في القصر من خزائن، واستولوا على تاج كسرى ومنطقته وسيفه وسواره وبساط ايوانه الذي نسج بخيوط الذهب ورصع باللآلئ والجواهر النفيسة.

أرسل سعد بن أبي وقاص رسله يحملون البشرى إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، وحمل هؤلاء الرسل معهم ما أمكن حمله من تاج كسرى وجواهره وبساطه، فلم تتطلع نفس أحد منهم الى جوهرة. ولم تفتنه هذه الثروة الطائلة كي ينال منها شيئا لم ينله في قسمة الغنيمة، فما له وللدنيا؟ وقد خرج مجاهدا في سبيل الله، وما يحمله من الكنوز لخليفة المسلمين أمانة بين يديه لبيت مال المسلمين، فما كاد عمر يرى ذلك حتى قال: إن قوما أدوا هذا لأمناء. فقال له علي بن أبي طالب: إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت»[4]

---

١ ـ الحلة ص ٣٦٩ ج ٤

٢ ـ وفيات الأعيان ص ٦٠ ج ٢

٣ ـ الآيات (٢٥ـ٢٨) من سورة الدخان

٤ ـ انظر ص ٢٠٩، ٢١٠ من هذا الكتاب

Marfat.com

٤ ـ وسبق أن ذكرنا صدق كعب بن مالك في حديث توبته[٢].

ثالثا: الصدق:

١ ـ الصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه، ويقابله الكذب، والصديق من كثر الصدق.

ويكون الصدق في العقيدة، وفي القول، وفي العمل.

فالصدق في العقيدة: أن تكون العقيدة موافقة للحقيقة، في الاعتقاد بوجود إله واحد يفعل ما يريد، لا ند له ولا شريك، والاعتقاد بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالهدى الذي جاء به، وذلك يستوجب أن تكون العقيدة قائمة على البحث والنظر حتى تصل الى اليقين، فتكون عقيدة صادقة.

والصدق في القول: أن يكون مطابقا للضمير موافقا للحقيقة كأن يقول المؤمن: أشهد ان لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، فاذا قال ذلك المنافق لا يكون صادقا لان قوله وان وافق الحقيقة فانه يخالف ضميره، فقوله كذب.

والصدق في العمل:ان يكون فعله موافقا لعقيدته، وصورة واقعية لما يكنه في نفسه إخلاصا لله، وطلبا لمرضاته، لا يشوبه نفاق ولا رياء.

٢ ـ وللصدق اسسه النفسية التي تبعث عليه، ومن هذه الاسس:

محبة الحق: حيث يتولد الشعور النفسي بأن الحق هدف اسمى يسعى اليه الانسان، ويبذل جهده في الوصول اليه، لانه قوام الحياة كلها، فيعشق الحق، وتسرى محبته فى نفسه.

ومنها الجرأة والصراحة: فان الشجاع صدوق صريح لا يعرف المداراة والمداهنة، فلا يختل ولا يخادع ولا يكذب.

ومنها الانفة ونبل النفس:فان الاباء يدعو الى أن يصون المرء كرامته عن الدنايا، وينزهها عما لا يليق، حتى تكون نفسه نبيلة الغاية، كريمة السجايا.

---

٢ ـ انظر البداية والنهاية ص ٦٤ ج ٥، وتاريخ الطبرى ص ١٧٧ ج ٤

Marfat.com

وتنبثق فضيلة الصدق من الايمان بالله الذي يعلـم ما في الصدور فلا تخفى عليه خافية.

واذا راقب العبد ربه، وايقن أنه شهيد عليه، استقامت حياته ظاهرا وباطنا، علانية وسرا.

ويتأصل الصدق في النفس إذا تذكر الانسان الآخرة، وما يكون فيها من جزاء، رغبة في ثواب الله، فان الصدق يهدي الى البر، وان البر يهدي الى الجنة.

ويجني الناس من ثمرات الصدق استقامة السلوك، واستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، وأداء الامانات، اذ ان الوفاء من انماط الصدق العملي والصدق القولي، وحيث يوجد الصدق يجهر الناس بكلمة الحق ويؤدون واجبها صادقين، لا يخشون لومة لائم، أو جبروت ظالم.

٣ ـ وللصدق آثاره الحميدة في الحياة الفردية والحياة الاجتماعية والحياة الاخروية.

له آثاره في الحياة الفردية، حيث ينمي شخصية المسلـم، اعتزازا بنفسه، وإحساساً بمسئوليته، ويأخذ بيده الى الفضائل الانسانية التي تكسبه قوة في الحق، وثقة بالنفس، وتنأى به عن سفساف الأمور، وتباعد بينه وبين الرذيلة، وتعصمه من زلات الكذب، وعثرات انحرافاته، وويلات عقابه.

وله آثاره الاجتماعية، حيث يشيع المحبة بين الناس، ويظل افراد المجتمع بالثقة المتبادلة، ويرس اسس التعاون الهادف بين الناس، ويساعد على نشر الفضائل، وتقدير ذويها، ويجعل للحق هيبة في المجتمع، تحد من مجاراة المنحرفين، ومداهنة المنافقين.

ويعطي الصادقون بسيرتهـم العطرة مثلا حيا لاشاعة الحق، والاعتصام به، والقدوة الحسنة أجدى نفعا في إصلاح المجتمع وتقويـم سلوك افراده.

أما الكذب بضروبه المختلفة: عقيدة، او قولا، او عملا، فانه داء وبيل يفتك

Marfat.com

بالمجتمع، ويمزق أوصاله، ويهدر قيمه، ويفقد الثقة بين أفراده، ويضيع حقوقهم، وينشر العداوة والبغضاء في صفوفهم.

وللصدق آثاره الأخروية في شعور المسلم بمسئوليته، ووقوفه مع الحق، والتزامه نهجه. طاعة لله، وتقربا اليه، فيكون أهلا لرعاية الله وتأييده، جديرا بان يحظى بالفوز والنعيم في الدار الآخرة. فقد أمر الله أهل الايمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء الصالحين ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾[1]

٤ ـ وانما يلج المرء أبواب الصدق لاكتسابه بادراك خصائصه ومزاياه، وآثاره، وتوطيد أسس الايمان في نفسه، والبراءة من النفاق، فلا يجتمع كذب وايمان ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ۖ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[2]

وكلما تحرى الانسان الصدق في مواقف الحياة المختلفة. ذللت له الصعوبات التي تواجه الصادقين، وتوطنت نفسه على ممارسة الصدق فصار ديدنا له.

واختيار الاصدقاء والخلان من الصادقين الأوفياء يعصم من مفسدة الكذب «والرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[3]

ولقد صحب أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وسبق الى الايمان به، ولازمه في العهد المكي، وصدقة اذ كذبه الناس في الاسراء والمعراج، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها الى أن مات، فكان أعظم وسام منحه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سماه صديقا.

---

١ ـ الآية (٦٩) من سورة النساء

٢ ـ الآية (١٧٧) من سورة البقرة

٣ ـ رواه ابو داود والترمذي بإسناد صحيح

Marfat.com

رابعا: الأمانة: ـ

الأمانة كالأمان، من الأمن، وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف، ولا قيمة للحياة مهما تيسرت فيها وسائل الرخاء، وغمرتها بحبوحة العيش، دون ان يشعر الانسان بالأمان، وينعم بظله الوارف حتى تستقر القلوب في حنايا الصدور.

١ ـ **والامانة قرينة الصدق، فهما** توأم لأم الفضائل، ومنهما تنبثق الفضائل الأخلاقية الأخرى. ولا أمان لمن لا صدق عنده، ولا صدق لمن لا أمانة له. وكلاهما من أبرز أمارات الايمان ودلائله. والايمان نفسه أمانة في عنق المؤمن، ويوشك من يفقد الامانة ان يفقد الايمان، اذ «لا ايمان لمن لا امانة له» وكل التزام بين العبد وربه، أو بينه وبين الناس، فهو أمانة يجب اداؤها لان الأمانة من شعب الأيمان، وتزداد الامانة بزيادة الايمان وتتناقص بنقصه، واذا استهان الانسان بالمعصية فانه يستهين بالايمان والأمانة معا، ويفرط في العهد الذي بينه وبين ربه.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، قد رأيت أحدهما، وانا انتظر الآخر. حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال[1]، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال: ينام الرجل النومة فَتُقْبَضُ الامانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوَكْت[2]، ثم ينام النومة فَتُقْبَضُ الامانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر المَجْل[3]، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرا[4]، وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا امينا، حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما اعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان، ولقد اتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت؟ لئن كان مسلما ليردّنه على دينه، وان كان نصرانيا أو يهوديا لَيُرُدَّنَّهُ على

---

١ ـ الجَذَر: أصل الشيء
٢ ـ الوكْت: الأثر اليسير
٣ ـ المَجْلُ: تنفط في اليد ونحوها من اثر عمل وغيره
٤ ـ مُنبرًا: مرتفعا

Marfat.com

ساعيه[1]، واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا»[2] وهذا الحديث من أعلام النبوة، وهو يعبر عن واقع الناس مع تطور الزمن.

٢ـ وقد عبر بالأمانة في القرآن الكريم عن تكاليف الشريعة، من توحيد الله تعالى وما جاء في دينه من أمر ونهي، وتلك هي الأمانة الكبرى، التي كانت مناط المسئولية والجزاء في حياة الانسان. وقد ميزه الله تعالى بالعقل والإرادة، مع ضعف بنيته وضآلته إزاء مخلوقات الله الأخرى في عظمتها وضخامتها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) ﴾[3].

وقد شرع الاسلام توثيق العقود والمداينات بالكتابة والاشهاد، منعا للخصومة، وقطعا لدابر المشاحنة والنزاع، واذا تعذر ذلك كان الرهن ضمانا كافيا لذوي الحقوق، ويبلغ الاسلام القمة حين يجعل الأمانة وحدها كافية في الاستيثاق، تحمل المدين على الوفاء بالحق بباعث من تقوى الله، ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾[4].

ثم يأتي الأمر بأداء الأمانات كلها في عهد الله بتكاليف شريعته، وفي عهود الناس ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[5]

٣ـ وللأمانة مجالات متعددة:

لها مجالاتها في حقوق الناس، فكل حق شرعه الاسلام أمانة، لا تبرأ ذمة المسلم منه حتى يؤديه، بدءا بحقوق الأهل والأقارب والأصدقاء، ونهاية بحقوق الدولة وأُولي الأمر.

ولها مجالاتها في الأموال، فالمال الخاص الذي تمتلكه أمانة، تسأل عن وجوه اكتسابه، ووجوه نفقته، والمال العام للدولة امانة، تحاسب عن تفريطك فيه، او استهانتك بأمره، أو جورك في عطائه، فهو مال المسلمين.

---

١ ـ ساعيه: الوالي عليه
٢ ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه
٣ ـ الآية (٧٢) من سوره الاحزاب
٤ ـ الآية (٢٨٣) من سورة البقرة
٥ ـ الآية (٥٨) من سورة النساء

Marfat.com

ولها مجالاتها في حياة الانسان الشخصية، فان عمره امانة، يسأل عنه يوما يوما، وساعة ساعة، فيـم ضيّعه؟ أفي الحياة الجادة المثمرة؟ ام في الحياة اللاهية العابثة، أفي مرضاة الله انفق وقته؟ أم في سخطه ومعصيته؟

وصحته وجوارحه أمانة، فان ذلك هبة من الله له، ونعمة أسداها اليه، وهو مسئول عن استخدام هذا استخداما صالحا، يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، ويدفع بأمته الى العزة والكرامة.

وعلمه أمانة، يؤدي ضريبتها بالجهد في تحصيله، والتثبت من روايته ونقله، والاستفادة منه، والعمل على نشره.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه؟ وعن عمله فيما فعل؟ وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه[1].

٤ـ وحين يرعى **كل انسان في الامة اداء أمانة الله عليه** يستقيـم أمر الحياة، فان وظائف الحياة الاجتماعية لا تخرج عن أن تكون أمانة عهد بها الى أفراد الأمة.

فالموظف أمين على ما وكل اليه القيام به، وعماد الموظف الصالح في أمرين: القدرة على القيام بعمله، والامانة في أدائه، فقد تكون قدراته فائقة ولكنه يقصر في أداء واجبه فيخون أمانة عمله ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

وتتعدد وظائف الدولة ومهامها، والأمانة في كل منها سبيل النجاح، فالموظف الأمين يرعى حق امته عليه عن صدق واخلاص. صيانة لكرامته وعرضه، فلا يقصر في أداء واجبه، ولا يساوم في حق يظلـم به آخر، ولا يضع نفسه في الموضع الدنيء ليتخذ من منصبه سلعة يتجر بها اختلاسا ورشوة، ولا يسرق وقت الدولة في

---

١ ـ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ـ و(ما) في (فيما) استفهامية، وإثبات الفها مع كونها مجرورة قليل، والكثير حذفها

٢ ـ الآية (٢٦) من سورة القصص

Marfat.com

مدة عمله الوظيفي بانتقاص أو ضياع أو لهو وعبث. ولا يستغل سلطته في الاخلال بالعمل، فان ذلك خيانة للدولة واساءة للأمة.

وحسب الموظف الأمين أن يحظى بتقدير الناس وثقتهم، وأن يكون جديرا بمهام امور الدولة وعظائم قياداتها، مبتغيا بعد ذلك ثواب الله في الدار الآخرة.

وحسب الموظف الخائن أن يبوء باحتقار الناس له واهمالهم لشأنه، وحري به أن ينال ما يستحق من تأديب أو عزل في الدنيا، ومن عقاب الله في الحياة الأخرى. وسبق أن شرحنا لك حديث «ابن اللتبية»[1].

واذا أعطى الناس الأمانة قدرها في ميزان حياتهم سعدت الأمة وسعد ابناؤها بسعادتها.

وليس ذلك بعزيز في أمة الاسلام التي يفرض عليها دينها أداء الأمانات الى اهلها. واذا استقامت موازين الحياة في تقدير الرجال بكفايتهم وأمانتهم كان ذلك مدعاة لاستقامة الأفراد ووفائهم بما أسند اليهم من عمل.

٥ ـ والتاريخ الاسلامي سجل حافل بأمناء الأمة:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأمناء، عرفه أهل الجاهلية قبل البعثة في تعاملهم معه وقيامه على تجارة خديجة بالأمانة النادرة حتى لقبوه بالأمين.

ثم كانوا في ابان عداواتهم له لا يجدون من يطمئنون اليه في ايداع ودائعهم عنده سواه.

ولما ائتمر أشراف قريش واجمع أمرهم على قتله صلى الله عليه وسلم، واذن الله تعالى لنبيّه في الهجرة لم يطلب النجاة لنفسه من القتل فرارا بعقيدته دون ان يرد الودائع التي لديه للمتآمرين على قتله، ولم تسول له نفسه أن يخونهم فيها نكاية بهم، بل عهد الى من يخلفه في ردها الى ابن عمه علي بن ابي طالب رضي الله عنه،

---

١ ـ انظر ص ٨٧، ٩٣ من هذا الكتاب

Marfat.com

قال ابن اسحاق: «وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلـم علي بن ابي طالب ان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم الودائع للناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلـم ليس بمكة أحد عنده شيٌ يخشى عليه الا وضعه عنده، لما يعلـم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلـم»[1].

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم أهل صدق ووفاء وأمانة. وخص رسول الله نفرا منهـم بزيادة فضل في أمر وصفه به. كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي، وقراءة القرآن لأبيّ، والفرائض لزيد، والعلـم بالحلال والحرام لمعاذ، وخص رسول الله صلى الله عليه وسلـم أبا عبيدة عامر بن الجراح بالأمانة. فجعله أمين هذه الأمة، وقال فيه «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2] «ولما قدم أهل نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلـم قالوا: «ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام، فقال: «لابعثن رجلا أمينا حق أمين، فأشرف اصحابه، فبعث أبا عبيدة رضي الله عنه»[3].

خامسا: واجب الشباب المسلـم:

من ذلك العرض الآنف الذكر لفضيلتي الأمانة والصدق نستطيع ان ندرك واجب الشباب المسلـم في التمكين لها بين الفضيلتين في حياة الفرد وفي حياة المجتمع، وان ندرك واجب الدولة المسلمة في رعايتهما وحمايتهما، والتمكين لها في صفوف الأمة.

والأمة الصادقة الأمينة تأخذ بعين الاعتبار معيار الصدق والأمانة في ميزان حياتها.

فتجعله مقياسا لها في اختيار موظفيها بشتى مرافقها.

وتوجه سياسة التربية والتعليـم توجيها سديدا في مناهج الدراسة، والكتاب المدرس، واختيار المعلـم، حتى تخرج الاجيال المؤمنة الصادقة الأمينة.

---

١ - ابن هشام ص ١٢٩ ج ٢

٢ - متفق عليه

٣ - متفق عليه

Marfat.com

وتؤدي وسائل الاعلام وظيفتها لتحقيق ذلك، في الاعلام المقروء، والاعلام المسموع، والاعلام المرئي.

وعلى الدولة واجبها تجاه ذلك كله، كي تكون امينة على شرع الله قضاء وحكما.

Marfat.com

ك ـ الصبر والثبات

جرت سنة الله تعالى في الحياة الدنيا ان يجمع للناس بين الخير والشر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والحياة والموت، ابتلاء منه ومحنة، فلا يخلو المرء من كوارث تصيبه، ونوازل تحل بساحته، في نفسه، او ولده، او اهله، أو أقربائه، أو أحبائه.

ويعظم البلاء ويشتد في حياة الدعاة والمصلحين، الذين يدعون الى الله، ويعملون على تحكيم شريعته، ويجاهدون لاعلاء كلمته، فينقم عليهم أهل الأهواء، ويعاديهم أنصار الباطل. ويحاربهم الطغاة المستبدون ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[1] و «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أشد بلاء، فقال: الانبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه. فان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وان كان في دينه رقة ابتلاه الله حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»[2].

ويشتد جزع الذين لا يؤمنون بالله، أو يضعف ايمانهم بقضائه، فتخور قواهم، وتنهار اعصابهم، وتظلم امامهم الدنيا، ويخيم عليهم اليأس. اذ فقدوا أثر الايمان، في سكينة النفس، والاطمئنان الى حكمة الله، والرضا بقدره.

أما المؤمنون فإنهم يصبرون على البلاء، ويثبتون في الشدائد، ويحتسبون ما أصابهم ابتغاء رضوان الله، ويرونه تمحيصا لهم، ليميز الله الخبيث من الطيب.

انهم يعلمون ان ما ينزل بهم من مصائب قد قدره الله عليهم واقتضته حكمته، وان ما اصابهم لم يكن ليخطئهم، وما اخطأهم لم يكن ليصيبهم ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[3]

---

١ ـ الآية (٨) من سورة البروج

٢ ـ رواه الترمذي وقال: حسن صحيح

٣ ـ الآية (٢٢) من سورة الحديد

Marfat.com

ويوقنون بأن الله لطيف بعباده، وأن نعمه عليهم لا تحصى، وأنه ما من مصيبة الا وهناك أكبر منهم، فيصبرون على البلاء، ويتحملون اللأواء، ويحمدون الله على لطفه في قضائه. ويشكرونه على واسع فضله، وعظيم نعمه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]

ومع مرارة الحزن، ولوعة الاسى، وألم النازلة، يستشعرون برد الراحة، ومتعة الثواب، ونعمة المغفرة «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها، الا كفّر الله بها من خطاياه»[2].

ان هذا الايمان الذي يستقر في النفوس يجعل المسلم صابرا راضيا، يسلك دروب الحياة الجادة، رابط الجأش، ثابت الجنان، قوي العزيمة، فتي الهمة، يتكبد المشاق، ويواجه الملمات، فيزداد مضاء وعزما، ويطالع الأمل المرتقب قاب قوسين او أدنى.

ولعزائم المؤمنين الصابرين ثبات يذلل الصعاب، ويقتحم العقبات، ويبعث في النفس الطمأنينة والراحة، فالصبر والثبات صنوان في شجرة الايمان.

أصابت عروة بن الزبير الاكلة في رجله[3]، وهو بالشام، عند الوليد بن عبد الملك، فقطعت رجله في مجلس الوليد، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه، فلم يتحرك، ولم يشعر الوليد انها قطعت، حتى كويت فشم رائحة الكي.

ولما دعي الجزار ليقطعها قال له: نسقيك الخمر حتى لا تجد لها الما، فقال: لا استعين بحرام الله على ما أرجو من عافيته، قالوا: فنسقيك المرْقِد[4]» قال: ما أحب ان أسلب عضوا من أعضائي وأنا لا أجد الم ذلك فأحتسبه، ودخل عليه قوم أنكرهم، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يمسكونك، فان الالم ربما عزب معه الصبر.

---

١ ـ الآيات (١٥٥ـ١٥٧) من سورة البقرة

٢ ـ متفق عليه

٣ ـ الأكلة: داء في العضو يأتكل منه، اي يأكل بعضه بعضا

٤ ـ المرقد: دواء يُرْقد شاربه كالمخدر

Marfat.com

قال: أرجو أن اكفيكم ذلك من نفسي، فقطعت كعبه بالسكين، حتى اذا بلغ العظم وضع عليها المنشار فقطعت، وهو يهلل ويكبر، ثم انه أغلي له الزيت في مغارف الحديد، فحسم به، فغشي عليه، فافاق وهو يمسح العرق عن وجهه، ولما راى القدم بايديهم دعا بها، فقلبها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك انه ليعلم اني ما مشيت بك الى حرام، أو قال معصية.

ومات ولده محمد في تلك السفرة، دخل دار دواب الوليد بن عبد الملك فضربته دابة فخر ميتا.

ولما قدم المدينة بعد سفرته قال: اللهم انه كان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدا وابقيت لي ثلاثة، فلك الحمد، وايم الله، لئن أخذت لقد ابقيت، ولئن ابتليت لطالما عافيت.

وكان أحسن من عزاه ابراهيم بن محمد بن طلحة، فقال له: والله ما بك حاجة الى المشي، ولا ارب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك، وابن من ابنائك الى الجنة، والكل تبع للبعض ان شاء الله تعالى، قد ابقى الله لنا منك ما كنا اليه فقراء، وعنه غير اغنياء، من علمك ورأيك، نفعك الله وايانا به، والله ولي ثوابك، والضمين بحسابك[1].

إن أي عمل يقوم به الانسان يحتاج الى جهد، وقد لا يجني الانسان ثمرة جهده عاجلا فيسأم ويمل، وقد يصاب بادئ ذي بدء فتهن عزيمته، وفي كلتا الحالتين تنقطع به السبيل دون غايته فلا يصل الى هدفه.

انه لا عيب في ان يرسب طالب، او يفشل انسان في عمل، فتلك سنة الله، وانما العيب كل العيب ان ييأس هذا او ذاك فيقعده الهم عن مواصلة الكفاح والدأب والمثابرة.

---

١ - راجع: وفيات الأعيان ص ٣١٦، ٣١٧ ج ٢

Marfat.com

والايمان بالله يبعث في المؤمن روح الثقة بالنفس التي تستمد قوتها من الاعتماد على القوي العزيز، فالمؤمن يبذل ما في وسعه لتحقيق أهدافه النبيلة، ولا يستعجل الثمرة، ولا يتطرق الى نفسه اليأس ولكنه يواصل كفاحه في عزيمة وصبر وثبات. ويعاود المحاولة مرة بعد أخرى حتى يفتح الله له، فيلج باب النصر ويحظى من مقصوده بالظفر، وقد يجري العالم مئات التجارب حتى ينجح في تجربة، فيضيف الى العلم جديدا يعود على البشرية كلها بالخير. وبهذا تظل الحياة في تقدم وازدهار، يدفع عجلتها الى الرقي تصميم الصابرين، وثبات أولي العزم، ومن وراء كل ابتكار مبدع، أو اختراع عجيب، أو نجاح باهر، أو تفوق نادر، يكمن الصبر والثبات.

Marfat.com

ل ـ القصد والاعتدال

الاسلام دين الفطرة، وحيثما نظر الباحث في هذا الدين بجوانبه المختلفة أدرك هذه الحقيقة، وأساس الفطرة البشرية يقوم على الاعتدال في مقاصد الحياة دون افراط أو تفريط.

وتنبثق هذه الحقيقة من خصائص الامة الاسلامية التي تقيم حياتها على هدي دينها، وأخص ما وصف الله به هذه الامة أنها الأمة الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1] والوسط يعني في أدق معانيه القصد والاعتدال في مطالب الحياة كلها، الروحية والمادية، الفكرية والتجريبية، الدينية والدنيوية، الفردية والجماعية.

ان هذه الامة لا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي، وانما تعمل على سمو الروح في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها.

فللانسان أشواقه الروحية المتصلة بتربية العواطف، وتنمية مشاعر الخير، التي تنطوي عليها النفس البشرية، حتى يصفو مشربها، وتزكو سريرتها ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2] وسبيل هذه التزكية ان تتجه النفس الى بارئها، تدين بوحدانيته، وتنقاد لشريعته، وتتحرر من سلطان اهوائها وشهواتها.

وللانسان مطالبه المادية التي تتصل بكيان حياته، والحفاظ على قواه المنتجة العاملة، حيث أجرى الله سنتة في استقرار الارواح بأجسادها، وربط معنى الحياة بالصلة الوثيقة القائمة بين هذه وتلك.

وقد اباح الاسلام ان يستمتع الانسان بطيبات الحياة الاستمتاع المشروع في المطعم والمشرب، والزينة والجمال، وسائر وجوه النفقة. فللروح حقها، وللبدن حقه، والمسلم يأخذ حظه من هذا وذاك في قصد وتناسق واعتدال ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا

١ ـ الآية (١٤٣) البقرة

٢ ـ الآيات (٧ـ١٠) من سورة الشمس

Marfat.com

زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[1].

واذا حسنت النية صارت متعة الحياة قربة الى الله «وفي بضع أحدكم صدقة»[2].

وقاعدة الاسلام في وجوه النفاق ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾[3].

وهذه الامة لا تهمل التصور الفكري في البحث النظري، ولا تغلق منافذ التجربة والاستقراء، فان الاسلام في منهجه الفكري يدعو الى اثارة العقل البشري للنظر في الكون وادراك اسراره، وتحقيق مستوى فكري لائق في حقل المعارف الانسانية على اختلاف أنواعها، فيشحذ الذهن، ويبعث فيه حرية التفكير، ومتعة التزّود بالمعرفة.

والاسلام كذلك يجعل الحواس نوافذ يطل منها الانسان على هذا العالم الفسيح، ليبصر حقائق الكون، ويكتشف خواصه المادية، بالتجارب الحسية، ويستفيد من ذلك في عمارة الأرض، وبناء الحضارة الانسانية على اسس قويمة، فالحقيقة ضالة المؤمن، انّى وجدها أخذها في تثبت ويقين.

وهذه الأمة أمة وسط في حياتها الدينية، وحياتها الدنيوية، فتكاليف الشريعة الإسلامية سهلة ميسورة، يؤديها المسلم قدر استطاعته، تحقيقا للتوازن، بينها وبين مطالب حياته الدنيوية. وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشدد في العبادة، والتعمق في الدين، وجعل ذلك تنطعا «**هلك المتنطّعون**»[4]. فإن أحدا لا يبالغ في الأخذ بالدين إلا انقطع به السبيل دونه «**إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا**»[5]. ويتجاوز هذا التوجيه النبوي الأمر والارشاد إلى السلوك العملي في حياته صلى الله عليه وسلم، وهو القدوة الحسنة

---

١ ـ الآية (٣١) من سورة الاعراف

٢ ـ رواه مسلم وابو داود وأحمد

٣ ـ الآية (٢٩) الإسراء

٤ ـ رواه مسلم وابو داود واحمد. والمتنطعون: هم المتعمقون المغالون

٥ ـ رواه الشيخان

Marfat.com

لأمته «ما خُيرَ رسول الله صلى الله عليه وسلـم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لـم يكن إثما»[1].

وامر نبيّ الأمة أن يأتي الناس من صالح العمل ما يطيقون، فإن الله لا ينقطع عن ثواب عباده حتى ينقطعوا عن عبادته، وليس في مقدورهـم أن يصلوا في عبادتهـم الى الغاية «**عليكـم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»[2].

والغلو في العبادة يورث السآمة والملل، وربما أدى إلى التغير من العبادة نفسها. «دخل النبي صلى الله عليه وسلـم المسجد فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي صلى الله عليه وسلـم: «**حلوه، ليصُلّ أحدكـم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»[3].

وهذه الأمة الوسط لا تلغي شخصيّة الفرد وتدعها تتلاشى في شخصية الجماعة، ولا تطلق للفرد حريته حتى يصير إنسانا جشعا لا هم له سوى ذاته، إنما توجه الطاقات في الحركة والعمل والنشاط بما يحقق شخصية الفرد وكيانه، ثـم تثير فيه المعاني الاجتماعية التي تقف دون الغلو في النوازع الفردية فتجعل الفرد في خدمة الجماعة، والجماعة في خدمة الفرد.

فالمسلـم يجد حوافز العمل الفطرية في غريزة حب التملك، وغريزة حب الذات فيكد ويكدح ويبذل جهده في الحياة ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[4].

وعليه حقوق اجتماعية نحو الآخرين من أبناء أمته، وتتأكد هذه الحقوق بالنسبة إلى أقاربه وذوي رحمه ومن يعول، ويمتد اثرها في علاقته باخوانه، وعلاقته بأولى الأمر، لأن المجتمع المسلـم يمثل شخصية واحدة، يشعر كل فرد فيه بشعور أخيه، وهذا يكبح نزوات الأثرة بروح الإخاء والتعاون ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[5].

---

١ - متفق عليه
٢ - متفق عليه
٣ - متفق عليه
٤ - الآية (١٥) من سورة الملك
٥ - الآية (١٠) من سورة الحجرات

Marfat.com

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[1].

ولا تكتمل شخصية المسلم حتى يحقق التوازن في مطالب الحياة بالقصد والاعتدال، فإن الإسلام هو دين الحياة، وللحياة مطالبها المشروعة في متعة الدنيا وزينتها، وللدين واجباته في إصلاح النفس وتهذيبها، والغلو في جانب يفضي إلى التقصير في الجانب الآخر.

«آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك ابو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء ابو الدرداء فصنع له طعاما. فقال: كل قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال، نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آهر الليل قال سلمان قم الآن فصلّيا، فقال له سلمان: **إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فاعط كل ذي حق حقه**، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان[2].

تلك هي الملامح الواضحة لوجه الإسلام المشرق الذي يرعى جوانب الحياة الإنسانية، ويلبي مطالبها في قصد واعتدال.

---

١ - الآية (٢) من سورة المائدة

٢ - رواه البخاري والترمذي

Marfat.com

م ـ الإتقان والإحكام

هذا الكون الفسيح الزاخر بكائنات الله في السموات والأرض، ينطوي على تدبير محكم دقيق، وإيداع متقن متناسق، تتجلى فيه قدرة الخالق، بما لا يحيط به العلم، ولا يستوعبه البيان.

إن كل شيء في هذا الوجود ينفي فكرة المصادفة، ويكشف عن تقدير محكم يعجز البشر عن تتبع مظاهره، وكلما تقدم العلم فاكتشف جديدا من التناسق العجيب في ناموس هذا الكون ونسبه ازداد اليقين بعظمة المبدع الصانع، وأدرك الناظر البصير المعنى الكبير الذي نجده في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[1]. وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

يقول (ا. كريس موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك: في كتابه بعنوان «الإنسان لا يقوم وحده»[3].

«ومما يدعو الى الدهشة ان يكون تنظيم الطبيعة على هذا الشكل، بالغا هذه الدقة الفائقة، لأنه لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام لامتص ثاني أكسيد الكربون الأوكسيجين، ولما أمكن وجود حياة النبات.

ولو كان الهواء أرفع كثيرا مما هو فإن بعض الشهب التي تحترق الآن بالملايين في الهواء الخارجي كانت تضرب جميع أجزاء الكرة الأرضية، وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلا في الثانية، وكان في امكانها ان تشعل كل شيء قابل للاحتراق، ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقية لارتطمت كلها بالارض ولكانت العاقبة مروعة، أما الإنسان فإن اصطدامه بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة كان يمزقه إربا إربا من مجرد حرارة مروره...

---

١ ـ الآية (٢) من سورة الفرقان ٢ ـ الآية (٨٨) من سورة النمل

٣ ـ ترجمة «محمود صالح الفلكي بعنوان « العلم يدعو الى الايمان» وانظر في ظلال القرآن ص ١٤ ج ١٩ المجلد السادس

Marfat.com

إن الهواء سميك بالقدر اللازم بالضبط لمرور الأشعة ذات التأثير الكيمائي التي يحتاج إليها الزرع، والتي تقتل الجراثيم، وتنتج الفيتامينات دون أن تضر بالإنسان..»

وهكذا ينكشف للعالم البشري يوما بعد يوم شيء من تقدير الله العجيب في الخلق، وتدبيره الدقيق في الكون، ويدرك البشر شيئا من مدلولات قوله في الفرقان الذي نزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فخلق كل شيء فقدّره تقديرا ﴾

إن كل عمل لا بد له من هدف وإلا كان عبثا، ولا يؤدي العمل هدفه إلا إذا كان محكما دقيقا.

يخيط الحائك الثوب، ليتزين به صاحبه، ويقي بدنه حمارّة القيظ، وزمهرير البرد. فإذا أهمل في مقاييسه، وتهاون في حياكته، افسد الثوب، فلا يصلح لصاحبه، ولا يؤدي وظيفته، وتذهب قيمته سدى، ويذهب معها جهد الحائك أدراج الرياح، لأنه خبط خبط عشواء.

ويتناول الصانع الآلة، فلا يتقن نسبها، ولا يحكم توازنها، ولا يحسن تقدير أبعادها، ولا ينسق بين أجزائها، فتخرج من يده ممسوخة الشكل، مشوهة المنظر، فاسدة الصنعة، يشتريها من يحتاج اليها فلا يكاد يستعملها حتى يظهر عوارها، فتُتلف بدلا من أن تُصْلح، وتعود على الجميع بضياع المال، وقتل الوقت، وخيبة الأمل.

ويعالج الطبيب المريض، فلا يهتم بفحصه، ولا يستخدم مهارته، ولا يستثمر علمه، ولا يقدر مهمته، ولا يعتني بوظيفته، فيخطئ موضع الداء، ويعزب عنه الدواء، وقد يجُري له جراحة، او يعطيه علاجا ضارا، فيودي بحياة إنسان.

ويتولى إنسان إدارة عمل، فيستهين بمسئوليته، ولا يحكم تدبير أمره، فيسير على غير هدى، ويهدم اليوم ما بناه بالأمس، وينسخ في الغد ما أمر به اليوم، فتضطرب الأحوال، ويعيش الناس في فوضى، وتبوء الأمة بالوبال والخسران.

Marfat.com

وهكذا الشأن في وظائف الحياة المتعددة.

إنه لا شيء أدعى إلى النجاح في الحياة كإتقان العمل، وإحكام أدائه، والعمل المتقن المحكم يوفر الجهد، ويحقق الغاية، وتجني الأمة منه الثمار الطيبة، والأكل الشهي.

أرأيت أيها الطالب لو أنك تناولت أدوات المختبر لتجري تجربة عملية، فلم تبال بالنسب المفروضة من المواد الكيمائية، ولم تتقن وضعها في القنينة، ولم تدقق النظر بالمجهر، أتراك تحصل بعد هذا على تقدير سليم؟ أم إنك سوف تبذل طاقتك، وتضيع وقتك، في عبث لا طائل تحته، بل ربما يؤدي سوء تقديرك إلى إشعال حريق في المختبر، فتكون كارثة الإهمال والضياع.

أما إذا تناولت أدوات المختبر بدقة، واستعملتها بأناة، واتقنت تقدير نسب المواد، وأحكمت طرق استخدامها، وتتبعت الخطوات السديدة في تجربتك، فإنك بتوفيق الله، سوف تصل إلى الصواب، وتحقق النجاح.

والداعية الذي يدرس أحوال مجتمعه، ويتعرف على نفسيات أبنائه، ويخاطب كل مستوى بما يقتضيه المقام، ويتقن طريقة العرض بأسلوب شائق، يجتذب إليه القلوب، ويسيطر على المشاعر، وينجح في دعوته.

ولو أن كل إنسان في عمله، كبيرا كان أو صغيرا، رئيسا أو مرءوسا، أتقن عمله، واحكم أداءه، لسار دولاب الحياة سيرا حثيثا، واحرزت الأمة تقدما ملموسا، ونجاحا فائقا، فكيف بأمة ترى في صنع الله الإتقان الدقيق، والتناسق البديع؟ وتجد في مبادىء حياتها الدينية: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه؟[1].

---

١ - هذه العبارة الاخيرة نص حديث ضعيف رواه البيهقي في شعب الايمان، ولم نوردها للاستشهاد، ولكن اوردناها اقتباسا في سياق المعنى.

Marfat.com

ن ـ التدخين ومضـــاره

للإسلام أدلته النصية، وقواعده الكلية، ومقاصده الشرعية، التي تنبثق منها شريعته. وينبني عليها الحلال والحرام.

ومن قواعد الإسلام العامة في المطعـم والمشرب أن أحل لعباده طيبات الحياة التي يستمتعون بها.، وتعود عليهـم بالنفع، ويطيب لهـم تناولها، ولا يجدون فيها ما يأباه الطبع السليـم، أو تأنف منه النفس السوية، وحرم عليهـم ما خبث طعما، أو رائحة، أو ضررا. وقاعدة ذلك قوله تعالى ﴿ يُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[1].

ومن قواعد الإسلام العامة انه لا يجوز للإنسان أن يتناول شيئا يضر بصحته، ويهدد حياته. فإن المسلـم لا يمتلك نفسه، حتى يتصرف فيها كما يشاء، ولو كان في هذا التصرف ما يقضي على حياته، إنما هو ملك لله، وحياته حق لمن وهبه هذه الحياة، وصحته من نعـم الله عليه، فلا يحل له أن يستهين بها، أو يفرط فيها.

ولا فرق بين من يقتل نفسه بوسيلة عاجلة، ومن يقتلها بسـم بطيء، فكلاهما يودي بحياته عاجلا أو آجلا، وقاعدة ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2]. وقوله ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[3].

والمال نعمة من الله تستوجب الصيانة والحفظ، فلا ينفقه المسلـم الا فيما أحل الله له من وجوه النفقات المتعددة، استمتاعا بطيبات الحياة، وإذا كان الله تعالى قد أباح للإنسان أن يكتسب المال من وجوهه المشروعة، فإن حق تصرفه فيه مشروط بمعالـم حددها الإسلام، وفي مال كل فرد من الأفراد حق عام للأمة، حيث جعل الله المال قِواما لمعيشة الناس، وفي ضياع مال الفرد ضياع لثروة الأمة، وقاعدة ذلك ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم أنه «نهى عن إضاعة المال»[4].

---

١ ـ الآية (١٥٧) الأعراف

٢ ـ الآية (٢٩) من سورة النساء

٣ ـ الآية (١٢٥) من سورة البقرة

٤ ـ من حديث يرويه مسلم

Marfat.com

وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العقل، من مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية، التي يترتب على الإخلال بها العقوبات الرادعة المنصوص عليها. ويتفاوت هذا الإخلال. فمنه ما يكون فواتا لها، وهو الذي يحمل عليه العقوبة النصية، ومنه ما يكون دون ذلك مما فيه ضيق وحرج ومشقة، فيكون النهي عنه لأنه يفوّت امرا حاجيًا يتصل بالأمور الضرورية. ومن ذلك ما جاء في الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر»[1].

وفي ضوء تلك القواعد والمقاصد نستطيع أن نحكم على التدخين بعد أن نعرف مضاره.

لقد ظهر «التبغ» أي الدخان منذ زمن بعيد[2] واستعمله سكان أمريكا الأصليون «الهنود الحمر» بوسائل مختلفة. يمضغونه، ويستنشقونه، ويضعونه في لفافات يدخنونها «السيكار» ثم انتقلت عادة التدخين من أمريكا إلى أوروبا، وانتشرت في أنحاء العالم، وأنشئت له المعامل الآلية التي تنتج في اليوم الواحد ملايين اللفافات، وارتفع معها الاستهلاك ارتفاعا هائلا.

وأدرك الأطباء اضراره في وقت مبكر، ففي سنة ثمان وتسعين وخمسمائه والف ظهر أول مقال في «انكلترا» يهاجم عادة التدخين، ثم تتابع البحث فيه، وكشفت المقالات المتعددة عن اضراره.

وكان لهجوم الأطباء على التدخين اثره في كثير من بلاد العالم، فحاولت أن تحد منه بفرض الضرائب الباهظة، وحين لم تجد هذه الوسيلة نفعا لجأت بعض الدول إلى سن القوانين التي تمنعه، كالدانيمارك، والسويد، وهولندا، والنمسا.

ولكن الحكومات رأت أن الضرائب التي تفرضها على الدخان تدر عليها ربحا وفيرا، وترفع مستوى دخلها، فأغرتها المصلحة المالية، وبدأت معارضتها للتدخين تتلاشى شيئا فشيئا، حتى أصبح وارده بالمكان الأول لدى بعض البلاد.

---

١ - رواه احمد وابو داود عن ام سلمة

٢ - في القرن الخامس عشر الميلادي

Marfat.com

وتخصص الشركات التي تُصنِّع التبغ في ميزانياتها نصيبا هائلا للدعاية بوسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء، وتشتري هذه الشركات ذمم ضعاف النفوس من الأطباء أحيانا لكتابة أبحاث تخفف من الأضرار التي تنجم عن التدخين، وساعد على هذا أن نتائج التدخين الكثير لا تظهر لدى الشخص القوي البنية إلا بعد عشرين أو ثلاثين عاما.

وسرت عادت التدخين مسرى الداء الدفين بين الشعوب المختلفة في المستويات كلها، من الصبية والبنات، إلى الفتيان والفتيات، إلى الرجال والنساء، والشيوخ والعجائز، وإن كانت نسبتها ترتفع بين المراهقين.

أضرار التدخين الصحية :-

يجمع الأطباء على أن التدخين يسبب أضرارا جسمية وبيلة. يقول أحد الأطباء الانجليز «إن التدخين يسبب الجنون، والنزف الدماغي، والشلل، والرجفان الدائم، والتهاب الحنجرة، والتهاب القصبات، وضيق التنفس، والسل، والاضطرابات الهضمية، والتهاب المعدة، وانثقاب الامعاء، وتساقط الشعر، والحموضة في المعدة، والاصابات الكبدية، والغازات المعوية، والضعف الجنسي، والحمى التيفيّة، وأمراض الجلد، وبعض الأمراض الأخرى».

سرطان الرئة :-

وتسجل الاحصاءات أن نسبة الوفيات بسرطان الرئة عالية جدا بين المدخنين إذا قورنت بنسبة الوفيات بنفس المرض عند غير المدخنين، وأن نسبة الوفيات بين الذين تعودوا شهق الدخان إلى الرئتين أعلى من نسبتها بين الذين لا يشهقون الدخان لداخل الرئتين.

وقد أجرت عدة مراكز في أمريكا وبريطانيا ابحاثا طبية عن نسبة الوفيات بسرطان الرئة، وخرجت من ذلك بنتيجة واحدة هي : ان حوادث سرطان الرئة تتزايد بازدياد عدد اللفافات «السيجارات» المدخّنة يوميا، ولا يزال سرطان الرئة حتى اليوم مرضا نادرا بين غير المدخنين.

Marfat.com

المواد الضارة في دخان التبغ وانواع ضررها:ـ

ومن أهم المواد الموجودة في دخان التبغ مادة «النيكوتين» وهي مادة بالغة الخطورة، فانها تسبب زيادة في ضربات القلب، واختلالا في انتظامها، وتَضيّق فتحة الأوعية الدموية في الأطراف، وتثير الأعصاب، وإذا ارتفعت نسبتها أحدثت تسمما بها.

ومن المواد الموجودة في دخان التبغ «البيرادين» ومواد قطرانية وفيلونية، وهي مواد ذات ضرر بالغ على جهاز التنفس، وشعيرات القصبة الهوائية، وتسبب تصلب الشرايين الإكليلية في القلب، والالتهابات المزمنة في القصبات[1].

يقول الدكتور صبري القباني في نبات التبغ: «إن هذا النبات يتميز عن غيره من النباتات باحتواء اوراقه على نسبة كبيرة من «النيكوتين» وكميات أخرى من مركبات قريبة الشبه بتلك المادة، وكلها مركبات سامة... كما أن التدخين يسبب الأرق والقلق والكآبة ووهن الإرادة وضعف الذاكرة والكسل والخمول والضعف الجنسي».

وأثبتت البحوث الميدانية على آلاف الأشخاص العلاقة الوثيقة بين التدخين وامراض الدورة الدموية، وأمراض الشرايين الناجية «الذبحة» وضغط الدم، وأمراض الأوعية الدموية للأطراف، وأثبتت أن معظم المصابين بقرحة المعدة والاثني عشر من المدخنين. وأن نسبة الإصابة بسرطان اللثة والشفة والفم والحلق عند المدخنين أعلى منها عند غير المدخنين.

وقد يخيل إلى بعض الناس أن هذا مبالغة ومغالاة في ذكر مضار التدخين، مع أن كثيراً من مشاهير الرجال في العالم لا تفارق اللفافة أفواههم، ولكننا نقول لهم: إن وجود مثل هؤلاء المدخنين الأصحاء لا يدحض ما ذكرناه. إذ إن اعتياد تعاطي كميات صغيرة من السم لا تؤثر في الجسم تأثيرا سريعا لا تعني أن السم غير قاتل.

---

١ - راجع كتاب «التدخين وسرطان الرئة والامراض الاخرى» للدكتور نبيل صبحي الطويل

Marfat.com

ونظير هذا ما يقال في ضياع المال، من أن كثيرا من المدخنين من أصحاب الثروات الطائلة التي لا يؤثر فيها نفقات التدخين، فإن هذا ينفي الحقيقة المرة في واقع حياة الفقراء الذين تأسرهم عادة التدخين، فيقترّون على أنفسهم في النفقات الضرورية بمعيشتهم ومعيشة من يعولون لتوفير نفقات الدخان، ولا ينفي كذلك أثر بذخ الأثرياء على الاقتصاد العام للأمة.

وإزاء ما ذكرناه من استعراض مضار التدخين فإننا نستطيع أن نقرر بناء على الأدلة النصية، والقواعد الكلية والمقاصد الشرعية، بأن التبغ من الخبائث، وأن تناوله يؤدي إلى ضياع المال، والإضرار بالبدن، والتأثير على الذاكرة، فيكون أمرا منهيا عنه، ويتأكد هذا النهي بالنسبة إلى ذوي الحاجة المالية، ومن يقرر الأطباء ما يلحقه بهم التدخين من أضرار صحية.

هذا وإن علاج عادة التدخين ـ كعلاج اي عادة متحكمة ـ لا يكون بالغلو والتشدد، كأن التدخين يقوض دعائم الدين، إنما يعالج هذا بالوعي الديني، والثقافة الصحية والتربية الهادفة السليمة.

ما هي أضرار التدخين الصحية؟

Marfat.com

س ـ الخطر الصهيوني

ترتبط الحركة الصهيونية بفكرة إنشاء دولة يهودية باسم: «دولة إسرائيل» ارتباطا وثيقا.

فالحركة السياسية التي تدعو إلى قيام دولة يهودية على أرض فلسطين هي التي تدعى بالحركة الصهيونية، نسبة إلى جبل «صهيون» في القدس. أما «إسرائيل» فهو لقب يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام.

ولم يخطر لليهود أن يتخذوا في القدس بيتا ذا قداسة إلى أن جاء سليمان فبنى فيها الهيكل المشهور، ثم سمى بيت المقدس، ولم يحرص اليهود على أن يكون حنينهم للقدس، بل حرصوا على أن يكون الحنين إلى «صهيون» وأصبح هذا رمزاً للحنين إلى عودة المملكة اليهودية التي يحلمون بها، وبهذا تحولت المعتقدات الدينية تحولا جديدا مع مصالحهم السياسية.

وقد تفرق اليهود في أنحاء العالم لاضطهادهم في فترات من التاريخ، ولاسيما ما كان من اضطهاد النصارى لهم، ويصل عددهم اليوم قريبا من خمسة عشر مليونا من أعراق مختلفة، يقيم أكثرهم في الولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي، وظل شعورهم مرتبطا بالدولة التي يريدونها.

يقول الأستاذ عباس العقاد: «حدث في عصر السيد المسيح ان اليهود تفرقوا في انحاء الدولة الرومانية، واتخذوا لهم وطنا في كل قطر من أقطارها الواسعة، فكتب «فيلون» فيلسوف الاسكندرّية اليهودي، يقول في تحديد موقفهم من الدولة: إن اليهود ـ لكثرة عددهم ـ لا تحتويهم بقعة واحدة ـ ويتفرقون لطلب الرزق في أغنى البلاد من أوربا وآسيا، على أنهم ينظرون إلى أورشليم مقر هيكل الله المقدس ـ كأنها حاضرتهم الكبرى، ويحسبون وطنا لهم كل أرض عاش فيها اباؤهم وأجدادهم من قبلهم»[1].

---

١ ـ انظر كتاب «الصهيونية العالمية» للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٣.

Marfat.com

وقد حاول اليهود تحقيق فكرتهم بالوسائل الدنيئة، وفي مطلع القرن العشرين الميلادي اتصل الزعيم الصهيوني «هرتسل» بالسلطان عبد الحميد، وعرض عليه مبالغ كبيرة من المال، وتسديد ديون الدولة العثمانية كلها إذا أذن لليهود بإقامة مستعمرة لهم في فلسطين ولكن السلطان المسلم رفض هذا العرض، ورد «هرتسل» ردا سيئا.

وتدعي الصهيونية أن ما يلاقيه اليهود من اضطهاد هو السبب الذي يحملهم على قيام الدولة، وهذه دعوى باطلة، فإن انقسام اليهود داء مزمن فيهم، وقد عرفوا عبر التاريخ بتمردهم على كل نبي من انبيائهم، وهذا هو الذي وصفهم به القرآن الكريم ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾[1].

وهو الوصف الذي جاء في كتبهم، ففي الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التثنية يقال لهم بلسان الرب «إني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة».

فهذه الطبيعة الشكسة المعاندة هي الآفة التي تجر عليهم الاضطهاد في كل بقعة، وفي كل عصر، فعلّتهم من ذاتهم، والطبع اللئيم الأصيل الكامن في النفس لا علاج له إلا بالخلاص من صاحبه.

يقول العقاد: «وليس للأمم من حيلة معهم إلا أن تخضعهم آخر الأمر أو تخضع لهم برمتها، وانه لهو المتسحيل بعينه على كل فرض من الفروض، وإنما آفة القوم الكمينة فيهم أنهم كائن ممسوخ من الوجهة الاجتماعية، لأنهم جماعة مقتضّة[2]، لم تصبح أمة، ولم ترجع إلى نظام القبيلة البدوية، واشتبكت مع العالم وهي في مرحلة غير نامية وغير صالحة للنمو على حدة، فكل علاج لها ميئوس من جدواه، ما لم يغلبها العالم على طبيعتها، ويدمجها اضطرارا في طوية أممه، وسوف يكون ذلك لا محالة لأن غيره لن يكون»[3].

---

١ ـ الآية (١٤) من سورة الحشر

٢ ـ مقتضة: متفرقة

٣ ـ «الصهيونية العالمية» ص ١٦، ١٧.

Marfat.com

وظلت فكرة الوطن القومي، أو فكرة الدولة اليهودية، تداعب أحلام اليهود، حتى أوشك القرن التاسع عشر أن ينتهي، وصدر كتاب «الدولة اليهودية» الذي ألفه «هرتسل» سنة خمس وتسعين وثمانمائة والف، فتبلورت الفكرة.

ثم كان مؤتمر «بال»[1] بسويسرة الذي عقده اليهود سنة سبع وتسعين وثمانمائة وألف، واصدر في اليوم الثاني من أيام انعقاده قرارا يقول فيه تعريفا للصهيونية: «إنها حركة ترمي إلى إنشاء وطن للشعب اليهودي شرعي معترف به في أرض فلسطين» ويرى المؤتمر أن الوسائل الآتية صالحة لتحقيق هدا الغرض، وهي:

١ ـ ترقية اليهود المقيمين بفلسطين في أعمالهم الزراعية والصناعية والتجارية.

٢ ـ تأليف اليهود في جميع البلدان جماعات محلية، أو جماعات عامة، حسب القوانين المرعية في تلك البلدان.

٣ ـ تقوية الوعي اليهودي حيث كان.

٤ ـ اتخاذ الخطوات التمهيديةللحصول على السند الضروري من الحكومات...[2].

والصهيونية العالمية لها دعايتها ومقاصدها وغاياتها. وقد ظهرت مجموعة من الوثائق السرية سميت بمحاضر مشيخة إسرائيل، أو «بروتوكلات حكماء صهيون»[3]، خلاصتها، أنها تجمع المحاضر التي تسجل قرارات المشيخة الصهيونية. وأن هذه المشيخة تلتقي من حين إلى آخر للنظر في شئون العالم، واتخاذ الخطط المرسومة لتوجيه السياسة الدولية، وإثارة الفتن والقلاقل في أمم الحضارة، سعيا وراء غاية واحدة، وهي تخريب العالم، وهدم دعائم الأخلاق والأديان، والقضاء على كل سيادة روحية أو دنيوية فيه، لتمكين الصهيونية من السيطرة عليه.

ولم تعرف الإنسانية في تاريخها عداء ماكرا كعداء الحركة اليهودية للبشرية بعامة، وللإسلام بخاصة. ذلك لأن نفوسهم التي انطوت على الخبث والدهاء، وأخذ

---

١ - بال: قرية سويسرية

٢ - انظر المصدر السابق ص ٢٤

٣ - ترجمة محمد خليفة التونسي

Marfat.com

منها الجبن مأخذه، تنقـم على الناس كافة، وتزرع الشر والهلاك والدمار، ويطيب لها ان ترى نار الفتن تتأجج هنا وهناك، لتقضي على المعتقدات الدينية، والحضارة الإنسانية.

إن الصهيونيين لا يريدون أن تكون الحياة إلا لهـم وحدهم، ولهـم كتابان: كتاب معروف لا يعمل به، وهو التوراة، وكتاب مجهول عند العالـم، يدعى التلمود، وبه يعملون، وينص كتاب التلمود على أن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل، وأنهـم منحدرون من الله كما ينحدر الابن من أبيه، أما غيرهـم من الناس فهـم أمميون، لاحرج على اليهود في أن ياكلوا أموالهـم، ويستبيحوا حرماتهـم، وهذا هو ما حكاه القرآن الكريـم عنهـم، في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[1]

وكان اليهود قبل بعثة رسولنا صلى اللـه عليـه وسلـم ـ وقـد بشرت به التوراة ـ يستفتحون على الذين كفروا، وأنه قد اظلهـم ملك نبي، سوف يتبعونه، فلما جاءهـم ما عرفوا كفروا به.

ومنذ ذلك الحين، واليهود يكيدون للإسلام، ويضمرون له العداء اللئيـم، والغدر الفاحش.

لقد عاهدهـم رسول الله صلى الله عليه وسلـم بعد أن هاجر إلى المدينة، وأخذوا على أنفسهـم العهد والميثاق أن يدافعوا عنه، فما لبث هذا العهد طويلا حتى تنكروا له، وأخذوا يدسون سمومهـم للتفرقة بين صفوف الأنصار والمهاجرين من جهة، وبين الأنصار ـ خزرجهـم وأوسهـم ـ من جهة أخرى، وواتتهـم فرصـة اللـؤم والخديعة فألّبوا مشركي العرب من قريش وغطفان وغيرهـم على رسول الله صلى الله عليه وسلـم، حتى حاصروا المدينة في غزوة الأحزاب، واشتد الأمر على المسلمين، وبلغت القلوب الحناجر، لولا أن الله تعالى تداركهـم برحمته، وبدد شمل عدوهـم، ورد كيدهـم إلى نحورهـم، وكانت الضربة عليهـم فأُخرجوا من المدينة خاسئين.

---

١ ـ الآية (٧٥) من سورة آل عمران

Marfat.com

واعتنق بعض شرار اليهود الإسلام بغية الدس فيه، والكيد له، والعمل على هدم كيانه، وقامت الفتنة الكبرى التي أجّجها ابن سبأ اليهودي في عهد عثمان رضي الله عنه، وظل ينفث سمومه فيها، وهي المعروفة بالحركة السبئية الهدامة التي قاومها علي رضي الله عنه أشد مقاومة.

وما من حركة عالمية هدامة إلا وكان اليهود من ورائها، يُذْكون أوارها[1].

فالماسونية ـ وهي جمعية سرية هدامة ـ تحركها اليهودية الكامنة وراءها والأساتذة الكبار في المحافل الماسونية هم الممثلون للجميعات اليهودية السرية في العالم، ومن «بروتوكولات حكماء صهيون» «والى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشيء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفا بأنه ذو روح عامة».

ومن المعروف أن «كارل ماركس» صاحب المبدأ الشيوعي ينحدر من اصل يهودي، والشيوعية تتنكر للأديان، وتعتبرها مخدرة للشعوب الكادحة عن المطالبة بحقها.

والفكرة الصهيونية تهدف إلى محاربة الإسلام، والقضاء على تاريخه، وإن كانت تحمل طابعا سياسيًا في وجود كيان يهودي في فلسطين.

جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة الصهيونية ما نصه: «ان اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء الهيكل، وإقامة عرش داود في القدس ثانية، وعليه امير من نسل داود»

والقضاء على المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه من أهدافهم الأساسية، فقد قال أحد زعمائهم: إنه لا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل.

والروح الدينية المعادية للإسلام هي التي تحرك اليهود في حربهم لنا. وإن كانوا

---

١ ـ الأوار: اللهب، وحر النار

Marfat.com

يهدفون إلى تحقيق غرض سياسي في اقامة دولتهم.

فعندما اقتحمت القوات اليهودية المسلحة سيناء سنة ست وخمسين وتسعمائة وألف، كانت تتقدم سيارات الجيش سيارة تقِلّ الحاخام اليهودي، وقد وُضِعت على مقدمتها نسخة كبيرة من التوراة. وعندما وطئت أقدامهم ارض سيناء ترجّلوا، وقبّلوا ثرى الوادي المقدس، وأقاموا صلاتهم.

وحين احتل اليهود القدس سنة سبع وستين وتسعمائة وألف كان اول شيء عمله القواد والضباط اليهود أن ساروا إلى حائط المبكى، يتقدمهم الحاخام «غورين» الضابط في الجيش، فنفخ في البوق وفقا لطقوسهم الدينية، ثم أقاموا الصلاة هناك.

ولم يمض على ذلك سوى فترة قصيرة، حتى قام علماء الآثار القديمة من اليهود فحفروا الأرض تحت المسجد الأقصى بغية العثور على الهيكل اليهودي، وهدموا البيوت المجاورة للمسجد من مباني الوقف الإسلامي، ثم كانت جريمتهم النكراء التي روعت العالم الإسلامي في إحراق مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت الكوارث في حياة الأمم بداية يقظة لها، فإن حربنا مع الصهاينة قد ايقظت في أمتنا وعيا جديدا، حيث أدركت الأمة الإسلامية أنها ذات كيان واحد، وأن قضاياها العدوانية في اي قطر واحدة، وأخذ هذا الوعي ينمو رويدا رويدا، حتى كانت حرب العاشر من رمضان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة والف من الهجرة، فظهرت فيها روح إسلامية جديدة، أراها الله بشائر النصر، فلقنت العدو درسا قاسيا، وحطمت الأسطورة القائلة: إن إسرائيل لا تهزم.

إن المسلمين يبلغ عددهم في العالم اكثر من ستمائة مليون، وزيادتهم السنوية تبلغ عشرين مليونا، أي اكثر من جميع يهود العالم، والعرب وحدهم يبلغ عددهم مائة مليون، وتبلغ زيادتهم السنوية ثلاثة ملايين نسمة، أي أكثر من دولة إسرائيل.

وما أصابنا ما أصابنا من قلة في عددنا، أو ضعف في إمكانياتنا، إنما أصابنا ذلك

Marfat.com

حين عزلنا الإسلام عن المعركة، وقد حان الوقت لأن نعلنها معركة إسلامية للجهاد في سبيل الله، والذود عن حياض الدين، ولنا من جهاد رسولنا صلى الله عليه وسلـم، وجهاد صحابته الأبرار، وما وعد الله به المؤمنين الصادقين، ما يثبتنا على الحق ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وليست ومضة الإيمان التي نشهدها في شباب أمتنا سوى بارقة الأمل، وسوف يتصاعد اثرها بإذن الله في قوة وعزم، حتى يحق الله الحق، وتدور دائرة السوء على الظالمين المعتدين، وفي الغد المرتقب بساحة الاستشهاد يتنزل نصر الله على المؤمنين وما ذلك على الله بعزيز.

١ ـ الآية (٤٧) من سورة الروم

Marfat.com

ع ـ فضل العلـم وموقف المسلمين من العلوم الكونية

لا يعرف التاريخ أمة من الأمـم ترفع من شأن العلـم وأهله كأمة الإسلام، هذه الأمة التي حملت إلى البشرية رسالة الهدى والعلـم، ففجرت ينابيع المعرفة. وانسابت جداولها في أنحاء المعمورة، تمد الإنسانية بطرائق البحث، ومناهج التفكير، وتجعل العقل المهتدي البصير معيارا للفضيلة، وتشحذ العزائـم لإحراز فضيلة العلـم، تارة بالاستفهام الإنكاري الذي يثير في النفس طموحها (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**؟ ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[1]. وتارة اخرى باقتران درجات العلـم بمكانة الإيمان ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2]

ولا يجهل أحد مكانة النبوة فإنها ذروة ما ترنو إليه آمال البشرية سموا وشرفا، ولكن رسولنا صلى الله عليه وسلـم ـ وقد أوتي القرآن ومثله معه ـ يأمره الله أن يسأل ربه مزيدا من العلـم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[3].

والعلـم بمفهومه العام يشمل النظر في آيات الله الكونية وما أودعه الله في الكائنات من طاقات هائلة تنبيء عن عظمة الخالق المبدع، وقد امر الله تعالى بالنظر في تلك العوالـم بحقول المعرفة المختلفة، حتى يسخر المسلـم طاقاتها لعمارة الأرض بالإيمان، ويجمع الله علوم الفلك، والنبات، وطبقات الأرض، والحيوان، ويجعل ذلك من بواعث خشيته، في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[4].

فقوله: (أنزل من السماء ماء) فيه اشارة إلى علـم الفلك، وقوله: (فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) فيه إشارة إلى علـم النبات، وقوله: (ومن الجبال

---

١ ـ الآية (٩)من سورة الزمر
٢ ـ الآية (١١) من سورة المجادلة
٣ ـ الآية (١١٤) من سورة طه
٤ ـ الآيتان (٢٧، ٢٨) من سورة فاطر

Marfat.com

جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) فيه إشارة إلى علـم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وقوله: (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) فيه إشارة إلى علـم الأحياء.

والعلـم يطلب بالدراسة والتحصيل، وأي جهد يبذله الدارس في الوصول الى جديد من المعرفة يقربه إلى الله زلفى، وإذا حسنت نيته واحتسب هذا لإعلاء كلمة الإسلام وإعزاز امته فإنه يصير قربة يصل بها الى رضا الله ومغفرته، ويحظى بجنته، وتعلو منزلته، ويكون بهذا وريثا للأنبياء «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**»[1]. «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلـم رضا بما صنع، وإن العالـم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الانبياء لـم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما وّرثوا العلـم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[2].

وإذا كان الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، فإن الخروج لطلب العلـم نمط من أنماط الجهاد «**من خرج في طلب العلـم فهو في سبيل الله حتى يرجع**»[3].

والإسلام يهذب غريزة حب الذات، ويوجه طاقتها إلى ميدان التنافس البريء فيما يرفع شان الأمة ويعود عليها بالخير.

وإنمـا تبني الامـم مجدها بأمرين: المال، والعلـم.

فالمال عصب الحياة، وهو قوام المعيشة واداة التقدم والرقي، وأسّ الحضارة في ميادينها المختلفة.

والعلـم النافع هو سبيل نهضة الأمة. ومشعل هدايتها، ورمز قوتها، وعنوان رقيها، وهو رصيد الفكر الذي يستحوذ على المال.

---

١ ـ رواه مسلـم

٢ ـ رواه ابو داود والترمذي

٣ ـ رواه الترمذي

Marfat.com

والإسلام يوجه هذا وذاك لبناء الحضارة الفاضلة وتوجيهها توجيها إنسانيا رشيدا «**لا حسد[1] إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[2].

موقف المسلم من العلوم الكونية: ـ والعلوم منها النقلي ومنها العقلي، والأصل في علوم الشريعة الإسلامية أنها نقلية. إذ تعتمد في مصدرها على الكتاب والسنة، والأصل في العلوم الكونية أنها عقلية، لأنها تعتمد على البحث والنظر.

والنقلي الشرعي منه ما هو قطعي الثبوت والدلالة كنصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة التي لا تحتمل سوى معنى واحد، ومن ذلك أركان الإيمان، وأصول العبادات، والمحرمات في النكاح، والأنصبة المفروضة في الميراث، والعقوبات النصية على الجرائم الكبرى، وهذا لا مجال للاجتهاد فيه.

ومنه ما هو ظني الثبوت أو ظني الدلالة، حيث يحتمل أكثر من معنى، وهو عامة ما ورد في القرآن والسنة، وهذا هو الذي كان مجالا لاجتهاد العلماء.

والعلوم العقلية كذلك، منها ما أصبح حقيقة علمية قطعية بالاستقرار والتجربة والحس، ككثير من المكتشفات العلمية التي تتصل بخواص المادة، وطرق استثمارها، وسائر ما نستخدمه الآن في الصناعات، وأجهزة نقل الأصوات، وقوة الدفع، ونحو ذلك.

ومنها الظني الذي لا زال نظريات قابلة للبحث، يترجح لدى العلماء فيها شيء، ولكنهم لا يقطعون به، فقد تكشف لهم التجارب العلمية عن شيء آخر سواه، حتى يثبت، ويصير حقيقة علمية.

فأي حقيقة علمية قطعية في الدين أو في العلم يجب التسليم بها، ولا مجال للجدال فيها، فإنها لم تعد موضع بحث ونظر.

ولن يتعارض قطعي شرعي مع قطعي عقلي بحال من الأحوال، فإن النقل

---

١ ـ الحسد: هنا بمعنى الغبطة ٢ ـ متفق عليه

Marfat.com

الصحيح يكون موافقا للعقل الصريح، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب في هذا الموضوع بعنوان: «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول».

وإنما يأتي التعارض في غير القطعي.

فإذا تعارض قطعي شرعي مع نظرية علمية ظنية أخذنا بالقطعي الشرعي لأنه اليقين الثابت. وآمنا بأنه واقع لا ريب فيه وإن قال العلم: إنه غير واقع، فإن العلم لم يصل إلى اكتشاف كل شيء، وقد يكتشف اليوم أمرا يضعه موضع التجربة ثم يتبين خلافه. ومن ذلك ما كان شائعا لدى علماء الفلك قديما من أن الشمس ثابتة والأرض هي التي تتحرك، فإن العلم أثبت بعد هذا أن الشمس كذلك لها حركة، وهذا يتفق مع قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

وإذا تعارض ظني شرعي مع نظرية علمية ظنية فإننا نظل مع الظني الشرعي، وننسب الظني العلمي إلى أهله دون تكذيب، فإما أن تثبت الأيام زيفه، وإما أن يتبين أنه حقيقة علمية ثابتة.

ومن الخطأ أن نحرص على تأويل النصوص الشرعية بما يتفق مع كل نظرية علمية جديدة، فإن هذه النظريات الظنية تتجدد وتتبدل ويقوض بعضها بعضا. وهذا المسلك مع ما فيه من هزيمة نفسية وإجلال للعلوم الكونية يؤدي بنا إلى التأويل المستمر للنصوص الشرعية الظنية مع التحمل والتكلف.

كما أنه من الخطأ كذلك أن ننكر نظرية علمية ظنية لتعارضها مع الظني الشرعي، فإنه قد يثبت صدق هذه النظرية التي أنكرناها، وعندئذ يكون تراجعنا مخجلاً، فيكفينا أن نظل مع الظني الشرعي وننسب نظريات العلوم الظنية إلى أربابها، ما دمنا لسنا من أهلها.

وإذا تعارض الظني الشرعي مع القطعي العلمي فإننا نؤمن بالقطعي العلمي، ونؤول في هذه الحالة الظني الشرعي بما يوافق الحقيقة العلمية القاطعة.

---

١ ـ الآية (٣٨) من سورة يس

Marfat.com

فلقد ورد في القرآن الكريـم من الآيات المجملة الظنية الدلالة ما يدل على أن الأرض مبسوطة ممهدة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] وقوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[3] وقوله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ ﴾[4] ثـم ثبتت كرّوية الأرض، ولـم يكن هناك تعارض مع الآيات، لأن الأرض مبسوطة متسعة مسطحة في مرأى العين، ولا يراها الإنسان أمام نظره إلا كذلك. وقد ذللها الله لعباده كالفراش يستقرون عليها، وجعلها ممهدة موطأة كالمهد للصبي، وهذا من نعـم الله على البشرية، وهو لا يتنافى مع كروية الأرض.

ومن هذا القبيل ما ثبت من الصعود إلى القمر، فإنه ثبت ثبوتا قطعيا بالخبر المتواتر، والمتواتر يفيد العلـم القطعي، ولا يشترط في رواته العدالة، بل يكفي أن يرويه عدد كثير يحيل العقل تواطأهـم على الكذب، ويستحيل أن يتواطأ علماء الدول الكبرى على الكذب في هذا، وبينهـم من الخصومات السياسية ما بينهـم، فإذا أضفنا إلى ذلك أن أجهزة الأرصاد الجوية والتصدير أثبتت صحة هذا لم يعد هناك مجال للشك.

والنصوص الواردة في القرآن الكريـم مجملة، ولا تتنافى مع هذا. فقوله تعالى ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[5].

الأمر فيه للتعجيز، أي إن استطعتـم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض ونواحيها هربا من قضاء الله وقدره فانفذوا منها، وخلصوا أنفسكـم، ولا قدرة لكـم على هذا النفوذ إلا بقوة تتسلطون بها، وهيهات لكـم ذلك. فالآية سيقت مساق التحدي والإعجاز.

---

١ ـ الآية (١٩) من سورة نوح

٢ ـ الآية (٢٠) من سورة الغاشية

٣ ـ الآية (٢٢) من سورة البقرة

٤ ـ الآية (٦) من سورة النبأ

٥ ـ الآية (٣٣) من سورة الرحمن

Marfat.com

وحملها غير واحد من المفسرين على أن هذا يكون في الآخرة لا في الدنيا، حيث يقول تعالى قبل هذه الآية ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾[1].

ويرى بعض الناس أن المراد بالسلطان هنا العلم، وقد استطاع الناس هذا بالعلم، وسياق الآية لا يساعد عليه، فإن الصعود إلى القمر ليس فيه خروج عن قدرة الله، أو هرب من أقطار السموات والأرض، لكنه اكتشاف علمي في نواحي السموات، توصل إليه الناس بالعلم الذي هو هبة الله للبشرية، وهو سبيل الإيمان بعظمة الخالق المبدع.

وما يقال: من أن القمر في السموات، فالصعود إليه أختراق للسموات لا وجه له، فإن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[2]. يفيد أن القمر في السموات، بمعنى أنه في جهتهن، كما نقول: فلان في بلدة كذا، وهو في ناحية من نواحيها، والسماء في اللغة: كل ما علاك، والقمر دون السماء، فلا يلزم من الصعود إليه اختراق السموات، والذي يذكره علماء الفلك عن حقيقة السموات لا يخرج عن أن يكون مجرد فروض، لا يجزم أحد بشيء منها حتى الآن. وهؤلاء الذين يصعدون إلى القمر يعودون إلى الأرض، فهم لم يخرجوا من أقطار السموات والأرض.

بقي أن يأتي العلم بنظريات أو حقائق لا تتصل بالدين، ولم يرد لها ذكر في نصوصه، فضلا عن أن تتعارض معه، وهو الجانب الأكبر من الحياة العلمية في العلوم الكونية، التي هي ثمرة أعمال العقل، ونتاج التجربة والاستقرار، وما بين يوم وآخر يطالعنا العلم بجديد في ميادينه المختلفة إبداعا وابتكارا.

فهذا نستفيده منه، ونسلم به، ومن شأن الأمة الإسلامية التي دعاها دينها إلى النظر في الكون والاستفادة من طاقاته أن تكون سباقة إليه، ولو سارت أمتنا في المنهج الذي بدأت به حياتها الحضارية في العصور الأولى لظلت القيادة العلمية بيدها

---

١ ـ الآية ٣١ من سورة الرحمن.

٢ ـ الآيتان (١٥، ١٦) من سورة نوح

Marfat.com

مقرونة بالقيادة الدينية والسياسية كمـا كانت من قبل في قمة مجدها وأوج عظمتها، وقد نبغ فيها أمثال جابر بن حيان، والخوارزمي وابن سينا، والرازي، في وقت كان العالـم العربي لا زال يعيش فيمـا يسمى بالعصور الوسطى، عصور جهالته وغيه، فهل آن لنا أن نستعيد ماضينا؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مناع القطان
مدير المعهد العالي للقضاء
الرياض

Marfat.com

المراجـــع

١ ـ الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر ط مصطفى الحلبي

٢ ـ الاستيعاب في اسماء الاصحابلابن عبد البر

٣ ـ الاحكام السلطانية للماوردي ط الحلبي

٤ ـ الاحكام السلطانية لأبي يعلى ط الحلبي

٥ ـ الأعلام للزركلي ط بيروت

٦ ـ الخلافة او الامامة العظمى محمد رشيد رضا ط المنار

٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت

٨ ـ الأدب المفرد للبخاري

٩ ـ احياء علوم الدين للغزالي

١٠ ـ الحسبة في الاسلام لابن تيمية ط دمشق

١١ ـ جامع بيان العلـم وفضله لابن عبد البر المكتبة السلفية بالمدينة

١٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيـم دار الكتاب العربي بيروت

١٣ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري ط بيروت

١٤ ـ الروض الأنف شرحح السيرة لابن هشام الحنقمي ط الحلبي

١٥ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لأبن القيـم مطبعة السنة المحمدية

١٦ ـ السيرة النبوية لأبن هشام بتحقيق السقا ط الحلبي

١٧ ـ الكامل في التاريخ لأبن الأثير ط دار بيروت

١٨ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيدللشيخ عبد الرحمن بن حسن

١٩ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار بيروت

٢٠ ـ لباب المنقول في اسباب النزولللسيوطي ط دمشق

٢١ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعالعلاء الدين الهندي

٢٢ ـ مقدمة ابن خلدون ط عبد السلام محمد

٢٣ ـ المصطلحات الأربعة في القرآنللمودودي

Marfat.com

٢٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر لجمال الدين الأتابكي ط مصر
٢٥ ـ الموافقات للشاطبي
٢٦ ـ تفسير ابن كثير
٢٧ ـ في ظلال القرآن سيد قطب
٢٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووي
٢٩ ـ فتح الباري بشرح البخاريلأبن حجر
٣٠ ـ مباحث في علوم القرآن مناع القطان
٣١ ـ تاريخ التشريع والفقه الاسلاميمناع القطان
٣٢ ـ أعلام النساء لكحالة ط بيروت
٣٣ ـ اليهودي العالمي تعريب خيري حماد
٣٤ ـ الصهيونية العالمية عباس محمود العقاد
٣٥ ـ عماد الدين زنكي د/عماد الدين خليل
٣٦ ـ الكواكب الدرية في السيرة النبويةبدر الدين بن قاض شهبة
٣٧ ـ التدخين وسرطان الرئة د/ نبيل الطويل
٣٨ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر
٣٩ ـ وفيات الاعيان لأبن خلكان
٤٠ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي

Marfat.com

الفهرس

المقدمـــة	٣
أولاً : دراسات في السيرة	٧
أمـــة رسول الله	٧
ا ـ صور من حرصه صلى الله عليه وسلـم على الدعوة	١١
ب ـ صور من تحمّل الأذى في سبيل الدعوة	٢٩
ثانياً : من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلـم	٥٩
الحديث الأول	٥٩
الحديث الثاني	٧٠
الحديث الثالث	٧٧
ثالثاً : من روائع الخطب	٨٧
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلـم في إرشاد عماله ومحاسبتهم	٨٧
خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما ولي الخلافة	٩٣
رابعاً : من الهدي النبوي عن بعض شئون الحياة	١٠٢
ا ـ آداب طلب العلـم	١٠٢
ب ـ آداب الطعام والشراب	١٠٨
جـ ـ آداب النوم والاستيقاظ	١١٥
خامساً : من الحقوق الاسلامية	١١٨
ا ـ حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلـم	١١٨
ب ـ حق الوالدين والأقارب	١٢٣
جـ ـ حق المسلـم على المسلـم	١٢٨
سادساً : من أعلام الإسلام	١٣٥
ا ـ مصعب بن عمير رضي الله عنه	١٣٥
ب ـ عبد الله بن المبارك	١٣٩

Marfat.com

جـ ـ الإمام أبو حنيفة النعمان ١٤٣
د ـ الإمام مالك بن أنس ١٥٠
هـ ـ السلطان نور الدين محمود زنكي ١٥٦
سابعاً: موضوعات عـامــة ١٦٢
ا ـ القرآن الكريـم عظمته وإعجازه ١٦٢
ب ـ السنة النبوية وموقف المسلمين منها ١٧١
جـ ـ الشخصية المتميزة للمسلـم ١٧٥
د ـ التكافل الاجتماعي في الاسلام ١٧٨
هـ ـ الحق والواجب ١٨٦
و ـ الانقياد والطاعة في المعروف ١٩٠
ز ـ المبادىء الانسانية التي كفلها الاسلام بصورة فاضلة ١٩٣
حـ ـ قوة الارادة وضبط النفس ٢٠٣
طـ ـ الحرص على الوقت وحسن الاستفادة منه ٢٠٥
ي ـ الأمـانة والصدق ٢٠٨
ك ـ الصبر والثبات ٢٢٥
ل ـ القصد والاعتدال ٢٢٩
م ـ الإتقان والاحكام ٢٣٣
ن ـ التدخين ومضاره ٢٣٦
س ـ الخطر الصهيوني ٢٤١
ع ـ فضل العلـم وموقف المسلمين من العلوم الكونية ٢٤٨
المـراجـــــع ٢٥٥
فهرس الموضوعات ٢٥٦

Marfat.com

Marfat.com